مجلة فصلية تعنى بموضوعات

العلوم الإنسانية والنصوص الأدبية

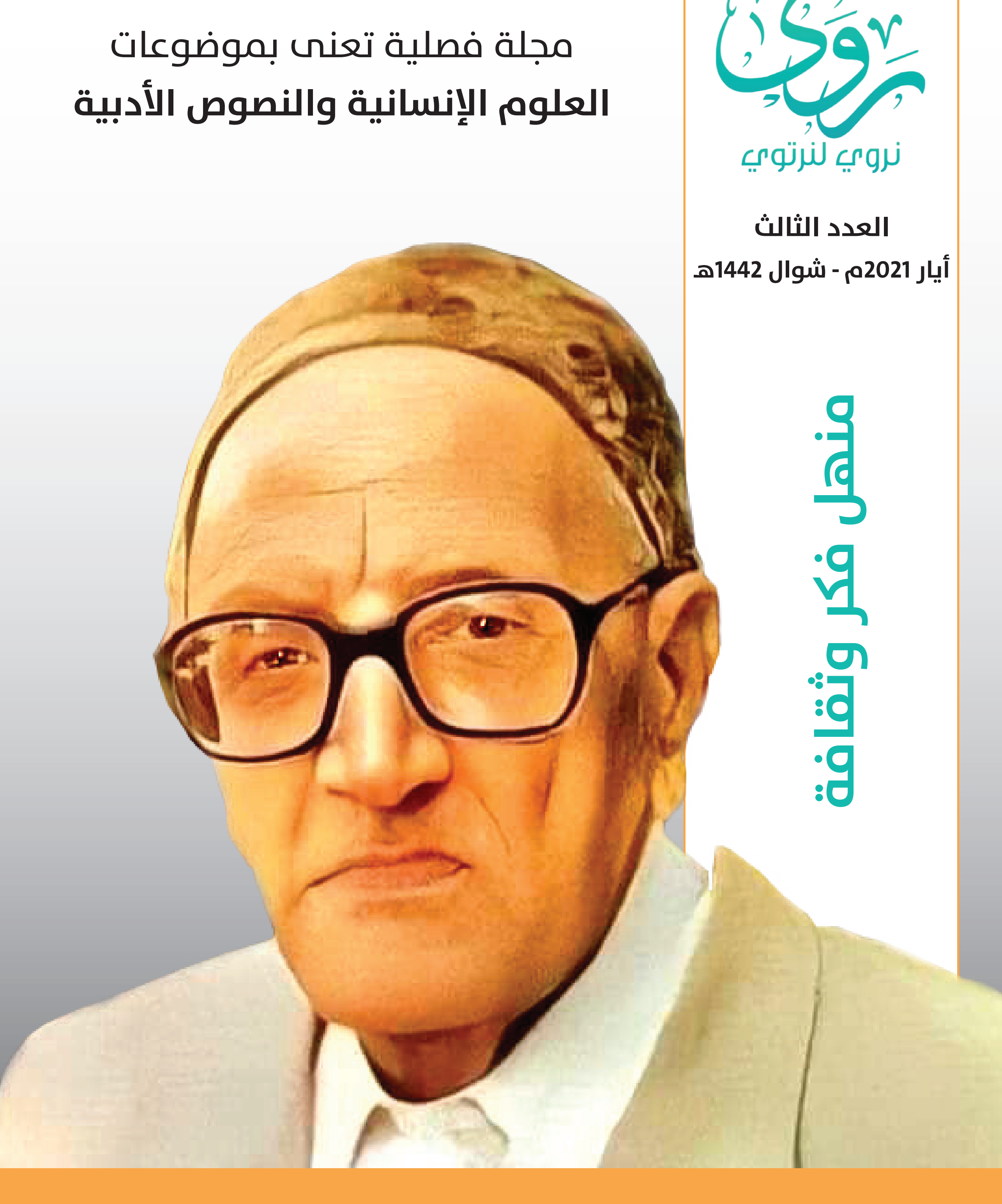
روى

نروي لنرتوي

العدد الثالث

أيار 2021م - شوال 1442هـ

منهل فكر وثقافة



ملف العدد: علامة العراق محمد بهجة الأثري



العدد الثالث
أيار 2021م - شوال 1442هـ

مجلة فصلية تعنى بموضوعات
العلوم الإنسانية والنصوص الأدبية

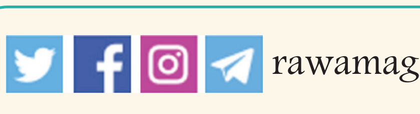


تحرير
عمر ماجد السنوي
حسن طلال الرمضاني

الإخراج الفني:
محمود شعبان أحمد

صدرَ هذا العددُ بدعمٍ من أحَد رُعاة الثقافةِ شكرَ اللهُ لهُ إحسانَه

تتشرَّف المجلَّة باسْـتقبال المَقالات الثقافيَّة مِـن أصحـابِ الأقـلام الرَّزينـة والأفـكار الرَّصينة، في مَجال العُلوم الإنسانيَّة، بالإضافة إلى النُّصوص الأدبيَّة بأجناسِها المتنوِّعة.


rawamag

info@rawamag.com

www.rawamag.com

محتويات العدد

ت	المَوضوع	الكاتِب	ص
١	أرجوزة في العلل والزحافات لبحرق الحضرمي (ت ٩٣٠هـ)	تحقيق: سلام رحال (باحثة في اللغة العربية وآدابها، من الأردن)	٨
٢	رسالة في استثناء ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ لأبي سعيد الخادمي (ت ١١٧٦هـ)	تحقيق: سارة رحاحلة (باحثة في اللغة العربية وآدابها، من الأردن)	١٣
٣	لغويّات وإشكالات في تقديم «الظاهرة القرآنيّة»	د. محمد جمعة الدربي (ناقد وباحث معجمي ومحقق لغوي، من مصر)	١٦
٤	المُصْطَلَحَاتُ النَّحْوِيَّةِ فِي كِتَابِ: المُوفِي فِي النَّحْوِ الكُوفِيِّ، لِلكَنْغَرَاوِيِّ	د. علي حكمت فاضل (أكاديمي ومحقق وباحث لغوي، من العراق)	٢٨
٥	العلامة محمد بهجة الأثريّ وحياته العلمية والعملية	د. عماد خليفة الدايني (باحث في الأدب العربي والعلوم الإسلامية، من العراق)	٥١
٦	التناص في شعر محمد بهجة الأثريّ	عايد محسن السليمان (باحث في اللغة العربية وآدابها، من سوريا)	٨١
٧	المنهج الأدبي للعلامة محمد بهجة الأثريّ	د. عماد خليفة الدايني (باحث في الأدب العربي والعلوم الإسلامية، من العراق)	٨٩
٨	إهداءات محمد بهجة الأثريّ لعلماء عصره	عادل عبد الرحيم العوضي (باحث في التاريخ الإسلامي والتراث العربي، من الإمارات)	١٠٦
٩	الأثري وأعلام عصره ذاكرة الصور	يسار محمد بهجة الأثري (نجل العلامة الأثري، والوصي على تراثه)	١١٤

ت	المَوضوع	الكاتِب	ص
١٠	العلامة الأثري ذكرى وبشرى	أحمد صبري (باحث في التاريخ والأدب العربي، من مصر)	١٤٤
١١	معارك الأثري الأدبية والفكرية	عمر ماجد السنوي (باحث في اللغة العربية وآدابها، من العراق)	١٤٧
١٢	الشعر في صدر الإسلام وأثره في الدعوة الإسلامية	خالد مطر حرز (باحث في اللغة العربية وآدابها، من العراق)	١٦٥
١٣	مَرَاقِصُ المَرَاقِس (القِرَاءَةُ الثَّانِيــة لحَيَاةِ امرئِ القَيْس وشِعْرِهِ)	مولاي المهدي الإدريسي (باحث في اللغة والبلاغة والأدب العربي، من المغرب)	١٧٧
١٤	التعليم في العراق (أَسـبَابُ تَصَـدُّعِ صُروحِـهِ.. وَانْتِكَاسُ طُلَّابِهِ)	بكر آل مهدي (تربوي وباحث في العلوم الإسلامية، من العراق)	٢١٥
١٥	هل المرأة عورة؟!	أحمد منصور الشبيب الجبوري (باحث في العلوم الإسلامية ومحقق، من العراق)	٢٢٣
١٦	معيار الصبر	أ.د. عماد علي الخطيب (أكاديمي وباحث في اللغة العربية وآدابها، من الأردن)	٢٢٩
١٧	سهرة مع نجيب محفوظ	محمد إبراهيم شحاتة (ناقد وكاتب مهتم باللغة والأدب، من مصر)	٢٣١
١٨	الْتِقاطَة	زينب الأزبكي (كاتبة وقاصّة، من العراق)	٢٣٤

ت	المَوضوع	الكاتِب	ص
١٩	أبونا أيها العراق	**حسّان الحديثي** (أديب وناقد، من العراق)	٢٣٦
٢٠	قصة كتاب	**د. محمد سالمان** (أكاديمي وشاعر ومحقق، من مصر)	٢٤٠
٢١	تجربتي في ترجمة الأدب الحديث	**آية حسن حسان** (مترجمة وباحثة في اللغة الروسية وآدابها، من مصر)	٢٤٤
٢٢	الدرس الأول	**علي الشافعي** (تربوي وشاعر وقاص، من الأردن)	٢٥٠
٢٣	خلف الباب	**زينب الأزبكي** (قاصة وكاتبة، من العراق)	٢٥٣
٢٤	يربُّونَنا قبلَ أنْ نربِّيَهم!	**صفا عاطف** (قاصة وتربوية، من العراق)	٢٥٥
٢٥	رسائل السحاب	**إيهاب عنان سنجاري** (أديب شاعر، من العراق)	٢٥٦
٢٦	سَلِ الفُرات	**عامر الرقيبة** (شاعر وباحث في التاريخ والتراث، من العراق)	٢٥٧
٢٧	قصيدة تذوُّقية لقصيدة أم السليك الحماسية	**أبو المعالي الظاهري** (أديب شاعر، من الجزائر)	٢٥٩





افتتاحية العدد

هذه هـي الإطلالة الفصليـة الثالثة لمجلَّتكـم روى، الَّتـي كلَّمـا تقدَّمت في العـدَد تقدَّمَـت في العمَـل، وزادت مياهُها عذوبةً، وتركَّزت فيها العناصر، واحتشد عليها الرواة، ليدلي كلٌّ منهم بدلوه، فيسـقي مَن يَليـه ممَّن ورَدَ هذا المنهـلَ الفكـريَّ الثقافيَّ، لعـلَّ ظامئًا يرتوي، أو مرتويًا يتلذَّذ.

ولمَّـا كانـت المجلَّـة قـد أخذَت علـى عاتقهـا هـذه المهمَّـة الثقافيـة الدقيقـة المَسـلَك، رأت أنْ تُعنـى في كلِّ عـددٍ بملـفٍّ خـاصٍّ يخـدم هذه القضيـة؛ وأجَلُّ ما يُمكـن أن يخدمها هـو إحياءُ ذكـرى القـدوات الثقافيَّة، ذات المقامـات العليَّـة، والإشـادة بمَآثرهـم ومُنجَزاتهـم، علَّهـا تضـيء بعـضَ جوانب قـد أعتمتها السـنون، وتناساها الدارسون.

وملـفُّ هذا العدد كما قد كنَّا أعلنَّا مـن ذي قبـل، هو عـن علَـم كبير من أعـلام العراق، وهو الأديـب اللُّغوي المؤرِّخ العالِم الفنَّان المحقِّق: محمد بهجة الأثريّ، صاحـب النتاج الثريّ، الّذي امتدَّت حياته على امتداد القرن العشـرين، فكان خير شـجرة استظلَّ بها المثقَّفون جيلًا تلو جيل.

أمَّـا المشـاركات الأخـرى الَّتـي أثْـرت هـذا العـدد، فقـد توزَّعـت علـى الأقسـام الأربعـة المعتـادة، كلٌّ منهـا بحسـبها، فـلا نطيـل القول فيهـا؛ فدونكم أيُّها الـواردون الأحبَّة عناوينهـا، ثمَّ نصوصهـا، لتتخيَّروا ما شـئتهم من الأقداح الَّتـي ملأها لكم أمنـاء السـقاية، شـكرَ الله جهودهـم، وأدام توفيقهم.

التحرير


نروي لنرتوي

الدراسات



أرجوزة في العلل والزحافات لبحرق الحضرمي (ت ٩٣٠هـ)

تحقيق: سلام رحال

تقدمـة:

إن هـذه الأرجورة تتضمن مجموعة من القواعد العروضية التي يختص بها الشاعر أو الدارس على وجه الخصوص، استحوذت على أكبر قدر ممكن من العلل والزحافات التي من شـأنها أن توضـح وظيفتها وكيفية ظهورها في القصيدة الشعرية.

ومـن الجديـر بالذكر أنها تسـهل على الدارسـين معرفـة هـذه القواعـد وماهية هذه المصطلحات، كما تيسـر على الطلبة حفظها، حتى يلموا بمجمل المصطلحات العروضيـة الخاصة بالعلـل والزحافات؛ فهذه المنظومة هـي منظومة تعليمية تقدم إرثًا طيبًا للدارس المتخصص.

الـمؤلـف:

صاحـب هذه الأرجـوزة هو محمد بن عمـر بـن مبـارك الحميـري الحضرمـي الشـافعي، الشـهير ببحـرق، مـن علمـاء القرنين التاسع العاشر الهجريين (٨٦٩-٩٣٠هـ = ١٤٦٥-١٥٢٤م)، ولـد في حضرمـوت وتعلـم الفقـه بالإضافـة إلى الأدب، ويُعد من الزهاد المتصوفة، رحَل

إلى مدن كثيرة لطلب العلم كان آخرها الهند، وله العديد من المؤلفات، منها: (تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية بسيرة الحضرة النبوية)، و(حلية البنات والبنين فيما يحتاج إليه من أمر الدين)، و(نشر العلم في شرح لامية العجم)، و(تحفة الأحباب)، وكَتَب في علوم الشريعة والأدب، وله شعر جيد[1].

المخطوطة:

تعود هذه الأرجوزة إلى محفوظات مكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وهي متاحة على موقعها الإلكتروني، وتحمل الرقم المرجعي: (٤١٦،١٣٠٢٠-٥)، وتقع ضمن مجموعة خطية مرقمة الصفحات، وهي فيها في الصفحة (٤٨)، وناسخها هو محمد بن صلاح بن علي مشحم، وتاريخ نسخها لم يصرح به، ولكن بالمقارنة مع ما صرح به فيما قبلها وما بعدها فيبدو أنها نسخت سنة (١٢٢٠هـ).

عملي في التحقيق:

قمتُ بنسخ المخطوطة، التي تحتوي الأرجوزة المتكونة من عشرين بيتًا، وراعيت في كتابتها القواعد الإملائية المعاصرة، ثم حشّيت عليها بحواشٍ توضّح مصطلحاتها، متعمدةً في ذلك على كتابٍ جامعٍ لها وهو كتاب: **المرشد الوافي في العروض والقوافي**، لمحمد حسن عثمان، طبعة دار الكتب العلمية، لبنان (٢٠٠٤م).

كما قدّمتُ بمقدمة تعريفية مختصرة بالأرجوزة وصاحبها.

(١) ينظَر: الأعلام، للزركلي، ج٦، ص٣١٥.

النَّصُّ المُحَقَّق:

بسم الله الرحمن الرحيم

هـذه الأبيـات للعلامـة محمـد بـن عثمان بـن مبـارك الشـهير ببحرق الحضرمي، في حصر علل الزحاف:

هـاكَ على اسـم الله قـولًا مجملا	في عـلـل الـزحـاف أو مفصلا
فـالـطـيُّ[1] حـذف رابـعٍ قـد سكَنا	فـاحـفـظه واحـفـظ مـا أتـى مبيَّنا
ثـلاثـةٌ بـالـثـانِ أي مـخـتـصُّ	الخبنُ[2] والإضمار[3] ثم الوَقْصُ[4]
ومـثـلـهـا في خـامـس إذ يـتـلـو	القبضُ[5] ثم العقصُ[6] ثم العقلُ[7]
وهــكــذا في ســابــعٍ إذ يـقـفـو	الكفُّ[8] ثم الوقفُ[9] ثم الكشفُ[10]
فــرتّــبــنَّ هـــذه الـتـسـعُ كـذا	إسـقـاطـه إسـكـانـه إسـقـاط ذا
والخبنُ مع كفٍّ يسمى الشكلا[11]	والخبن معْ طيٍّ يسمى الخبلا[12]

(١) هو حذف الرابع الساكن مثل (مستفعلن) تصبح (مستعلن).

(٢) الشـكل: حذف الثاني والسـابع الساكنين من التفعيلة.

(٣) تسـكين الخامس المتحرك في (مفاعلتن) فقط لتصير (مفاعلْتُن).

(٤) تسكين الخامس وحذف السابع الساكن، ويدخل مُفاعلَتُن، فتصير مُفاعَلتُن.

(٥) البـتر: اجتمـاع الحـذف والقطـع، مثال: (فعولُن) تصير(فَعْ).

(٦) الثـرم: مـن أنـواع الخرم، وهـو إذا دخل (فعولـن) المقبوضـة، في صـدر الشـطر الأول، فتصبـح (عـولُ)، وذلـك في المتقارب والطويل.

(٧) القصر: حذف سـاكن السـبب الخفيف، وإسـكان ما قبلـه مثـل: (مفاعيلن) تصير (مفاعيلْ).

(٨) القطـع: حـذف سـاكن الوتـد المجموع وتسـكين ما قبلـه مثل: (فاعلـن)، لتصير (فاعلْ).

(٩) الوتـد المجمـوع: متحركين ثم سـاكن، مثل: (نَعَمْ).

(١٠) الحذف: إسـقاط السـبب الخفيف من آخـر التفعيلـة، مثـال: (مفاعيلـن) تصير (مفاعي).

(١١) الوتـد المفـروق: متحركيـن بينهمـا ساكن، مثاله: (قَالَ).

(١٢) المنهوك: ما حذف ثلثاه وبقي ثلث.

والعصبُ[١] معْ كفٍّ يسمى النقصا[٢] ... والطي والإضمار خزلا[٣] يُحصى

والحذفُ والقطع يسمى البترا[٤] ... والقبضُ والخرمُ[٥] يسمى الشترا[٦]

وفي الخماسيِّ يسمى الثرما[٧] ... لأن فيه الخرم سمي ثلما[٨]

والقصرُ[٩] من ساكن الخفيف معْ ... إسكان ما يليه حيثما وقعْ

والقطعُ[١٠] جاء في الوتد المجموعِ[١١] ... كالقصر في الأصول والفروعِ

وسمِّ إسقاط الخفيف الحذفا[١٢] ... وإن تُسكِّن ما يليه القطفا[١٣]

وحذفُكَ المفروقَ[١٤] والمجموعا ... صلمًا[١٥] وحذًّا[١٦] فاحفظ الجميعا

وسمِّ ما يسلمُ منها سالما ... والتام[١٧] ما جاء على الأصل وما

---

(١) التذيل: زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع، مثلا: (متفاعلن) تصير (متفاعلان).

(٢) حذف الثاني الساكن من التفعيلة (مستفعلن) لتصبح (مُتفعلن).

(٣) تسكين الثاني المتحرك من تفعيلة (مُتَافعلن) لتصبح (مُتْفاعلُن).

(٤) حذف الثاني المتحرك، ويدخل فس (متفاعلن) فقط، فتصير (مُفاعلُن).

(٥) حذف الخامس الساكن من تفعلية (مفاعيلن) لتصير (مفاعلن).

(٦) إذا دخلت (مُفاعلَتُن) المنقوصة، فتصبح (فَاعَلتُ)، وذلك في الوافر.

(٧) حذف الخامس المتحرك، في (مُفاعَلَتُن) فقط، فتصير (مُفاعَتُن).

(٨) حذف السابع الساكن، مثلا (فاعلاتن) تصبح (فاعِلاتُ).

(٩) تسكين السابع المتحرك، مثلا: (مفعولاتُ) تصبح (مفعولاتْ).

(١٠) حذف السابع المتحرك، مثلا (مفعولاتُ) تصير (مفعولا).

(١١) الخبل: حذف الثاني والرابع الساكنين من التفعيلة (مستفعلن) لتصير (مُتعلُن).

(١٢) الخزل: تسكين الثاني المتحرك وحذف الرابع الساكن من التفعيلة.

(١٣) الخرم: إسقاط أول الوتد المجموع في صدر الشطر الأول.

(١٤) الشتر: من أنواع الخرم وهو إذا دخلت (مفاعيلن) المقبوضة في صدر الشطر الأول، فتصبح (فاعيلُ).

(١٥) الثلم: من أنواع الخرم وهو إذا دخلت (فعولن) السالمو في صدر الشطر الأول، فتصبح (عولن) وذلك في المتقارب والطويل.

(١٦) القطف: اجتماع العصب مع الحذف مثاله: (مفاعلتن) تصير (مفاعلْ).

(١٧) حذف الوتد المفروق من آخر التفعيلة، مثال: (مفعولات) تصير (مفعو).

يُحـذفُ منه الـنـصفُ أو جـزآنِ بـالـشـطـر[1] ثـم الـجـزء والـثـلـثـانِ
بالنهكِ[2] والإشباعُ والتذييلُ[3] زيـــادةً وهـكـذا الـتـرفـيـلُ[4]
فـــالأولان أن يـــزاد حـرف مـدْ في آخـر مـن سـبـب أو مـن وتـدْ
وحـيـث زيـدَ في خفيف يكملُ بـــه خـفـيـف فـهـو الـمـرفَّـلُ
فـهـذه أسـمـاء مـا لا بـدُّ مـنـهـا ثـلاثـون حـواهـا الـعـدُّ



(١) الحـذذ: هو حـذف الوتـد المجموع من آخر التفعيلة.

(٢) البيـت التـام: ما اسـتوفى كل أجـزاءه بلا نقص.

(٣) المشطور: ما حذف نصفه وبقى نصفه.

(٤) الترفيل: زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجمـوع مثل: (فاعلـن) تقلب النون ألفًا: (فاعلاتن).



رسالة في استثناء ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ لأبي سعيد الخادمي (ت ١١٧٦هـ)

تحقيق: سارة رحاحلة

مقدمة:

هذه رسالة عُنيتْ ببيان نوع الاستثناء الواقع في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ من الآية رقم (١٠٨) من سورة هود. كما اهتمت الرسالة ببيان المعنى الخارج عن مثل هذا النوع من الاستثناء، وإيضاح تفسيره، عن طريق ذكر بعض التأويلات الّتي تعرَّض لها المفسِّرون عند تفسيرهم هذه الآية الكريمة.

مؤلِّفُ هذه الرسالة هو محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمي، وهو فقيه أصوليّ، من علماء الحنفية، ولد في قرية خادم التابعة لمدينة قونية التركيّة، وذلك سنة (١١١٣هـ)، وتوفي فيها سنة (١١٧٦هـ). وقد قرأ على أبيه وغيره من الشيوخ، وله من المؤلفات: «مجمع الحقائق» وهو كتاب في أصول الفقه، و«حاشية على درر الحكام» وهو في فقه الحنفية، كما له «البريقة المحمودية في شرح الطريقة المحمدية» للبركلي، وهو في أربعة أجزاء، و«شرح الرسالة الولدية» للغزالي، و«رسالة في حكم قراءة آية الكرسي عقب الصلاة»، و«رسالة في تفسير البسملة» وغيرها من الرسائل[١].

(١) ينظر: الأعلام، للزركلي، (ج٧، ص٦٨).

وصف المخطوطة:

هذه المخطوطة من مقتنيات مكتبة جامعة طوكيو، (معهد الثقافة والدراسات الشرقية) في اليابان، تحت رقم: (١١٢٩).

تقع هذه النسخة في صفحة واحدة، في (١٦) سطرًا، وحالتها جيدة، كُتبت بخطٍّ واضح.

النصُّ المحقَّق:

هذه رسالة في استثناء ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، لأبي سعيد الخادمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على وَلْيه، والصلاة على نبيِّه محمَّد وآله وصحبه، وبعد:

فاعلم أنه أَشكَل عليَّ بالاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٨] فإنه يقتضي عدم خلود بعض أهل الجنة.

فقلت: إنه يجوز كون الاستثناء من قوله الكريم «ففي الجنة» بمعنى أن بعض السعداء لا يكون في الجنة، وهم الذين كانوا في أول أعمارهم من السعداء وفي آخرها من الأشقياء، بناءً على قاعدة كليّة، وهي: «السعيد قد يشقى»[١].

---

(١) هذه من القواعد الّتي قال بها الماتُريدية، وخالَفَهم فيها الأشاعرة، فقالوا: إن السعيد مَن سعد في بطن أمه، والشقي من شَقي في بطن أمه. يُنظر: موسوعة الفرق، (ج٢، ص١٧٣). والقول الوسط هو ما ذكَره ابن حجر في كتابه: فتح الباري (ج١١، ص٤٩٧)، أنّ السعيد قد يشقى وأنّ الشقي قد يسعد لكن بالنسبة إلى الأعمال الظاهرة، وأما ما في عِلم الله تعالى فلا يَتغير.

أو المعنى أنهم في الجنة من ابتداء حالهم إلى انتهائها إلا ما شاء الله تعالى، فإنهم في الجنة، لكن لا في الابتداء، بل في الانتهاء.

ويمكن أن يُراد من الجنة: الجنة المخصوصة أو نعيمها المخصوص.

ثم اطلعتُ في تفسير العيون[١] أنه قال في معنى الاستثناء ما حاصله: أن المراد من الاستثناء مقدار محبس في الحشر وعلى الصراط، وتعميرهم في الدنيا، وإحسابهم في البرزخ.

وقيل[٢]: معناه سوى ما شاء تعالى من الزيادة على قدر مدة بقاء السماوات والأرض، وهو ذلك هو الخلود في الموضعين.

وقيل[٣]: «إلا» بمعنى الواو، أي: وما شاء ربك من خلود هؤلاء في النار، وهؤلاء في الجنة.

وقيل[٤]: معنى ذلك لو شاء ربك لأخرجهم منها، ولكنه لا يشاء لأنه حكم لهم بالخلود فيها.

ولا يخفى أنه على قياس هذين الأولين يمكن أن يراد من المستثنى عصاة المؤمنين، فإنهم سعداء بشرف إيمانهم، ولا يدخلون الجنة ابتداءً بسبب عصيانهم -كما تقدم-.

وأما الجواب بجَعل الاستثناء منقطعًا[٥]، وبما قال الحنفية[٦]: إن الاستثناء تكلمٌ بالباقي بعد الثُنَيَّا[٧]، فبعيدٌ غايةً كما لا يخفى على المتأمّل.

تمت الرسالة



(١) يقصد به كتاب النكت والعيون، لمؤلفه الماوردي، (ج٢، ص٥٠٦). والاستثناء الوارد في هذه الآية اختلف في تفسيره العلماء على أقوال كثيرة، لخَّصها السمين الحلبي في أربعة عشر وجهًا في تفسيره: الدر المصون (ج٦، ص٣٩١).

(٢) ينظر: النكت والعيون، للماوردي، (ج٢، ص٥٠٦).

(٣) ينظر: المصدر السابق.

(٤) ينظر: المصدر السابق.

(٥) حكاه الزجّاج عن بعض أهل اللغة، في كتابه: معاني القرآن وإعرابه (ج٣، ص٧٩).

(٦) يُنظر: رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، (ج٥، ص٦٠٥). والفقه الإسلامي وأدلته، للزحيلي، (ج٨، ص١١١).

(٧) الثنيا: ويُقصد بها الاستثناء، ينظر: رد المحتار على الدر المختار، المرجع السابق.



لغويّات وإشكالات في تقديم «الظاهرة القرآنيَّة»

د. محمد جمعة الدِّربيّ

توطئة:

للتقديم قيمة كبيرة في التأليف العربيّ، ويُعَدّ في الدَّرس اللسانيّ والنقد الأدبيّ التطبيقيّ الحديث من عتبات النص paratexte التي تتماسّ مع المتن -بطريقة مباشرة أو غير مباشرة- بُغية استيعابه وتأويله والإحاطة به؛ حيث يساعد التقديم بجانب العتبات الأخرى مثل الغلاف والعنوان وأيقون دار النشر والإهداء وكلمة الناشر ونوع الخط في إضاءة النص الدَّاخليّ[(١)].

(١) وتحتاج إهداءات الكتب إلى دراسة نصيَّة؛ فمن المؤلِّفين من يُهدي عمله إلى زوجته وأولاده، ومنهم من يهديه إلى مؤلِّف قديم، وقد أهدى الأستاذ محمود محمد شاكر تحقيق طبقات فحول الشعراء إلى مجلة المورد العراقيَّة.

والتقديم نوعان، الأول: خطبة الكتاب التي توضِّح سبب التأليف ومحتوياته، ومقدِّمة تحقيق الكتاب التي تبيِّن قيمته والنُّسَخ المعتمدة والمنهج المتَّبع في تحقيقه. والثاني: تصدير مُراجِع الكتاب الذي يركِّز على جهد المحقِّق ومحاسنه وأخطائه، ويقع توطئة وتمهيدًا للكتاب قبل التقديم؛ وكأن هذا التصدير صَدْر

للكتاب؛ ففي الصحاح للجوهري (ت بعد ٣٩٣هـ): «صدَّر كتابه: جعل له صَدْرًا»[١]؛ أي مقدِّمة، وفي المعجم الوسيط أشهر معجمات مجمع اللغة المصريّ: «صدَّر الكتابَ: افتتحه بمقدِّمة»[٢].

ويعنينا هنا النوع الثاني للتقديم المعبَّر عنه أحيانًا في الكتابات الحديثة بلفظ التصدير، وللَّفظ أصلٌ قديم يُفهَم من قول السيوطيّ (ت٩١١هـ): «وهذا تصدير ألقيتُه بحضرة شيخنا العلّامة محيي الدين الكافيجي وجماعة المدرسة، وذلك في رجب سنة سبع وسبعين وثمانمئة»[٣]. وقد يُطلَق على التصدير لفظ التقديم قبل مقدِّمة المؤلِّف أو المحقِّق أو المترجِم، ويُوصَف التصدير أحيانًا بأنه (تقريظ) أو (تقديم ونقْد) إيمانًا بوظيفة التصدير[٤]؛ ولهذا لا يُفضَّل تصدير الأب لابنه؛ لأن الأبوَّة تحُول دون تمام النقد[٥].

وربما يُسمَّى التصدير والتقديم بالدِّيباجة أو الافتتاحيَّة لا سيَّما في مُفتتَح المجلات، وقد يُوضَع التصدير في سلاسل النشر تحت عنوان (كلمة عامَّة) أو (هذا الكتاب).

ومن المبالغة وضع أكثر من تصدير -أو تقديم- للنشرة الواحدة مثل الطبعة الثانية من معجم الصحاح التي افتتحها المحقِّق بمقدِّمة جديدة له من ثلاث صفحات سمَّاها (مقدِّمة الطبعة الثانية)، بعدها مقدِّمة من خمس صفحات باسم (مقدِّمة الصحاح) بقلم حضرة صاحب السموّ الملكيّ الأمير فهد بن عبد العزيز، بعدها صفحتان بعنوان (كلمة حضرة صاحب السماحة العلّامة الكبير الشيخ عمر بن

(١) الصحاح للجوهري (ص د ر) جـ٢/ ٧١٠.

(٢) المعجم الوسيط (ص د ر) جـ١/ ٥٢٩، ولم يذكر الوسيط هذا المعنى في حرف القاف؛ فانظر إلى سوء الإحالة، والخلط بين المعاني الحديثة للتصدير والتقديم!

(٣) التحدث بنعمة الله للسيوطيّ ص٩٢.

(٤) مثل كتاب: النص الفكاهيّ في درس النحو- تأليف محمد صالح بن عمر.

(٥) يمكن التمثيل بكتاب: من كنوز التراث في إعجاز القرآن: تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور للحافظ جلال الدين السيوطي، والبرهان في توجيه متشابه القرآن بما (كذا!) فيه من الحجة والبيان لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني. وقد صدَر الكتاب في طبعات كثيرة سابقة باسم (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان).

حسن آل الشيخ)، بعدها بحث للمحقِّق من إحدى وعشرين صفحة بعنوان (الجوهري مبتكر منهج الصحاح)، بعدها كلمة من أربع عشرة صفحة بقلم الدكتور بكري شيخ أمين بعنوان (الأثر الخالد معجم الصحاح تهذيبه ومقدِّمته)!

والأشدُّ مرارة من ذلك كتابةُ أسماء المقدِّمين والمصدِّرين -في حالة التعدُّد- على غلاف الكتاب؛ فيطغى اسمهم عمدًا على اسم المؤلِّف أو المحقِّق أو المترجم[1]! ومن النادر إطلاق التقديم على الإهداء أو الشكر؛ وهو الذي فعله الأستاذ يوسف سركيس تحت عنوان (تقدمة الكتاب)؛ حيث خصَّص هذا العنوان لشكر الأستاذ أحمد باشا تيمور الذي ساعده في تأليف معجمه[2]!

وأما كتاب الظاهرة القرآنية فهو كتاب مشهور للكاتب الجزائري مالك بن نبي، ترجمه الدكتور عبد الصبور شاهين، وقدَّم له الشيخ محمود محمد شاكر؛ ويبدو أن شاكرًا كان ينتقي الكتب التي يكتب لها تقديمًا؛ فقد صدَّر لكتاب (دراسات لأسلوب القرآن الكريم)، ووصفَه بأنه معجم نحويّ صرفيّ للقرآن العظيم! وقرَّظ كتاب (تاريخ الدعوة إلى العاميّة وآثارها في مصر)، ووصَف الجهد المبذول في جمع مادته بأنّه دليل على التجرُّد الصحيح السليم في طلب المعرفة.

وتصدير شاكر للكتب الثلاثة يُظهِر -كما تُظهِر كتب شاكر الأخرى- حُبَّه للعربية، ونظرته إلى لغة القرآن على أنها أمانة يجب الحفاظ عليها، وأن معرفة العربية وحِذقها والتوغُّل في شعرها وبيانها وأساليبها أصلٌ من الأصول لا يحلّ لمن يتكلم في القرآن أن يتكلَّم فيه حتى يُحسنه ويحذقه[3]، ولكنَّ تصدير

(١) يمكن التمثيل بغلاف كتاب: الطريقة المثلى في جمع القراءات العشر الصغرى؛ وفيه أسماء المراجعين بوظائفهم قبل اسم المؤلِّف؛ وهدفها جذب الأنظار إلى أسماء المراجعين ترويجًا للكتاب الذي يرى مؤلِّفه أو محقِّقه أنه لا يزال مغمورًا!

(٢) معجم المطبوعات العربيَّة والمعرَّبة- جمعه ورتبه يوسف سركيس (تقدمة الكتاب).

(٣) راجع تقديم شاكر للظاهرة القرآنية- الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة ص٢٥، ٣٩، ٤٩، وكتابه أباطيل وأسمار ص٢٤١، وراجع برنامجه لطبقات فحول الشعراء لابن سلام ص٤٤، ١٤٠، وتفسير الطبري (ت٣١٠ه) بتحقيقه وتعليقه جـ٤/ ٤١٦.

شاكر لكتاب الظاهرة القرآنيَّة يكشف عن بعض الملامح اللغويَّة مثل: ثراء معجمه اللغويّ، وتوسُّعه في الاستعمال، ويثير التصدير أيضًا بعض الإشكالات التي يجب التنبيه عليها مثل: الأخطاء المطبعيَّة في بعض الطبعات، والاختلاف اللغويّ والتدليس بين الطبعات؛ وفي الصفحات التالية نصوص ونماذج؛ ويكفي من القلادة ما أحاط بالجِيد.

أولًا: ثراء المعجم اللغويّ:

يكشف تقديم الشيخ شاكر للظاهرة القرآنيَّة عن ثراء معجمه اللغويّ مثل قوله: «وهذا الذي اقتصصتُه لك تاريخٌ مختصَرٌ أشدَّ الاختصار... ...النظر المجرَّد والمنطق المتساوق والتمحيص المتتابع... ...يقتضيني جواب هذه المسألة أن أقتصَّ قصة أخرى... ...فكان نصيبه من إنشادهم وتقصيدهم القصائد أقلَّ مما كان في جاهليتهم»[١].

والفعل (اقتصَّ) يشيع استعماله بمعنى: أخذَ القِصاص، أو تتبَّع الأثَر. وأما رواية الخبر على وجهه فيشيع فيها الفعل (قصَّ)؛ وفي القرآن الكريم: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣]، ولكنَّ شاكرًا آثر الصيغة غير الثلاثية، واختار التعدية باللام، ولم يخرج عن كلام الفصحاء[٢]، ويبدو أن شاكرًا يميل إلى الصيغ غير الثلاثية مثل: احتمل، واقتدر[٣]. وأما الفعل (تساوَق) فهو بمعنى تتابعَ، وهو من الأفعال التي على وزن تفاعل للواحد[٤]، وأما التقصيد فمعناه التهذيب والتنقيح والتجويد.

ولم يذكر أيًّا من هذه المفردات المعجميَّة الأستاذ منذر أبو شعر في كتابه (معجم محمود محمد شاكر) الذي لم يمثِّل لغة شاكر تمثيلًا حقيقيًّا؛ وقد أكَّدتُ ذلك في بحثي (مراجعة نقدية لمعجم محمود محمد شاكر)[٥]، وأشرتُ هنالك إلى الفعل (قصَّد).

(١) الظاهرة القرآنية ص٣٨، ٤٣، ٤٨، ٥٣.

(٢) تاج العروس للزبيديّ (ق ص ص) جـ١٨/ ١٠٧.

(٣) راجع تقديمه للظاهرة القرآنية ص٤١- ٤٢.

(٤) سقط الفعل (تساوَق)- ضمن ما سقط- من بحثي: دلالة تفاعل لغير الاشتراك بين دعوى القلة وكثرة الاستعمال؛ فأرجو أن تكون الإشارة هنا إصلاحًا لما فسَد هناك.

(٥) من منشورات مجلة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق.

ثانيًا: التوسُّع في الاستعمال:

يلفت نظرنا أيضًا في تقديم شاكر توسُّعه اللغويّ، ويمكن التمثيل بقوله: «فقد صوَّر لك مشكلة الشباب المسلم المتعلِّم في هذا العصر، وما كان قاساه، وما يزال يقاسيه(!) من العنت في إدراك إعجاز القرآن إدراكًا يرضاه ويطمئن إليه... ...وكل ما عند القدماء من ذكر الشِّعر الجاهليّ في تفسيرهم **فهو أنهم** يستدلّون به على معنى حرف في القرآن... ...لا معنى لها البتة إلا أن يكون كان في طاقة هؤلاء السامعين أن يميِّزوا تمييزًا واضحًا بين الكلام الذي هو من نحو كلام البشر، والكلام الذي ليس من نحو كلامهم... ...وعلى الذي تلقَّوه به من اللَّدد في الخصومة والعناد لم يلبث أن استجاب له النفر بعد النفر...»[1].

والفصاحة تقتضي (وما لا يزال)؛ لأن (ما) هنا معطوفة، وكان في إمكان شاكر أن يقول: (وما كان قاساه ولا يزال يقاسيه)، أو (وما كان قاساه والذي لا يزال يقاسيه). ولكن يمكن القول إن جملة «وما يزال يقاسيه» اعتراضية؛ ولا إشكال في استعمال (ما) مع المضارع، وإن أنكره بعض المعاصرين من علماء التنقية اللغويَّة الذين يوجبون استعمال (ما) مع الماضي فقط؛ فيقال: (ما زال) مثل: (ما انفكَّ)، و(ما برِح)، و(ما فتئ)، ويزعمون أن (لا) تأتي مع المضارع! والعجيب أن هؤلاء احتجُّوا بلغة القرآن الكريم مثل قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨]، وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٣١]، وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ [الحج: ٥٥].

والحق أنَّ الاستعمال القرآنيّ يصلح للإثبات لا للنفي[2]، بمعنى «أنه يصلح دليلًا على صحة الاستعمال المعيَّن ولكن لا يصلح دليلًا على خطأ ما عداه؛ فالقرآن لم يجمع اللغة العربية جميعها، والقرآن ليس هو المصدر الوحيد للصحة اللغوية،

(١) الظاهرة القرآنية ص٢١، ٢٩، ٣٤، ٥٠.

(٢) راجع: خطأ لغوي في ديوان شوقي– د.محمد جمعة الدِّربيّ ص٥٩٩.

ورُبَّ عبارة لم يأت بها القرآن جاء بها غيره من النصوص الموثَّقة فارتفع الحرج عن استعمالها»[1]، وقد جاء الفعل (يزال) مسبوقًا بالأداة (ما) في رواية الكُشْميهَني لصحيح البخاريّ: «وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه»[2]، وفي الصّحيح أيضًا: «عليكم بالصِّدق؛ فإنَّ الصِّدق يهدي إلى البِرّ، وإنَّ البِرَّ يهدي إلى الجنَّة. **وما يزال** الرجل يصدُق ويتحرَّى الصِّدق حتى يُكتَب عند الله صِدِّيقًا. وإيّاكم والكذبَ؛ فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، **وما يزال** الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يُكتَب عند الله كذَّابًا»[3]؛ ويبدو أن شاكرًا أدرك صحة الاستعمال؛ حيث استعمله في برنامج طبقات فحول الشعراء[4]. وقد استعمل شاكر الفصيح المشهور في أحد مقالاته حين قال: «لا بدَّ من دراسة اللهجات العامِّيَّة في البلاد العربية كلها دراسةَ تبويبٍ وتقسيمٍ وفهم، ولا بدَّ من ردِّ كل طارئ على هذه اللهجات إلى الأصول القديمة التي لا تزال باقية متوارثة في سلائق الشعوب التي تنطق بالعربية إلى يوم الناس هذا»[5]؛ ولا يخفى ما في هذه المقولة من فهم عميق للهجات والعاميَّات الحديثة.

ونؤكِّد أن (ما) لا تأتي مع مضارع (زال) فقط؛ فقد سُمعتْ مع مضارع (انفكَّ) مثل قول جِدْل الطِّعان الكنانيّ[6]:

وإياك والحربَ التي لا أديمها صحيحٌ وما تنفكّ تأتي على الرَّغْم

وأما الفاء في قول شاكر «فهو أنهم» فيجوز إدخالها في خبر الموصول؛ وفي القرآن الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ

(1) العربية الصحيحة- د.أحمد مختار عمر ص٢٠٢.

(2) فتح الباري لابن حجر العسقلانيّ (حديث٦٥٠٢) جـ١٧/ ٣١٩.

(3) صحيح مسلم (حديث٢٦٠٧) جـ٤/ ٢٠١٣، وراجع فتح الباري (حديث ٦٠٩٤) جـ١٠/ ٥٠٧.

(4) برنامج شاكر لكتاب طبقات فحول الشعراء ص١١.

(5) جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر جـ٢/ ٨٨٠.

(6) كذا بالدَّال في ديوان المعاني للعسكري جـ٢/ ٦٦. وجدل الطعان هو علقمة بن فِراس بن غَنْم بن مالك بن كنانة، وقيل: هو عمير بن قيس أحد بني فِراس بن غَنْم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، والأشهر في اسمه جِذْل- بالذال المعجمة- لثباته في الحرب كأنه جَذْل شجرة واقف؛ راجع: تاج العروس للزبيديّ (ج ذ ل) جـ٢٨/ ١٩٨.



﴿بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [الحج:٥٧]، و(كلّ) تشبه الشرط في العموم والترتيب، كما أن المضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحدة.

ثالثًا: الأخطاء المطبعيَّة في بعض الطبعات:

ويسترعي النظر كذلك أن كتاب الظاهرة القرآنيَّة طُبع بتقديم شاكر أكثر من مرة، كما نُشر تقديمُه ضمن كتاب (مداخل إعجاز القرآن) الذي قدَّم له فِهر محمود شاكر. ولم تسلم طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة من بعض الأخطاء التي سلِمتْ منها الطبعات السابقة عليها، وقد يكون الأمر هيِّنًا في حالة الخطأ الواحد، ولكنَّ الأخطاء كثيرة يجب التنبيه عليها، ويمكن التمثيل بقول شاكر: «بقيت أيضًا معارك الثقافة على تطاولها سرًّا خافيًا لا يتدراسه[١] (!) قادة الثقافة الإسلامية وجندها... ...فمنهج التفسير القديم يجب أن يتعَّدل[٢] (!)... ...هذا المقروء عليهم كان هو في نفسه آية أوضح[٣] الدليل على أنه ليس من كلامه هو، ولا من كلام بشر مثله، ثم أيضًا لا معنى لها البتة إلا أن يكون وكان[٤] (!) في طاقة هؤلاء السامعين أن يميِّزوا تمييزًا واضحًا بين الكلام الذي هو من نحو كلام البشر، والكلام الذي ليس من نحو كلامهم... ...ولكن بقي ما لابد(!) منه[٥]... ...فالشعر الجاهليّ هو أساس مكشلة[٦](!) إعجاز القرآن... ...تخالطة ضغينة مسكَّنة[٧](!) للعرب وللإسلام... ...وغاضبهم تربّد(!) شحنته[٨]... ...ويكشف لنا الشر(!) الجاهليّ عن أروع روائعه... ...الجودة والرَّداءة والسلاسلة[٩](!) والانعقاد... ...وتماثلها في السلاسلة[١٠](!) والإعراب... ...»[١١].

(١) والصواب (يتدارسه).

(٢) حق التضعيف أن يكون على الدال لا العين.

(٣) كذا! ولو قيل: (أوضح في الدليل)؛ لكان الكلام أكثر وضوحًا.

(٤) لا معنى لإقحام الواو!

(٥) يجب الفصل بين لا النافية واسمها، ومثله (لاشك) ص٤٤، (لاسيما) ص٤٥، ويجب كذلك الفصل بين ما الموصولة وما بعدها مثل (مالا تشك)، و(مالا ترتاب) ص٥٩، (وماله من علو الشأن) ص٦٠!

(٦) الصواب (مشكلة)؛ فانظر إلى آثار السرعة!

(٧) الأفضل (مستكنَّة) بمعنى مستترة.

(٨) الصواب: تربدّ سَحنتُه؛ أي: تتغيَّر هيئتُه.

(٩) الصواب (السلاسة).

(١٠) انظر أيَّ تكرار للخطأ!

(١١) الظاهرة القرآنية ص٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٠، ٤١،٤٣-٤٥، ٤٧، ٥٩-٦٠.

بل سقطَ من هذه الطبعة ما يلقي عليها ظلالًا من الضعف والتوهين[١]! وقد وقع التنوين في هذا التقديم على الألف كما وقع في التصدير لكتاب عضيمة؛ فهل هذا اختيار الشيخ شاكر اقتداء ببعض القدماء الذين اختاروا وضع التنوين بالفتح على الألف؟ أو أن هذا من آثار الطباعة؟

رابعًا: الاختلاف اللغويّ والتدليس بين الطبعات:

بقي أن أشير إلى اختلاف مقدِّمة شاكر للظاهرة القرآنيِّة بين الطبعات؛ فعبارة: «لا معنى لها البتة إلا أن يكون وكان(!) في طاقة هؤلاء السامعين أن يميِّزوا»[٢] وقعت في طبعة دار الفكر (ط/ ١٩٨٥م) ص٢٧ بدون واو العطف (يكون كان)! ووقعتْ بالواو في طبعة دار الفكر (ط٤/ ١٩٨٧م)! ووقعت في كتاب مداخل إعجاز القرآن ص١٥٧ بدون (كان)!

وعبارة: «تخالطة ضغينة مسكَّنة للعرب وللإسلام»[٣] وقعتْ في طبعة دار الفكر (ط/ ١٩٨٥م)، و(ط٤/ ١٩٨٧م) ص٣٤ بلفظ: «مستكينة»! وفي مداخل إعجاز القرآن ص١٦٧ بلفظ: «مُستكنَّة»؛ أي: مستترة؛ وهو الأقرب إلى السياق وإلى لغة شاكر[٤].

وعبارة: «وكسجية النطق في البِضعة المتجلجلة المسمَّاة باللسان»[٥] وقعت في طبعة مجلة الأزهر ص٣٧ بلفظ: «المتلجلجة» بتقديم اللامين!

ومن حقِّنا أن نتساءل: هل غيَّر الدكتور فِهر -وهو الذي نشر بعد وفاة أبيه كتاب مداخل إعجاز القرآن وقدَّم له- بعضَ الكلمات بناءً على تعديلات رآها بقلم أبيه في النسخة المخطوطة أو في إحدى النشرات؟ وهبْ أنه فعل ذلك فلماذا لم يُشِر كما كان أبوه شاكر يشير غالبًا إلى ما يجري في عمله من تعديل؟ أو أن أيدي الناشرين تطاولتْ؟ من حقِّنا أن نتساءل: لماذا اختلفت مقدِّمة شاكر للظاهرة القرآنيَّة؟

(١) وهذا يثير الشكوك في جميع طبعات الهيئة العامة لقصور الثقافة! راجع مثلًا ص٤٢، ٤٣، ٦٧ وقارن بسائر الطبعات. وهناك علامات ترقيم في غير موضعها مثل ص٥٠.

(٢) وكذا في طبعة مجلة الأزهر ص٢٧.

(٣) وكذا في طبعة مجلة الأزهر ص٣٥.

(٤) راجع: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا- محمود محمد شاكر ص٢٤، ومثله في: المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا.

(٥) الظاهرة القرآنية ص٤٧، وتجلجل بمعنى تحرَّك.



خاتمة:

لا شكَّ أن الجهود اللغوية للشيخ محمود شاكر متنوعة؛ فتحقيقاته غير مقصورة على جانب محدَّد من اللغة؛ ففيها التثقيف اللغويّ والتفسير والبلاغة والحديث. ولم تقتصر جهود شاكر على التصحيح والتحقيق؛ فقد راجع تحقيقات بعض الأكابر؛ يقول الأستاذ عبد الستار فراج في مقدمة تحقيقه لشرح أشعار الهذليِّين: «وإذا كنتُ قد قمتُ بجهد في هذا الكتاب؛ فإن الأخ العالم الحجَّة الأستاذ محمود محمد شاكر قد بذل مجهودًا أكبر في مراجعة هذا الكتاب كلمةً كلمةً قبل أن يُدفَعَ إلى المطبعة؛ فاستدرك ما لم أُوفِّه، وأضاف بعضَ ما يقتضيه البيان، وصحَّح ما أخطأتُ فيه أو سهوتُ عنه، ونسَب من الشواهد بعضَ ما لم أعرفه، وما لم تسعفني مراجعي في نسبته، ثم تفضَّل مشكورًا كلَّ الشكر؛ فكان يراجع تجارب المطبعة مرتين بعد أن أراجعها مرتين؛ كل ذلك ليخرج الكتاب أقرب ما يكون إلى الصحة والكمال، هذا إلى جانب اختياره للصورة الجميلة التي ظهر فيها الكتاب؛ فجزاه الله أحسن الجزاء على حبّه للعلم والإخلاص في خدمته»[1]!

وقد فطن كثير من الباحثين إلى هذه الجهود الشاكريَّة، ولكن من الضروريّ لفت الانتباه إلى ما كتبه من تصديراتٍ (تقديمات) لكتب غيره؛ ففي هذه التصديرات ظواهر وإشكالات؛ وقد تناولنا في الصفحات السابقة تصديرَه لكتاب (الظاهرة القرآنيَّة) على سبيل المثال لا الحصر[2]، وكشفنا عن بعض الملامح اللغويَّة، وبعض الأخطاء والإشكالات التي يجب إصلاحها في الطبعات الأخرى الجديدة من الظاهرة القرآنيَّة.

---

(١) شرح أشعار الهذليِّين للسكري ص١٦، ومما ذكره منذر محمد سعيد أبو شعر للشيخ شاكر تصحيح واستدراك لكتاب ذيل زهر الآداب للحصري (ت٤٥٣هـ)، راجع: معجم محمود محمد شاكر ص١٠.

(٢) ويمكن تطبيق الفكرة على تصدير شاكر لكتاب (تاريخ الدعوة إلى العاميَّة وآثارها في مصر) الذي صدر في طبعات متعددة منها طبعة دار الفاروق وطبعة دار الإمام الشافعيّ بالقاهرة.

المصادر والمراجع:

١- أباطيل وأسمار- محمود محمد شاكر- مطبعة المدني- القاهرة- مصر ط٢/ ١٩٧٢م.

٢- تاج العروس للزبيديّ (ت١٢٠٥هـ)- تحقيق مجموعة من الأساتذة- التراث العربيّ (١٦)- سلسلة تصدرها وزارة الإعلام (الإرشاد والأنباء)- مطبعة حكومة الكويت- الكويت ط١/ ١٩٦٥-٢٠٠١م.

٣- تاريخ الدعوة إلى العاميَّة وآثارها في مصر- نفوسة زكريا- دار المعارف- القاهرة- مصر ط٢/ ١٩٨٠م.

٤- التحدُّث بنعمة الله للسيوطيّ (٩١١هـ)- تحقيق اليزابث ماري سارتين- الذخائر (١٠٦)- الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة- مصر ط/ ٢٠٠٣م.

٥- تفسير الطبري (ت٣١٠هـ) حقَّقه وعلَّق حواشيه محمود محمد شاكر، وراجعه وخرَّج أحاديثه أحمد محمد شاكر- دار المعارف- القاهرة- مصر ط/ ٥٤- ١٩٦٩م.

٦- جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر- جمعها وقرأها وقدَّم لها الدكتور عادل سليمان جمال- مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر ط١/ ٢٠٠٣م.

٧- خطأ لغوي في ديوان شوقي- د.محمد جمعة الدِّربيّ- عدد ربيع الأول- مجلة الأزهر- مجمع البحوث الإسلاميَّة- القاهرة- مصر ط/ ١٤٣٧ه.

٨- دراسات لأسلوب القرآن الكريم- تأليف محمد عبد الخالق عضيمة- تصدير محمود محمد شاكر- دار الحديث- القاهرة- مصر (د.ت).

٩- دلالة تفاعل لغير الاشتراك بين دعوى القلة وكثرة الاستعمال- د.محمد جمعة الدِّربيّ- العدد ١٢٨- مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة- مصر ط/ ٢٠١٤م.

١٠- ديوان المعاني للعسكري (ت٣٩٥هـ)- مكتبة القدسي- القاهرة- مصر ط١/ ١٣٥٢ه.

١١- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا- محمود محمد شاكر- مكتبة الأسرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- مصر ط/ ٢٠٠٩م.

١٢- شرح أشعار الهذليِّين للسكري (ت٢٧٥هـ)- مطبعة المدني ومكتبة دار العروبة- القاهرة- مصر ط١/ ١٩٦٥م.

١٣- الصحاح للجوهريّ (ت بعد ٣٩٣هـ) - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين- بيروت- لبنان ط٢/ ١٩٧٩م.

١٤- صحيح مسلم (ت٢٦١هـ)- تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - مطبعة دار إحياء الكتب العربية- القاهرة- مصر (د.ت).

١٥- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحيّ (ت٢٣١هـ)- قرأه وشرحه محمود محمد شاكر-دار المدني- جدة- السعودية ط/ ١٩٨٠م.

١٦- الطريقة المثلى في جمع القراءات العشر الصغرى- ضمن: الجمع بالآية مع الأدلة والتحريرات والتوجيهات وعدّ الآي- راجعه د.طارق عبد الحكيم عبد الستار البيومي والشيخ سلطان حسين إبراهيم وعلي محمد توفيق النحاس والشيخ هاني محمد بركات- إعداد يسري طه عبد الفتاح العبد- دار خير زاد للنشر والطباعة- القاهرة- مصر ط/ ٢٠٢٠م.

١٧- الظاهرة القرآنية- مالك بن نبي- ترجمة د. عبد الصبور شاهين- الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة- مصر ط/ ٢٠٠١م، وطبعة بإشراف ندوة مالك بن نبي- دار الفكر- دمشق- سوريا ط/ ١٩٨٥م، ط٤/ ١٩٨٧م (إعادة طبع ٢٠٠٠م)، ضمن هدايا عدد ذي الحجة- مجلة الأزهر- مجمع البحوث الإسلامية-القاهرة- مصر ط/ ١٤٣٩ه.

١٨- العربية الصحيحة- د. أحمد مختار عمر- عالم الكتب - القاهرة- مصر ط٢/ ١٩٩٨م.

١٩- فتح الباري لابن حجر العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ)- عناية عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب- دار المعرفة- بيروت- لبنان(د.ت).

٢٠- قيمة الغلاف في التأليف العربيّ- د.محمد جمعة الدِّربيّ- العدد

١٥- مجلة الربيئة- نادي الرقيم العلميّ- جمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين- الجزائر ط/ ٢٠١٩م.

٢١- المتنبي، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا- محمود محمد شاكر- مطبعة المدني ومكتبة الخانجي- القاهرة- مصر ط/ ١٩٨٧م.

٢٢- مداخل إعجاز القرآن- محمود محمد شاكر- قدَّم له فِهر محمود شاكر- مطبعة المدني- القاهرة- مصر ط/ ٢٠٠١م.

٢٣- معجم المطبوعات العربيَّة والمعرَّبة- جمعه ورتبه يوسف سركيس- مصوَّرة عن نشرة مطبعة سركيس بمصر ١٩٢٨م- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- مصر (د.ت).

٢٤- المعجم الوسيط- مطبوعات مجمع اللغة العربية- القاهرة- مصر ط٣/ ١٩٨٥م.

٢٥- معجم محمود محمد شاكر- إعداد منذر محمد سعيد أبو شعر- المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان ط٢/ ٢٠٠٧م.

٢٦- من كنوز التراث في إعجاز القرآن: تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور للحافظ جلال الدين السيوطي، والبرهان في توجيه متشابه القرآن بما(كذا!) فيه من الحجة والبيان لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني- قدَّم لهما بدراسة في إعجاز القرآن أ.د فتحي أحمد عبد الرحمن حجازي- تخريج وتحقيق أحمد فتحي عبد الرحمن- دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع- بيروت- لبنان ط/ ٢٠٠٨م.

٢٧- النص الفكاهيّ في درس النحو- تأليف محمد صالح بن عمر- تقديم ونقد ثامر الغزي- المجلد ٧ جـ٢٦- مجلة علامات في النقد- النادي الأدبي الثقافي بجدة- السعودية ط/ ١٩٩٧م.







المُصطَلَحاتُ النَّحْويَّةِ

في كِتَابِ: المُوفِي فِي النَّحْوِ الكُوفِيِّ، لِلكَنْغَرَاوِيِّ

د. عليّ حكمت فاضل

يُعدّ كتابُ: الموفي في النّحو الكوفيّ، لصدر الدّين الكنغراويّ، المتوفّى سنة: ١٣٤٩هـ، أوّلَ مدوّنة جمعَتْ بين طيّاتها النّظريّة النّحويّة الكوفيّة، وعلى الرّغم من تأخّر مؤلّفه إلّا أنّه كتاب مهمّ في بابه؛ لأنّه حاول أن يجمع أصولًا نحويّة لهذه المدرسة المهمة.

تكمن أهميّة البحث[١] في هذا الكتاب في أنّ المدرسة الكوفيّة هي المدرسة الثّانية من ناحية الأهميّة بعد المدرسة البصريّة، ولأنّه على النّحو الكوفيّ أُقيمَتِ القراءات القرآنيّة، فلو عدنا إلى القرّاء السّبعة لوجدنا ثلاثة منهم من أهل الكوفة، والعشرة لوجدنا خمسة منهم، وكلّ هؤلاء القرّاء هم نحويون.

والسّؤال الذي ننطلق منه: هل يغني كتاب الموفي في النّحو الكوفيّ القارئ في النّحو الكوفيّ؟

نجيب على هذه الإشكاليّة من خلال المصطلحات النّحويّة التي وردت في هذا الكتاب؛ ولأنّه أقرّ على نفسه بذلك حينما قال: «فهذا كتاب نحوٍ وضعته على مذهب الأئمّة الكوفيّين ومصطلحاتهم...»، فهل

(١) أصل هذا البحث، محاضرة قدّمتها في مادّة: علم المصطلح، في مرحلة الدّكتوراه، في قسم اللّغة العربيّة، كلّيّة الآداب / جامعة بغداد، ٢٠٢٠م.

فعلًا التزم الكنغراويّ بهذا الشّرط، أي المصطلحات الكوفيّة؟

فقد جردتُ المصطلحات النّحويّة في الكتاب، ووجدتها على أربعة أقسام:

- مصطلحات كوفيّة لها مقابلات بصريّة، استعمل الكوفيّة منها.
- مصطلحات كوفيّة ليس لها مقابلات بصريّة.
- مصطلحات بصريّة لها مقابلات كوفيّة استعمل البصريّ منها.
- مصطلحات بصريّة ليس لها مقابلات كوفيّة.

حاولت أن أبيّن كيف اشتقّ أهل الكوفة مصطلحاتهم، وبيّنتها معتمدًا على ثلاثيّة المفهوم والمصطلح والتّعريف، وقد قدّمت للبحث بتمهيد بيّنت فيه أمورًا عن المصطلح الكوفيّ، وضمّنته مبحثين:

- الأوّل ذكرت فيه المصطلحات الكوفيّة التي جاءت في الكتاب.
- والثّاني ذكرت فيه المصطلحات البصريّة التي ذكرها الكنغراويّ في كتابه، وقد قسّمت البحث على هذين القسمين نسبة لطبيعة المصطلحات المتوافرة في الكتاب، وذيّلته بعض النتائج، وقائمة بالمصادر والمراجع.

التّمهيد:

أوّلًا: انتقال النّحو إلى الكوفة:

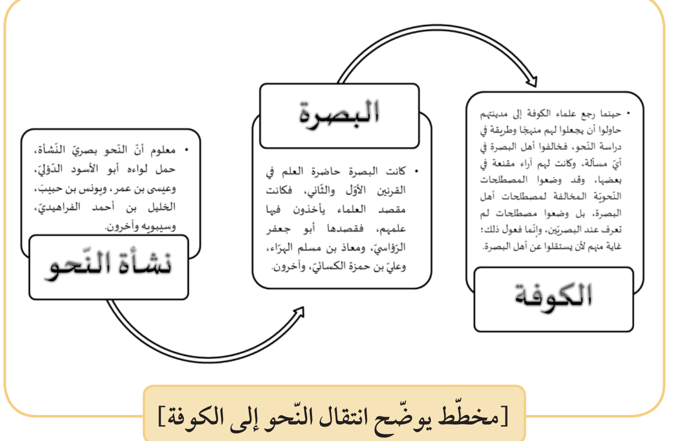
أجمع الباحثون على أن النّحو الكوفي تأخّر عن النّحو البصريّ بنحو قرنٍ من الزّمن، وقد اختُلف في مَن أسّس النّحو الكوفيّ، فذهب قوم إلى أنّ أبا جعفر الرّؤاسيّ هو المؤسّس الأوّل لهذا النّحو[١]، وهناك مَن ذهب إلى أن عليّ بن حمزة الكسائيّ هو مَن أسّس النّحو الكوفي ثمّ الفرّاء[٢]، ويبدو أنّ الكسائيّ هو مَن أسّس النحو الكوفيّ وسبقه علماء لم تصل إلينا آراؤهم كـ(معاذ بن مسلم الهرّاء)، و(أبي جعفر الرّؤاسيّ)، وقد انماز النّحو الكوفيّ على النّحو البصريّ بما يأتي:

(١) كتب الدّكتور عبد العال سالم مكرم بحثًا عنوانه: أبو جعفر الرّؤاسيّ المؤسّس الأوّل للنّحو الكوفيّ، وكذلك كتب الدّكتور عبد الله الجبوريّ كتابًا قيّمًا عنوانه: أبو جعفر الرّؤاسيّ نحويّ من الكوفة.

(٢) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللّغة والنّحو ٧٤.

- اختلف الكوفيّون عن البصريّين بالتّطبيق العمليّ لطريقة القياس، فالكوفيّون لا يتشدّدون في القياس كما هو الحال عند أهل البصرة، بل يقيسون على الشّاهد الواحد، وبهذا لهم أقيسة وتعليلات أقلّ تشدّدًا من أهل البصرة[(١)].
- اعتمد الكوفيّون على القراءات القرآنيّة ولا سيّما الشّاذّة منها في كثير من آرائهم النّحويّة؛ لأنّ معظم نحويي الكوفة من القرّاء، وهذا خلاف البصريّين الذين لم يعتمدوا كثيرًا على القراءات الشّاذّة.
- توسّعوا في الرّواية والشّاهد الحجّة زمانًا وماكنًا[(٢)].

وخلاصة القول: أنّ النّحو الكوفيّ بدأ بداية حقيقيّة عند الكسائيّ وتلميذه الفرّاء، فهما اللّذان رسما صورة هذا النّحو، ووضعا أسسه وأصوله، وأعدّاه بحذقهما ليكون له خواصّه التي تميّزه عن النّحو البصريّ.



[مخطّط يوضّح انتقال النّحو إلى الكوفة]

ثانيًا: المصطلح النّحويّ:

هو اتّفاق بين النّحويّين على ألفاظ معيّنة تؤدي إلى معانٍ ومفاهيم مستقّرة عندهم[(٣)]، والنّحو بوصفه علمًا يجب أن تتوافر فيه مصطلحات خاصّة به تكون أعلامًا على موضوعاته ومعانيه يطلقها أصحابه لأجل أن يفهمها الدّارسون من أهلها[(٤)].

ثالثًا: المصطلح النّحويّ في الكوفة:

ممّا اختلف به أهل الكوفة على أهل البصرة هو تبنّيهم لبعض المسائل

(١) ينظر: التّراث النّحويّ في الكوفة وأثره في تفسير القرآن ٣٦.

(٢) ينظر: المدارس النّحويّة (د. خديجة الحديثيّ) ١٨٠.

(٣) ينظر: المصطلح النّحويّ، نشأته وتطوّره ٢٢.

(٤) ينظر: المصطلح النّحويّ في كتاب سيبويه ٢.

والمصطلحات التي لم تكن معروفة عند أهل البصرة، فمثلًا يستعملون مصطلح: الخلاف، والخروج، والصّرف، ومثل هذه المسائل والمصطلحات لم يستعملها البصريّون.

ولم يبتعد المصطلح النّحويّ عن الخلاف بينهم وبين أهل البصرة؛ لأنّ خلاف النّحويّين لم يتوقف عند المسائل النّحويّة فقط وإنّما تجاوزه وتعدّاه إلى الخلاف في المصطلحات كذلك، فقد استعمل الكوفيّون مصطلحات تختلف عن مصطلحات أهل البصرة[١]، كقولهم: الفعل الدّائم، أي: اسم الفاعل، والنّعت، أي الصّفة[٢]، وكذلك استعملوا مصطلحات لم تكون معروفة عند أهل البصرة، كما قلنا سابقًا، كالخلاف، والصّرف والخروج[٣]، وإعراضهم عن بعض مصطلحات أهل البصرة، كالمفاعيل ولام الابتداء واسم الفعل[٤].

وهذا الاختلاف في المصطلحات لم يأتِ من عبث، وإنّما كان لأجل استقلالهم عن مذهب البصريّين، وتأسيس مذهبهم الخاصّ؛ وتأسيس المذهب النّحويّ لابدّ له من مصطلحات خاصّة به يعرف بها عن غيره[٥]، ويُعدّ الكسائيّ شيخ المدرسة الكوفيّة ومؤسّس مصطلحاتها، ثمّ جاء بعد الفرّاء ليتبنّى طريقة شيخة الكسائيّ في وضع المصطلحات، وإن كان يخالفه [أي: الفرّاء يخالف الكسائيّ] في كثير من مذاهبه، والذي عُرفَ [أي: الفرّاء] بمخالفة سيبويه في ألقاب الإعراب إلى حروف الإعراب[٦].

رابعًا: أبرز نحويي الكوفة:

يعدّ عليّ بن حمزة الكسائيّ (ت: ١٨٩هـ) وأبو زكريّا الفرّاء (ت: ٢٠٧هـ) وأحمد بن يحيى المعروف بثعلب (ت: ٢٩١هـ)، أعمدة مدرسة الكوفة[٧]، فهم

(١) ينظر: المصطلح النّحويّ، نشأته وتطوّره ١٦٢

(٢) ينظر: المدارس النّحويّة (د. خديجة الحديثيّ) ١٦٧.

(٣) ينظر: أبو زكريّا الفرّاء ومذهبه في النّحو واللّغة ٤٥٣.

(٤) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللّغة والنّحو ٣٠٧و٣٠٨.

(٥) ينظر: التّراث النّحويّ في الكوفة وأثره في تفسير القرآن في القرنين الرّابع والخامس للهجرة ٢٩٤.

(٦) ينظر: مراتب النّحويّين ١٠٦.

(٧) سبق الكسائيّ والفرّاء وثعلب علماء كوفيّين لم تصل إلينا آراؤهم، إلّا أن بعضهم أخذ عن بعض، حتّى وصلت الحلقة إلى معاذ بن مسلم الهرّاء، وأبو جعفر الرّؤاسيّ، إلّا أنّنا نقول بأنّ الكسائيّ =

مَـن وضعوا أسـس هـذه المدرسـة، وهم مَن جعلوا مدرسة الكوفة لها استقلال عن مدرسـة البصرة، فكانت لهـم آراء تختلف عن آراء البصريّين، ووضعوا المصطلحات النّحويّة سـواء الخاصّة بهم كونهم من أهل الكوفة أم مقابلات لمصطلحات بصريّة أم نفيهم لبعض مصطلحات أهل البصرة[(١)].

❁ الكسائيّ:

يُعـدّ علـيّ بن حمزة الكسـائيّ شـيخ المدرسـة الكوفيّـة النّحويّـة ومؤسّـس مصطلحاتها[(٢)]، فقد نسب له مصطلحات كالمـردود على المضمـر، ولا يقول عنه: البدل[(٣)]، وكذلك له مصطلح: الدّعامة أو العماد[(٤)]، وكذلك له مصطلح: القطع[(٥)]، والمصدر[(٦)]، والنّعت[(٧)]، وغيرها.

❁ الفرّاء:

هـو أعلـم أهـل الكوفـة بالنّحـو بعـد الكسائيّ، أخذه علمه عنه، وهو عمدته، ثمّ أخذ عن أعراب وثق بهم، كـ(ابن الجرّاح) و(أبو ثـروان)، وكذلك أخذ عن يونس بن حبيب، وقد خالف شيخه الكسائيّ في كثير من مذاهبه، وقد اشـتهر بخلافه لسـيبويه، فقد تعمّد خلافَه، حتى في ألقاب الإعراب، فـكان يسـمّيها: حـروف الإعـراب[(٨)]، ونُسِـبَ لأبـي زكريّا الفـرّاء عـدد كبير من المصطلحـات ذكرهـا بالتّفصيـل الدّكتور أحمد مكيّ الأنصـاريّ في كتابه: أبو زكريّا الفـرّاء ومذهبـه في النّحو واللّغـة[(٩)]، ومن هـذه المصطلحات: الفعل الذي لم يسـمَّ فاعله[(١٠)]، والفعل الواقع وغير الواقع[(١١)]،

= والفرّاء هما قمّة النّضج والتّكامل في النّحو الكوفيّ، وتبعهـم ثعلـب الـذي كان لـه الفضل في اسـتمرار هـذا المذهب والتّرويـج له، ينظر: مدرسـة الكوفة ومنهاجها في اللّغة والنّحو ٨٤.

(١) ينظـر: المـدراس النّحويّـة (د. خديجـة الحديثيّ) ١٦٢ و١٦٣.

(٢) ينظر: القطع والائتناف ٥٤.

(٣) ينظـر: تفسـير القرطبـيّ (الجامع لأحـكام القرآن) ١٤/ ٢٦٨.

(٤) ينظر: معاني القرآن (الكسائيّ) ١٦٤.

(٥) ينظر: معاني القرآن (الكسائيّ) ٩٦و١٥٦و٢٠٧.

(٦) ينظر: معاني القرآن (الكسائيّ) ١٠٩.

(٧) ينظر: معاني القرآن (الكسائيّ) ١٩٠و٢٢٤.

(٨) ينظر: مراتب النّحويّين ١٠٥ و١٠٦.

(٩) ينظـر: أبـو زكريّـا الفـرّاء ومذهبه في النحـو واللّغة ٤٣٦ وما بعدها.

(١٠) ينظـر: ينظـر: معـاني القـرآن (الفـرّاء) ١/ ٣٠٣ و٢/ ٢١٠ و٣/ ٥٣.

(١١) ينظـر: معاني القرآن (الفرّاء) ١/ ١٦و١٧و٢١و٤٨و٧٩و٢/ ٢١و١٥٠و٣/ ١٧١و٢٢٨.

والفعـل المسـتقبل[١]، والفعـل الدّائم[٢]، والتّفسير[٣]، وغيرها كثير.

❁ ثعلب:

هـو ثالث ثلاثـة قامت علـى أعمالهم مدرسة الكوفة النّحويّة[٤]، وثعلب كان قد وجّه عنايتـه إلى كتب الكسـائيّ والفرّاء، وكان فضله على مدرسـة الكوفة أنّه جعل مـن مدرسـة الكوفـة تسـتمر وروّج لها، وأكمـل سلسـلة علمائهـا بعد الكسـائيّ والفـرّاء[٥]، كثيـرة هـي المصطلحـات النّحويّـة التـي وردت في كتابـه: مجالس ثعلب، ومنها: الفعل ما لم يسـمَّ فاعله[٦]، التّفسـير أو المفسّـر[٧]، الكنايـة أو المكني[٨]، وغيرها.

(١) ينظر: معاني القرآن (الفرّاء) ١/ ١٦٥.

(٢) ينظـر: معاني القـرآن (الفـرّاء) ١/ ٣٢و٣٣ و١٦٥ و٢/ ٤٢٠.

(٣) ينظر: معاني القرآن (الفرّاء) ١/ ٧٩و٢٢٥.

(٤) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللّغة والنّحو (د. مهدي المخزومي) ١٤٤.

(٥) ينظـر: مدرسـة الكوفـة ومنهجها في اللّغـة والنّحو ١٥٢.

(٦) ينظر: مجالس ثعلب ١/ ٢٠٨.

(٧) ينظر: مجالس ثعلب ١/ ٢٦٥و٤٣٧.

(٨) ينظر: مجالس ثعلب ١/ ٤٣و٣٣٢.

خامسًا: أوّل مدوّنة متكاملة في النّحو الكوفيّ:

جمع السّـيد صـدر الدّيـن الكنغراويّ رسالة في النّحو الكوفيّ عنوانها: الموفي في النّحو الكوفي، والكنغراويّ: هو أبو طلحة عبد القادر صدر الدّين بن عبد الله بن عبد القـادر بن عبـد الله بن حسـن الكنغراويّ الإسـتنابوليّ الحنفيّ السّـلفيّ، ولد سـنة ثمـانٍ وسـبعين ومئتيـن وألـف هجريّـة، تتلمـذ علـى شـيوخه بالآسـتانة، وكان عضـوًا في مجلـس المعارف بها، وأسـتاذ حكمة التّشريع في جامعتها، ألف باللّغتين العربيّـة والتّركيّـة ، ومن مؤلفاتـه: تاريخ دول الإسـلام، وطبقـات المصنّفيـن في العلوم الإسـلاميّة قرنًا بعد قرن إلى عصر المؤلـف، وطبقـات الحنفيّـة، ومختصر تهذيـب الكمـال في الحفّاظ، ورسـالة في النّحو، ورسـالة في العروض، والموفي في النّحـو الكـوفي، وكانـت وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شهر رمضان سـنة تسعٍ وأربعين وثلاثمئة وألـف هجريّـة في الآسـتانة، وقـد قارب عمره السّبعين[٩]، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٩) ينظر: مقدّمة المحقّق: محمّد بهجة البيطار، الموفي في النّحو الكوفيّ ١٤. لخّصتها في هذه الأسطر.

ويعدّ كتاب: الموفي في النّحو الكوفيّ، أوّل مدوّنة متكاملة تجمع بين دفتيها النّظريّة النّحويّة الكوفيّة، قال في مقدّمة كتابه: «فهذا كتاب نحوٍ وضعته على مذهب الأئمّة الكوفيّين ومصطلحاتهم...»[١]، فقد أوجب نفسه بأنّه وضع كتابه على مذهب أهل الكوفة ومصطلحاتهم، وسبب كتابته هذا الكتاب[٢]:

- أنّ النّحو الكوفيّ ينبني عليه وجوه من القراءات القرآنيّة.
- أنّ النّحو الكوفيّ ينبني عليه الوجوه المحتمَلة عن الفصحاء والبلغاء، كعاصم بن أبي النّجود (ت: ١٢٧هـ)، وسليمان الأعمش (ت: ١٤٨هـ)، وحمزة (ت: ١٥٦هـ)، والكسائيّ.

علمًا أنّ منهج الكنغراويّ في هذا الكتاب أنّه قسّمه على ثلاثة أقسام رئيسة، هي: الأسماء والأفعال والحروف، ضمّن في الأسماء: المرفوعات والمنصوبات والمجرورات ثم التّوابع ثمّ الأسماء العاملة فالكنايات (الضّمائر)، وبعدها جاء إلى القسم الثّاني: وهو الأفعال الذي ضمّنه النّواصب والجوازم وأفعال القلوب، وأفعال التّحويل، وأفعال المقاربة، والأفعال النّاقصة، ثم تناول القسم الثّالث: الحروف وقد ضمّنه حروف الإضافة، وحروف العطف، وحروف الشّرط، وحروف الاستفهام، وغيرها.

المبحث الأوّل: مصطلحات كوفيّة

ادّعى السّيّد صدر الدّين الكنغراويّ، في كتابه: الموفي في النّحو الكوفيّ أنّه أورد فيه مصطلحات أهل الكوفة، قال: « فهذا كتاب (نحو) وضعته على مذهب الأئمّة الكوفيّين ومصطلحاتهم»[٣]، وإنّ هذا الكتاب - وإن كان متأخّرًا - هو أوّل كتاب يتناول المصطلحات النّحويّة الكوفيّة، ولكنّه لا يحتوي المصطلحات الكوفيّة المعروفة منها، والذي ألزم نفسه بها في مقدّمته للكتاب، فقد أورد نوعين من المصطلحات، الأولى: مصطلحات كوفيّة، والأخرى: بصريّة لها بديل كوفي لكنّه أورد البصريّ منها! ، وقد قسّمت البحث على هذين القسمين، وهذا هو الأوّل، أي: المصطلحات الكوفيّة:

(١) الموفي في النّحو الكوفيّ ١٦.
(٢) ينظر: الموفي في النّحو الكوفيّ ٩ (المقدّمة).
(٣) الموفي في النّحو الكوفيّ ١٦.

أوّلًا: مصطلحات كوفيّة لها مقابل بصريّ:

❁ التّرجمة[1]:

مصطلح كوفيّ ورد في معاني القرآن للفرّاء[2]، ومجالس ثعلب[3]، وأهل الكوفة يقصدون بهذا المصطلح بـ(البدل) عند البصريّين، ومصطلح التّرجمة أولى من استعمال مصطلح البدل؛ لأنّ أهل البصرة يعنون بكلمة (البدل) هو إبدال كلمة من أخرى في الحكم، وهو اعتبار يكاد يكون لفظيًّا محضًا، وعليه فإنّ مصطلح أهل الكوفة أفضل من مصطلح أهل البصرة[4]، على اعتبار إنّه بيان وترجمة للفظ السّابق، وإنّ مصطلح التّبيين - وإن كان كوفيّ النّسب - إلّا أنّ المبرّد قد استعمله[5]، وهذا دليل على حريّة الفكر عند هؤلاء العلماء[6].

(١) ورد هذا المصطلح في: الموفي في النّحو الكوفيّ ٦٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن (الفرّاء) ١/ ٧ و١/ ٥٦ و٢/ ١٠ و٢/ ١٧٨.

(٣) ينظر: مجالس ثعلب: ٢٠.

(٤) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللّغة والنّحو ٣١٠.

(٥) ينظر: المقتضب ٣/ ٢٧٢.

(٦) ينظر: المصطلح النّحويّ نشأته وتطوّره حتّى أواخر القرن الثّالث الهجريّ ١٦٤.

قال الكنغراويّ: «التّرجمة التّابع المقصود بالحكم دون متبوعه، ويكون مساويًّا لمتبوعه، وبعضه، وما يشتمل عليه، ومباينه وهو غلط، إلّا أن يكون لنكتة...»[7].

❁ التّبيين[8]:

ذكر أهل الكوفة هذا المصطلح وأرادوا منه أن يقابل مصطلح: (البدل) عند البصريّين، والكنغراويّ ذكره في كتابه عند تناوله معناي: من، حينما عدّد معانيها، قال: معانيها (الابتداء في الزّمان، والابتداء في المكان، والتّبيين، والتّبعيض، والتبديل، والزّيادة)[9].

وقدّ وضّح المحقق في الهامش دلالة قوله: التّبيين في شاهد قرآنيّ، قال تعالى: (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصّالحات منهم مغفرة) أي: الذين آمنوا منهم[10]، فالذي أراده الكنغراويّ من هذا المصطلح: البدل أو الإيضاح.

(٧) الموفي في النّحو الكوفيّ ٦٢.

(٨) ورد هذا المصطلح في: الموفي في النّحو الكوفيّ ١٢٣.

(٩) ينظر: الموفي في النّحو الكوفيّ ١٢٣.

(١٠) ينظر: الموفي في النّحو الكوفيّ ١٢٣ (الهامش).

❁ التّفسير[١] والمفسّر[٢]:

مصطلح قال به أهل الكوفة، أورده الفرّاء[٣]، وثعلب[٤]، وهذا المصطلح يُطلق على أكثر من باب نحويّ بصريًّا كان أم كوفيًّا، فأُريد به: التّمييز أو المفعول به أو المفعول معه، عند أهل البصرة[٥]، والذي أراده الكنغراويّ هو مصطلح التّمييز.

❁ العماد[٦]:

مصطلح كوفيّ ورد عند الكسائيّ[٧]، والفرّاء[٨]، وهو يقابل ضمير الفصل عند البصريّين، ويقصد به: هو الضّمير الذي يفصل بين المبتدأ والخبر أو ما أصله مبتدأ وخبر[٩]، ليعرف السّامع أنّ المقصود بعده خبر له لا تابع، وسبب

(١) ورد هذا المصطلح في: الموفي في النّحو الكوفيّ ١٤٢.

(٢) ورد هذا المصطلح في: الموفي في النّحو الكوفيّ ٩٠و٩٧.

(٣) ينظر: معاني القرآن (الفرّاء) ١/ ٧٩و٢٢٥.

(٤) ينظر: مجالس ثعلب: ٢٦٥و٤٣٧.

(٥) ينظر: المدارس النّحويّة أسطورة وواقع ١٢٥و١٢٦.

(٦) ورد هذا المصطلح في: الموفي في النّحو الكوفيّ ٨٨.

(٧) ينظر: معاني القرآن (الكسائيّ) ١٦٤.

(٨) ينظر: معاني القرآن (الفرّاء) ٣/ ٢٩٩.

(٩) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللّغة والنّحو ٣١٢.

تسمية الكوفيّين هذا الضّمير (عمادًا)؛ لأنّه يعتمد في الفائدة، إذ به يتبيّن الخبر، أي أنّه حافظًا لما بعده حتى لا يسقط عن الخبريّة كالعماد في البيت الحافظ للسّقف من السّقوط[١٠].

❁ الكناية[١١] والمكنيّ[١٢]:

ورد هذا المصطلح عند أهل الكوفة، فقد ورد عند الفرّاء[١٣]، وثعلب[١٤]، ويراد منه الضّمير[١٥]، ويطلقونه على الضّمير الغائب، والظاهر، أي: أنّه يطلق على اسم المتكلّم في خطابه إذا خاطب، وعلى اسم المخاطب في خطابه إذا خوطب، و على اسم الغائب بعد أن جرى ذكره[١٦].

(١٠) ينظر: شرح الرّضي على الكافية: ٢/ ٤٢.

(١١) ورد هذا المصطلح في: الموفي في النّحو الكوفيّ ٣٠و٧٤و٧٥و٨٤و٨٩.

(١٢) ورد هذا المصطلح في: الموفي في النّحو الكوفيّ٢٥، و٢٨، و٢٩، و٤٦، و٦٣، و٦٤، و٦٥، و٧٥، و٧٨، و٨٣، و٨٧، و٩٧، و، ١١٥، و١٢٣، و١٢٥، و١٢٦.

(١٣) ينظر: معاني القرآن (الفرّاء) ١/ ٥٠ و١/ ١٠٤ و٢/ ١٠ و٣/ ١٦.

(١٤) ينظر: مجالس ثعلب: ٤٣و٣٣٢.

(١٥) ينظر: شرح المفصّل ٣/ ١٥٣.

(١٦) ينظر: المصطلح النّحويّ نشأته وتطوّره ١٧٤.

❁ غير المُجرى[1]:

ذكر الكنغراويّ هذا المصطلح وأراد منه الممنوع من الصّرف، فقد عرّفه بقوله: هو « ما فيه علتان[2]، من العلل المذكورة، وهي ألف التّأنيث قائمة مقام علتين، والجمع قائم مقام علتين؛ شرطه أن يكون على وزن فَوَاعِل أو مَفَاعِيل، وله في الأصل كـ(حضاجر)، أو في التّقدير كـ(سراويل)»[3]، وقد نُسِب هذا المصطلح للفرّاء، وعلّل الدّكتور عوض حمد القوزيّ[4] ذلك بقوله: لأنّه أكثر مَن صنع مصطلحات الكوفيّين، ولأنّه عقد له بابًا خاصًّا في كتابه: الحدود النّحويّة، كما نقل عنوانه هذا الكتاب ابن النّديم في الفهرست[5]، وكذلك لكثرة استعماله لهذه المصطلح.

(١) ورد هذا المصطلح في: الموفي في النّحو الكوفيّ ١٩ و٢٠.

(٢) والعلل تسع هي: العدل والوصف والتّأنيث والمعرفة والعجمة ومنتهى الجموع والتّركيب والألف والنّون ووزن الفعل، وقد جمعت في:

عدل ووصف وتأنيث ومعرفة
وعجمة ثمّ جمع ثمّ تركيب
والنّون زائدة من قبلها ألف
ووزن فعل وهذا القول تقريب

(٣) الموفي في النّحو الكوفيّ ٢٠.

(٤) ينظر: المصطلح النّحويّ نشأته وتطوّره ١٦٦.

(٥) ينظر: الفهرست ١٠٦.

❁ لا التّبرئة[6]:

ورد هذا المصطلح في كتاب الموفي في النّحو الكوفيّ، في موضعين، الأوّل: في كثرة حذف خبر لا[7]، والثّاني: تناولها في باب عنوانه: منصوب لا التّبرئة[8]، ويراد بـ (لا التّبرئة): (لا التي لنفي الجنس)، ويبدو أنّ مصطلح أهل الكوفة أصوب من مصطلح أهل البصرة؛ لأنّها تفيد تبرئة المتكلّم للجنس، وتنزيهه عن الاتّصاف بالخبر[9].

❁ المصدر[10]:

مصطلح كوفيّ ذكره الكسائيّ[11]، ويطلقه أهل الكوفة على المفعول المطلق أو المفعول لأجله[12]، وأراد الكنغراويّ منه: المفعول المطلق.

(٦) ورد هذا المصطلح في: الموفي في النّحو الكوفيّ ٣٣ و٥١.

(٧) ينظر: الموفي في النّحو الكوفي ٣٣.

(٨) ينظر: الموفي في النّحو الكوفي ٥١.

(٩) ينظر: الموفي في النّحو الكوفي ٥١ (الهامش).

(١٠) ورد هذا المصطلح في: الموفي في النّحو الكوفيّ ٣٢ و٣٧ و٥٥ و٧٥ و٨٣ و١٠٠ و١٢٩.

(١١) ينظر: معاني القرآن (الكسائيّ) ١٠٩.

(١٢) ينظر: المدارس النّحويّة أسطورة وواقع ١٢٥.

❁ النّعت[١]:

مصطلح كوفيّ ورد عند الكسائيّ[٢]، يقابله عند أهل البصرة: الوصف أو الصّفة[٣]، والخلاف في هذا المصطلح جرى عند أهل البصرة، فيطلقون النّعت كذلك لكنّهم يريدون منها: الصّفة تارة، والموصوف تارة أخرى، ويطلقون الصّفة على التّوكيد كذلك، وأهل الكوفة اكتفوا بالنّعت ليدلّوا به على الصّفة[٤]، من العلماء مَن بيّن أن بين هذين المصطلحين اختلافًا؛ لأنّ النّعت يكون بالحليَة، كـ(طويل، وقصير)، والصّفة تكون بالأفعال كـ(ضارب، وخارج)[٥].

❁ حروف الإضافة:

من مصطلحات أهل البصرة، وهو مكوّن من جزأين، الأوّل منهما بصريّ والآخر كوفيّ، فالأوّل، أي: البصريّ: مصطلح الحروف، والثّاني، أي الكوفيّ: مصطلح الإضافة، فأهل الكوفة يطلقون على الحرف مصطلح الأداة، وسيأتي الكلام عنه، وإن كنّا نميل مع المصطلح البصريّ في ذلك.

أمّا المصطلح الآخر فهو مصطلح: الإضافة؛ وقد اختلف أهل الكوفة في اصطلاحٍ على حروف الجرّ، فقد اصطلحوا عليها: الجر بالخفض، فيقولون: أدوات الخفض، أو حروف الصّفات أو حروف الإضافة[٦]، أي: حروف الجرّ[٧]، وينقل الدّكتور مهدي المخزومي تعليل السّيوطيّ في سبب هذا الاصطلاح؛ لأنّها تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء وتوصلها إليها، فلذلك سمّيت بحروف الإضافة، أمّا السّيّد صدر الدّين الكنغراويّ فقد استعمل مصطلح حروف الإضافة[٨]، وهو مصطلح كوفيّ؛ على اعتبار أنّها تضيف معاني لما بعدها.

---

(١) ورد هذا المصطلح في: الموفي النّحو الكوفيّ ٣٢و٥١و٥٦و٥٨و٥٩و٦٣و٦٥و٦٦و٧٥و١٤٦.

(٢) ينظر: معاني القرآن (الكسائيّ) ١٩٠و٢٢٤.

(٣) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللّغة والنّحو ٣١٤.

(٤) ينظر: المصطلح النّحويّ نشأته وتطوّره ١٦٥.

(٥) ينظر: شرح المفصّل ٣/ ٨٥.

(٦) ينظر: معاني القرآن (الكسائيّ) ٧٦، ومعاني القرآن (الفرّاء) ١/ ٢و٧و١٠و١٤٨و٢/ ٣٨٥.

(٧) ينظر: شرح المفصّل ٨/ ١٦.

(٨) ينظر: الموفي في النّحو الكوفيّ ١٢٢.

ثانيًا: مصطلحات كوفيّة ليس لها مقابل بصريّ

الصّرف والخلاف والخروج، من المصطلحات الكوفيّة التي تفرّدت بها هذه المدرسة عن المدرسة البصريّة، وهذه المصطلحات الثّلاثة تتفق مع بعضها في المعنى والعمل، إذ معناها واحد هو عدم المماثلة في المعنى بين السّابق واللّاحق، وفي العمل النّحويّ من حيث نصب الاسم أو الفعل الذي بعدها إذا خالف ما كان حقّه أن يشاركه فيه من حكم ومعنى، ولكن تختلف من حيث العموم والخصوص، فالخلاف أعمّ المصطلحات الثّلاثة، إذ يمكن ذكره في كلّ موضع، أمّا الصّرف فلا يُذكر إلّا مع (واو المعيّة)، أو (فاء السّببيّة)[١]، والخروج أيضًا يدلّ على الخلاف، إذ هو مخالفة اللّفظ المتأخّر للّفظ المتقدّم في أحكامه، وسيأتي تفصيل ذلك عند الكنغراويّ:

❁ الصّرف:

مصطلح كوفيّ قال به الفرّاء[٢]، وهو مصطلح كوفيّ لم يرد عند أهل البصرة، يطلقها الكوفيّون على الواو والفاء وأو، التي ينتصب الفعل المضارع بعدها، مسبوقة بنفي أو طلب، وهي النّاصبة للفعل عند جمهور الكوفيّين وإمّا الفرّاء فالنّاصب للفعل هو الصّرف[٣]، لكنّه لم يرد في كتاب: الموفي في النّحو الكوفيّ، وهو أمر غريب؛ لأنّ هذا المصطلح من أشهر مصطلحات أهل الكوفة، ولم يرد في كتاب يدّعي صاحبه: أنّه في المصطلح الكوفيّ! ، أو قد يكون الكنغراويّ سار على ما قاله رضي الدّين الأستراباذيّ في شرحه على كافية ابن الحاجب، حينما جعل من الخلاف والصّرف مصطلحان مترادفان[٤].

❁ الخلاف أو الخروج[٥]:

مصطلح كوفيّ ورد عند الفرّاء[٦]، والكنغراويّ[٧]، وهذا المصطلح أي:

(١) ينظر: معاني القرآن (الفرّاء) ١/ ٣٤.

(٢) ينظر: معاني القرآن (الفرّاء) ١/ ٣٣و١/ ٢٣٥.

(٣) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللّغة والنّحو ٣٠٦.

(٤) ينظر: شرح الرّضي على الكافية ٢/ ٢٤١.

(٥) ينظر: الموفي في النّحو الكوفيّ ١٠٧.

(٦) ينظر: معاني القرآن (الفرّاء) ٣/ ٢٠٨.

(٧) ينظر: الموفي في النّحو الكوفيّ ١٠٧.



الخلاف، فيراد به: « عامل معنوي عند الكوفيّين، إذا قالوا: إنّ الظّرف ينتصب على الخلاف، إذا وقع خبرًا للمبتدأ نحو: زيدٌ أمامك وعمر وراءك، وهذه المسألة رفضها أهل البصرة؛ لأنّ العامل عندهم هو منصوب بفعل مقدّر والتّقدير: زيدٌ استقرّ أمامَك، وعمر استقرّ وراءك»[1].

وقد استعمل الكنغراويّ هذا المصطلح [أي: الخلاف] بالشّكل الصّحيح حينما تناول الخبر إنْ كان شبه جملة، فتناوله في موضوع باب: المبتدأ المخالف، قال: « فهو محلٌ [أي: ظرف] أو جار ومجرور، أُسند إلى فاعلٍ عامله الخلاف، نحو: عندَك زيدٌ، وحكمه حكم الفعل مع فاعله[2]»[3].

وكذلك تناوله في موضع آخر في كلامه عن **الخبر المخالف** ينما قال: «فهو محلٌّ، أو جارٌ ومجرور أيضًا، أُسند إلى المبتدأ، نحو: زيدٌ عندَك ، وعامله الخلاف أيضًا»[4].

وتناوله في موضع ثالث، في باب: **النّعت المخالف**، حينما قال: « فهو محلٌّ، أو جارٌ مع المجرور يبيّن وصف نكرة، نحو رجل من الكرام عندنا، ولا يتقدّم على المنعوت»[5].

وتناوله في موضع آخر حينما تناول المفعول فيه، قال: « وهو المسمّى حالًا وصفةً ما فيه الفعل من زمان أو مكان مبهم، وينوب عنه ما دلّ عليه، نحو: جاء زيد وحدَه، أي: زمان انفراده، وحكمه حكم المفعول به، ومنه جئتُ وزيدًا، الواو: اسم بمعنى مع، مفعول فيه، انتقل إعرابه إلى ما بعده كالضّارب، وقيل: هو منصوب بالخلاف»[6].

وخلاصة القول: أنّ الكنغراويّ جعل من معنى مصطلحي الخلاف والخروج واحدًا، ولم يذكر منها إلّا الخلاف.

(١) المصطلح النّحويّ نشأته وتطوّره ١٨٨ .

(٢) أي لأنّهم يوجبون ارتفاع (زيدٌ) في نحو عندك زيدٌ؛ لأنّهم – أي: أهل الكوفة – يضمنّون الظّرف معنى الفعل.

(٣) الموفي في النّحو الكوفيّ ٣٦.

(٤) الموفي في النّحو الكوفيّ ٣٦.

(٥) الموفي في النّحو الكوفيّ ٣٧.

(٦) الموفي في النّحو الكوفيّ ٤٢و٤٣.

المبحث الثّاني: مصطلحات بصريّة

استعمل السّيد صدر الدّين الكنغراويّ، مصطلحات بصريّة في كتابه: الموفي في النّحو الكوفيّ، وهذه المصطلحات [أي: البصريّة] على نوعين الأوّل منها مصطلحات بصريّة لها مقابلات كوفيّة لكنّه استعمل البصريّ منها، والثّاني منها: بصريّة لم يكن لها مقابلات كوفيّة، وقد استعملها، والنّوعان اللّذان وردا في كتابه:

أوّلًا: مصطلحات بصريّة لها مقابلات كوفيّة لكنّه لم يستعملها:

كثيرة هي المصطلحات التي وردت عند أهل البصرة واستعملها أهل الكوفة ولكن بتغير اسمها إلى مصطلح اختاروه؛ ليكون أدقّ في العبارة من مصطلح البصريّين، وقد عمل الدّكتور مهدي المخزوميّ في كتبه: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللّغة والنّحو، ثلاثة تقسيمات للمصطلحات النّحويّة[١]:

- **مصطلحات كوفيّة لم يعرفها البصريّون**، كالخلاف والخروج.
- **مصطلحات بصريّة لم يعرفها الكوفيّون**، كلام الابتداء واسم الفعل.
- **مصطلحات كوفيّة بصريّة**، أي: أنّ أهل البصرة وضعوا مصطلحًا لمفهوم معيّن، وقد قابله أهل الكوفة لذلك المفهوم بمصطلح آخر، كالفعل الدّائم عند أهل الكوفة واسم الفاعل عند أهل البصرة، والجحد عند أهل الكوفة والنّفي عند أهل البصرة.

وما يهمّنا في هذا المبحث هو القسم الثّالث؛ لكنّ الكنغراويّ أعرض عن بعض المصطلحات الكوفيّة المشهورة ليستعملَ مصطلحات بصريّة بديلة عنها، ومن هذه المصطلحات:

اسم الفاعل:

لأهل الكوفة مصطلحات خاصّة عُرِفُوا بها، كالخلاف والخروج وغيرها

(١) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللّغة والنّحو ٣٠٥.

التي أضحت كالعلم لهم، ومن هذه المصطلحات، قولهم: الفعل الدّائم[1]، فهو من أشهر مصطلحاتهم، أطلقه الفرّاء على اسم الفاعل؛ لقرب الفعل من اسم الفاعل في العمل والمعنى، وهناك من أهل الكوفة من يسمّيه فعلًا إذا كان عاملًا، فهو عندهم ثالث أقسام الأفعال[2]، وهذا المصطلح [أي: الفعل الدّائم] مشهور عند أهل الكوفة، لكنّ الكنغراويّ لم يذكره في كتابه الذي قال عنه: إنّه يشتمل على مصطلحات أهل الكوفة!، واستعمل بدلًا منه، مصطلح: اسم الفاعل، واسم الفاعل: مصطلح بصريّ معروف، وقد تكوّن هذا المصطلح عن طريق التوليد بالمجاز؛ أي أنّه اسم من يقوم بالفعل، فإن قلنا: كاتب، فهو مَن قام بالكتابة.

أمّا الكنغراوي فقد استعمل مصطلح: اسم الفاعل[3]، ويبدو أنّ تسمية الكنغراويّ للفعل الدّائم بـ(اسم الفاعل) كان أفضل؛ لأنّ تسميته بـ(الفعل) أو بـ(الفعل الدّائم) فيه تجوّز كبير؛ لأنّ علامات الفعل لا تنطبق عليه، وحينها يخرج من دائرة الأفعال، أمّا تسميته: (الفعل الدّائم) فكذلك فيه تجوّز كبير؛ فاختلاف النّحويّين في عمله إن كان ماضيًا أو كان بمعنى الحال والاستقبال كبير، وكونه يعمل عمل الفعل، فذلك لا يخرجه عن دائرة الأسماء؛ لانطباق علامات الأسماء عليه من تنوين وتعريف وإضافة[4].

۞ الحروف:

لم يستعمل أهل الكوفة مصطلح الحروف، وإنّما ما اشتُهر عنهم هو استعمالهم لمصطلح: الأدوات، فقد جعله الفرّاء يقابل مصطلح الحروف[5]، وخاصّة حروف المعاني، وكان يخصّص ما جاء منها لمعنى آخر[6]، فكان يسمّي: أدوات الجحد للدّلالة على حروف النّفي، وأدوات الإجابة للدّلالة على حروف

(١) ينظر: معاني القرآن (الفرّاء) ١/ ٣٢ و٣٣ و١٦٥ و٢/ ٤٢٠، وشرح القصائد السّبع الطّوال ٢٤٤، ومدرسة الكوفة ومنهجها في اللّغة والنّحو ٣١٠.

(٢) ينظر: مجالس ثعلب ١/ ٤٤، ومجالس العلماء ٢٦٥.

(٣) ينظر: الموفي في النّحو الكوفيّ ٧٧.

(٤) ينظر: المصطلح النّحويّ نشأته وتطوّره ١٨٦.

(٥) ينظر: معاني القرآن (الفرّاء) ٢/ ٣٧١و٣٩٦.

(٦) ينظر: معاني القرآن (الفرّاء) ١/ ٥٨.

الإجابة كـ(نعم) و(بلى)، واستعمال أهل الكوفة لـلأدوات رجّحه الدّكتور مهدي المخزوميّ[1] والدّكتور أحمد مكيّ الأنصاريّ[2]؛ لما فيه من دقّة في الدّلالة واختصار في اللّفظ.

وهناك من أهل البصرة مَن استعمل مصطلح الأداة، كما في: الأصول في النّحو لابن السّرّاج[3]، وفي سرّ صناعة الإعراب لابن جنيّ[4]، وفي درّة الغواص في أوهام الخواص للحريريّ[5].

أمّا الكنغراويّ فلم يستعمل مصطلح الأداة في كتابه، وإنّما استعمل مصطلح الحروف، ومنها: حروف الإضافة[6]، وحروف العطف[7]، وحروف النّفي[8]، حروف النّداء[9]، وهلم جرًّا، فالكنغراويّ

(١) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللّغة والنّحو ٣١٠.

(٢) ينظر: أبو زكريّا الفرّاء ومذهبه في النّحو واللّغة ٤٤٥.

(٣) ينظر: الأصول في النّحو ١/ ١٧٨و٢/ ٢١٥، ٢٣٥.

(٤) ينظر: سرّ صناعة الإعراب ١/ ١٧.

(٥) ينظر: درّة الغواص في أوهام الخواص ٢٥.

(٦) ينظر: الموفي في النّحو الكوفيّ ١٢٢.

(٧) ينظر: الموفي في النّحو الكوفيّ ١٣٤.

(٨) ينظر: الموفي في النّحو الكوفيّ ١٣٩.

(٩) ينظر: الموفي في النّحو الكوفيّ ١٤٠.

استعمل مصطلح الحروف ولم يرد عنده مصطلح الأداة.

ويبدو أنّ ما ذهب إليه الكنغراويّ هو الأرجح، وهو ما نذهب إليه؛ لأنّ مصطلح: الأدوات، التي هي جمع لـ(الأداة) مصطلح منطقيّ ورد عند أهل المنطق[10]، أمّا في المعجم، فالأداة تعني الآلة[11]، ومصطلح الحروف فهو جمع لـ(الحرف)، والحرف في المعجم: طرف الشّيء وحدّه[12]، يبدو أنّ هذا المصطلح، أي: الحرف، أفضل في الاستعمال من مصطلح: الأداة.

۞ حروف العطف:

يتكوّن هذا المصطلح من مصطلحين بصريّين، الأول: الحروف، وهو مصطلح بصري سبق أن تقدّمَ الحديث عنه، والثّاني: العطف، وهو مصطلح بصريّ قابله مصطلح: النّسق عند أهل الكوفة، فأهل الكوفة يقولون: أدوات النّسق[13] يريدون منه: حروف العطف.

(١٠) ينظر: المنطق ٤٦.

(١١) ينظر: تاج اللّغة وصحاح العربيّة ٥/ ١٣٤٥.

(١٢) ينظر: القاموس المحيط ٧٩٩.

(١٣) ينظر: معاني القرآن (الفرّاء) ١/ ٧٥و٢٣٥، ومجالس ثعلب ١/ ١٤٦.

قال الدّكتور مهدي المخزوميّ في كتابه: مدرسة الكوفة: إنّ مصطلح النّسق بصريّ، يقابله المصطلح الكوفيّ: النّسق، والمصطلح الكوفيّ أدقّ من المصطلح البصريّ؛ لاختصاصه وغنائه عن التّخصيص والتّقييد[١].

والكنغراويّ أعرض عن المصطلح الكوفيّ فقد اتّخذ من المصطلح البصريّ أفضليّة من المصطلح الكوفيّ، وقد تكوّن هذا المصطلح من مصطلحين وكلّ منهما بصريّ، الحروف وهو مصطلح بصريّ ذكرناه، ومصطلح النّسق أولى من العطف؛ لأنّ نسق الكلام هو: عطف الكلام بعضه على بعض، أمّا العطف، فيعني: الميل، وإن كان مصطلح عطف النّسق أفضل من سابقيه؛ لأنّ مصطلحا العطف والنّسق إذا اشتركا يكونا مصطلحًا أكثر دقّة[٢].

❁ حروف النّفي:

كذلك تكوّن هذا المصطلح من مصطلحين بصريّين، الأوّل: هو مصطلح: الحروف، وقد سبق إن تحدّثنا عنه، والآخر: وهو النّفي، وهذان المصطلحان بصريان، ما يهمّنا في هذه الفقرة هو المصطلح الثّاني منها، وهو: النّفي، فالنّفي هو مصطلح بصريّ معروف يقابله عند أهل الكوفة مصطلح: الجحد[٣]، فأهل الكوفة يستعملون: الجحد ويريدون منه النّفي، وقال الدّكتور مهدي المخزوميّ: إنّ الجحد مصطلح أقرب إلى اللّغة من مصطلح النّفي؛ لأنّ النّفي مأخوذ من ألفاظ المتكلّمين[٤]، أمّا الكنغراويّ صاحبنا فقد استعمل المصطلح البصريّ تاركًا المصطلح الكوفي[٥]، ولو أراد المصطلح الكوفي لقال: أدوات الجحد.

أي: كأنّنا حينما ننفي شيء نبعده منه، وأمّا مصطلح الجحد في المعجم فهي: الإنكار مع العلم[٦]، فمصطلح الجحد أفضل من مصطلح النّفي؛ لأنّنا ننكر الشّيء مع علمنا به.

---

(١) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللّغة والنّحو ٣١٥.

(٢) ينظر: المصطلحات النّحويّة في التّراث النّحويّ ١٦٨.

(٣) ينظر: معاني القرآن (الفرّاء) ١/ ٨ و٥٢ و١٢٥ و٢٢٨ و٢٣٥ و٣/ ١٣٧، ومجالس ثعلب ١/ ١٠١.

(٤) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللّغة والنّحو ٣٠٩.

(٥) ينظر: الموفي في النّحو الكوفيّ ١٣٩.

(٦) ينظر: تاج اللّغة وصحاح العربيّة ١/ ٢٧٦.

ثانيًا: مصطلحات بصريّة ليس لها مقابل كوفيّ لكنّه استعملها:

❁ المفعول فيه:

عرّف جمال الدّين الفاكهيّ المفعول فيه قائلًا: هو « المسمّى ظرفًا هو ما ذكر فضلة لأجل أمر وقع فيه أي فيما ذُكِرَ من اسم زمان بيان لما مطلقًا، أي: سواء كان مبهمًا أم مختصًا أم معدودًا كصمت يوم الخميس، أو حينًا، أو زمانًا»[(١)]، والمفعول فيه مصطلح بصريّ لم يعرفه الكوفيّون، ولم يعطوا مقابلًا له.

قال الدّكتور مهدي المخزوميّ: لم يعرف الكوفيّون من المفاعيل إلّا المفعول به؛ لأنّهم لا يرون المفاعيل [إلّا المفعول به] ممكن أن تقابل الفاعل بحيث يكون قد وقع عليها الفعل، فأطلقوا على بقيّة المفاعيل اسم شبيهات بالمفعول؛ لأنّ الرّابط المشترك بينها هو النّصب، فكما يكون المفعول به منصوب تكون المشبّهات منصوبات[(٢)].

(١) شرح الحدود النّحويّة ١٦٢.

(٢) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللّغة والنّحو ٣٠٩.

أمّا الكنغراويّ فقد استعمل المصطلح البصريّ[(٣)]، وهو مكوّن من مقطعين الأول: مفعول كما هي عادة أهل البصرة في تسميتهم المفاعيل، والثّاني: فيه، أي: ما يكون الفعل واقعًا فيه زمانًا أو مكانًا.

النّتائج:

يعتبر كتاب الموفي في النّحو الكوفيّ هو أوّل مدوّنة عن النّحو الكوفيّ ومصطلحاتهم، كما يقول مؤلفه عنه، ولكن تبيّن لي من خلال فحص المصطلحات النّحويّة لهذا الكتاب، أنّي وجدته غير موفقٍ في ذكره لمصطلحات أهل الكوفة - على الرّغم من تأخّره زمنيًّا - أي: كان لابدّ له من أن يستفيد ممّن سبقه في التّصنيف في هذا الغرض أي: في النّحو الكوفيّ؛ لكنّه كان يذكر الكثير من المصطلحات البصريّة التي لها مقابل كوفيّ، ولم يلتزم بالمصطلحات الكوفيّة،

(٣) ينظر: الموفي في النّحو الكوفيّ ٤٢، قال: «المفعول فيه: هو المسمّى حالًا أو صفة، ما فيه الفعل وزمان أو مكان مبهم، وينوب عنه ما دلّ عليه، نحو: جاءني زيد وحده، أي: زمان انفراده، وحكمه حكم المفعول به... والمفعول فيه... منصوب بالخلاف».

كاستعماله: اسم الفاعل، وأهل الكوفة يجمعون على أنهم يسمّونه: الفعل الدّائم، وكذلك استعماله لـ(الحروف)، وأهل الكوفة يسمّونها: أدوات، واستعماله لمصطلح: النّفي، وأهل الكوفة يسمّونه: الجحد، أي: لا يمكن أن نقول عن هذا الكتاب: إنّه يشتمل على المصطلح الكوفيّ، لأسباب منها:

- لم يشتمل الكتاب على كلّ المصطلحات الكوفيّة من ناحيّة التّعريفات ومفاهيمها، أي: أنّه لم يذكر أبرز المفاهيم التي تدلّ عليها المصطلحات الكوفيّة.
- أغلب مصطلحات الكتاب هي مصطلحات بصريّة، وكأنّ الكنغراويّ يمزج بين المصطلحات البصريّة و المصطلحات الكوفيّة.
- ذكر الكنغراويّ مصطلحات بصريّة لها مقابلات كوفيّة، كاستعماله لمصطلح اسم الفاعل بدلًا من الفعل الدّائم.
- استعمل مصطلحين الأوّل بصريّ والآخر كوفي في آنٍ واحد، كما هو الحال في استعماله لمصطلح التّمييز وهو مصطلح بصري، ويقابله من المصطلحات الكوفيّة: المفسّر، وقد جاء بالمصطلحين في مكان واحد، وهو أمر غريب.
- استعمل الكنغراويّ مصطلحات بصريّة ليس لها مقابل كوفي، كـ(المفعول فيه).

فمن خلال ما تقدّم يتبيّن أن هذا الكتاب لا يمكن عدّه مدوّنة للمصطلحات الكوفيّة، وتصفّح فهرست الكتاب يكفيك لأن تلاحظ ذلك.

ملحق:



[مخطّط بالمصطلحات الواردة في الكتاب]



قائمة المصادر والمراجع:

❁ القرآن الكريم.

❁ أبو جعفر الرّؤاسيّ المؤسّس الأوّل للنّحو الكوفيّ: الدّكتور عبد العال سالم مكرم، مجلّة الضّادّ، الجزء الثّالث، تموز ١٩٨٩م.

❁ أبو زكريّا الفرّاء ومذهبه في النّحو واللّغة: الدّكتور أحمد مكي الأنصاريّ، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة – مصر، ١٩٦٤م.

❁ الأسس اللّغويّة لعلم المصطلح: الدّكتور محمود فهمي حجازي، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة – مصر.

❁ الأصول في النّحو: ابن السّرّاج، دار البشير، بيروت – لبنان.

❁ تاج اللّغة وصحاح العربيّة: أبو نصر الجوهريّ، المتوفّى سنة ٣٩٨ للهجرة، تحقيق: مكتب التّحقيق بدار إحياء التّراث العربيّ، الطّبعة الخامسة، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت – لبنان، ٢٠٠٩م.

❁ جامع البيان عن تأويل القرآن: محمّد بن جرير الطّبريّ، المتوفّى سنة ٣١٠ للهجرة، تحقيق: محمّود شاكر الحرستانيّ، الطّبعة الأولى، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت – لبنان.

❁ الجامع لأحكام القرآن: الإمام القرطبيّ، المتوفّى سنة ٦٧١ للهجرة، الطّبعة الثّانية، دار التّراث العربيّ، بيروت – لبنان، ١٩٦٥م.

❁ درّة الغوّاص في أوهام الخواص: أبو القاسم الحريريّ، مطبعة الجوائب، ١٢٩٩هـ.

❁ سرّ صناعة الإعراب: ابن جنيّ، تحقيق: السّقا وآخرون، القاهرة – مصر، ١٩٥٤م.

❁ شرح الحدود النّحويّة: جمال الدّين الفاكهيّ، المتوفّى سنة ٩٧٢ للهجرة، تحقيق: الدّكتور محمّد الطيّب الإبراهيم، دار النّفائس، الطّبعة الأولى، بيروت – لبنان، ١٩٩٦م.

❁ شرح الرّضي على الكافية: رضي الدّين الأستراباذيّ، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات قار يونس، ١٩٧٨م.

❁ شرح القصائد السّبع الطّوال الجاهليّات: أبو بكر الأنباريّ، المتوفّى سنة ٣٢٨

للهجرة، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، الطّبعة الثّانية، دار المعارف، القاهرة – مصر، ١٩٦٩م.

- شرح المفصّل: ابن يعيش النّحويّ، المتوفّى سنة ٦٤٦ للهجرة، تحقيق: الأستاذ الدّكتور إبراهيم محمّد عبد الله، الطّبعة الأولى، دار سعد الدّين، دمشق – سورية، ٢٠١٣م.
- ضحى الإسلام: أحمد أمين، الطّبعة السّابعة، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة – مصر، ١٩٦٤م.
- الفهرست: ابن النّديم، المتوفّى سنة ٣٨٠ للهجرة، تحقيق: الدّكتور يوسف علي الطّويل، الطّبعة الثّانية، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٢م.
- القاموس المحيط: الفيروزاباديّ، المتوفّى سنة ٨١٧ للهجرة، تحقيق: مكتب تحقيق التّراث في مؤسّسة الرّسالة، الطّبعة الثّالثة، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، بيروت – لبنان، ٢٠٠٩م.
- القطع والائتلاف: أبو جعفر النّحّاس، المتوفّى سنة ٣٣٨ للهجرة، تحقيق: الدّكتور أحمد خطّاب العمر، الطّبعة الأولى، مطبعة العانيّ، بغداد – العراق، الطّبعة الأولى، ١٩٧٨م.
- لسان العرب: ابن منظور، المتوفّى سنة ٧١١ للهجرة، تحقيق: أمين محمّد عبد الوهّاب ومحمّد الصّادق، الطّبعة الثّالثة، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت – لبنان، ١٩٩٩م.
- مجالس ثعلب: أبو العبّاس ثعلب، المتوفّى سنة ٢٩١م، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار المعارف، القاهرة – مصر، ١٩٦٠م.
- مجالس العلماء: أبو القاسم الزّجّاجيّ، المتوفّى سنة ٣٣٧ للهجرة، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، الطّبعة الثّالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ١٩٩٩م.
- المدارس النّحويّة: الدّكتور شوقي ضيف، الطّبعة الحادية عشر، دار المعارف، القاهرة – مصر، ٢٠٠٨م.
- المدارس النّحويّة: الدّكتورة خديجة الحديثيّ، الطّبعة الثّانية، مطبعة جامعة بغداد، بغداد – العراق، ١٩٩٠م.
- المدارس النّحويّة أسطورة وواقع: الدّكتور إبراهيم السّامرائيّ، الطّبعة الأولى، دار الفكر، عمّان – الأردن، ١٩٨٧م.

- مدرسة الكوفة ومنهجها في اللّغة والنّحو: الدّكتور مهدي المخزوميّ، الطّبعة الثّالثة، دار الرّائد العربيّ، بيروت – لبنان، ١٩٨٦م.
- مراتب النّحويّين: أبو الطّيب اللّغويّ، المتوفّى سنة ٣٥١ للهجرة، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الطّبعة الأولى، المكتبة العصريّة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٢م.
- المصطلح النّحويّ نشأته وتطوّره حتى أواخر القرن الثّالث الهجريّ: عوض حمد القوزيّ، الطّبعة الأولى، شركة الطّباعة العربيّة السّعوديّة، الرّياض – المملكة العربيّة السّعوديّة، ١٩٨١م.
- المصطلحات النّحويّة في التّراث النّحويّ في ضوء علم الاصطلاح الحديث: الدّكتورة إيناس كمال الحديديّ، دار الوفاء، الإسكندرية – مصر، ٢٠٠٥م.
- معاني القرآن: عليّ بن حمزة الكسائيّ، المتوفّى سنة ١٨٩ للهجرة، أعاد بناءه: الدّكتور عيسى شحاته عيسى، دار قباء للطّباعة والنّشر، القاهرة – مصر، ١٩٨٨م.
- معاني القرآن: أبو زكريّا الفرّاء، المتوفّى ٢٠٧ للهجرة، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمّد علي النّجّار، الطّبعة الثّانية، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة – مصر، ١٩٨٠م.
- معجم مقاييس اللّغة: أحمد بن فارس، المتوفّى ٣٩٥ للهجرة، تحقيق: الدّكتور محمّد عوض مرعب والآنسة فاطمة محمّد أصلان، الطّبعة الأولى، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت – لبنان، ٢٠٠١م.
- المقتضب: أبو العبّاس المبرّد، المتوفّى سنة ٢٨٥ للهجرة، عالم الكتب، بيروت – لبنان، ٢٠١٠م.
- المنطق: الشّيخ محمّد رضا المظفّر، المتوفّى سنة ١٣٨٣ للهجرة، الطّبعة الأولى، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت – لبنان، ٢٠١١م.
- الموفي في النّحو الكوفيّ: السّيّد صدر الدّين الكنغراويّ، المتوفّى سنة ١٣٤٩ للهجرة، تحقيق: محمّد بهجة البيطار، الطّبعة الثانية، دار البيّنة للطّباعة والنّشر، دمشق – سورية، ٢٠١١م.



(١) العلامة محمد بهجة الأثري وحياته العلمية والعملية

د. عماد خليفة الدايني

لقد شهد القرن الرابع عشر بزوغ عددٍ من نجوم العلم، وأئمة التجديد، ورؤوس النهضة، من التراثيّين والباحثين الروّاد الذين كتبوا وألّفوا وحقّقوا وأنجزوا انجازات علمية وثقافية جمّة كانت ومازالت أسسًا مهمة من أسس الثقافة العراقيّة والعربيّة الإسلاميّة الراهنة ودافعا ومنبّها قويا نحو البحث الجاد والدؤوب.

وفي مقدمة هؤلاء النجوم الأعلام الأستاذ الكبير العلامة محمد بهجة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو بحاثة في اللغة العربية والتاريخ والأدب، وهو عالم محقِّق كاتب شاعر أديب من الطراز الأول، وقد أشربتُ حب هذا الإمام وشيخه مِن قَبله الإمام العلامة محمود شكري الآلوسي لِما اتَّسما به من عقيدة صحيحة صافية نقية ومنهج سليم.



وقد كتبت هذا البحث عنه وهو إن شاء الله باكورة لبحوث أخرى عن هذا العلم العلامة المصلح، فعُنيت في هذا المبحث بـ**ترجمته** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: التعريف بالعلامة محمد بهجة الأثري.**
- **المطلب الثاني: حياته العلمية والعملية.**

وعند الكتابة على علم من أعلام الأمة، كالعلامة محمد بهجة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فليس القصد هو السرد القصصي، أو الوقوف على أحداث عابرة في حياته، بل لأخذ العبرة مما قدَّم، ومعرفة ما نفعَ به الأمة، فالعلامة محمد بهجة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يمثل مشروعًا إصلاحيًا تنمويًا، ومشروعَ نهضةٍ إسلامية مدنية علمية أثرية، فيجب أن ندرس أفكاره، وأعماله، ومشاريعه، في ضوء مشروعه الإصلاحي الكبير، وبخاصة أننا في عهد نفتقر إلى أبسط مقومات الإصلاح، فلعلنا نأخذ العبر من مسيرة هذا الإمام العلم في طريقة إصلاحه العلمي والديني والمجتمعي بفكره وقلمه وأدبه، ووظائفه، ومؤتمراته، فلم يحمل بندقية ولا سيفًا، لكنَّ آثاره الطيبة عمَّت أرجاء البلاد، وتأثيره واضح بيِّن في مجتمعه خاصة، وفي بلاد المسلمين عامة.

وإني أقدّم هذا البحث هديّة نضرة إلى طلاب العلم ومحبّي رجال العلم، ووفاءً للعالم الفذّ، والجهبذ النحرير، والمصلح الخبير، العلامة محمّد بهجة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي كثيرًا ما غمط حقّه وأغفل ذكره، عرفانًا لجميل أدبه، وعظيم جهده، في خدمة دينه وأمته وبلده.

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم،
وأن ينفع به.
والله ولي التوفيق.



المطلب الأول: التعريف بالعلامة محمد بهجة الأثري

أولًا: اسمه ونسبه [1]:

هو محمد بهجة بن محمود بن عبد القادر بن أحمد بن محمود، وهم أسرة عربية أصيلة من ديار بكر بن وائل، وأمه تركمانية من مدينة كركوك، وقد تعلم التركية منها وأتقنها.

والعلامة محمد بهجة الأثري ووالده الأفندي محمود بغداديان كِلاهما ولادةً ونشأةً، وعائلته معروفة في التجارة ولها أملاك كثيرة في العراق كانت تتاجر بالخيول، وتدير عددًا من ملكية الخانات في بغداد.

ثانيًا: مولده ونشأته:

ولد العلامة محمد بهجة **الأثريّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (٢٣- جمادى الأولى من عام: ١٣٢٠هـ = الموافق ٢٨ - ٩ -١٩٠٢م).

وولادته كانت في محلة جديد حسن باشا في جانب الرصافة من بغداد، وكانت أحسن أحياء بغداد، على مقربة من نهر دجلة ومن المدرسة المستنصرية العباسيّة المعروفة في التراث العربيّ الإسلاميّ، تحيط به المساجد الكبرى والدواوين الرئيسة للحكومة وأسواق التجارة وخاناتها الكبيرة، **فنشأ فيها** على التعلم والتقوى، **ومارس التجارة والفروسيّة**،

(١) مصادر ترجمته:

- ترجمة الأثري بقلمه، المجمع العلمي العراقي.
- كتاب البغداديون أخبارهم ومجالسهم، تأليف إبراهيم عبد الغني الدروبي، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٨م، ص٢٥٠.
- الأستاذ محمد بهجة الأثريّ، د. يوسف عزّ الدين، مجلة المجمع العلمي العراقيّ، المجلد السابع والأربعون، الجزء الثالث، عام: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- مجلة المورد، عدد خاص عن العلامة محمد بهجة الأثري.
- محمد بهجة الأثري باحث تراثي عراقي رائد، عبد الأمير المؤمن، بحث منشور في الشابكة.
- تقرير وثائقي عنه بعنوان: «راهب اللغة»، قناة الشرقية الفضائية.
- تقرير وثائقي عنه بعنوان: «محمد بهجة الأثري» في جزأين، قناة عين على التراث الإلكترونية.



دخل الرشيدية العسكرية فلم يتحمّل التدريب العسكري لضعف بنيته، فأمضى دور النقاهة في محكمة الاستئناف يتدرب على الإنشاء التركيّ، وترك الوظيفة ليتفرّغ للتخصّص في العربيّة وعلومها[1].

ثالثًا: أصله:

العلامة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عربي الأصل والفصل والدم والانتماء والولاء، وكانت عائلتهم تقطن ديار بكر بن وائل، وهاجر جده الأعلى منها إلى أربيل في شمال العراق، على إثر خصومة مع والي البلد، وضاقت هذه المدينة الصغيرة عن مطامحه، فرحل من أربيل إلى بغداد[2]، واستقرّ بها إلى أن لبّى داعي ربّه إلى منيّته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأسرة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أسر بغداد الغنيّة، ووالده من تجار بغداد الكبار، وشملت تجارة والده التي توسعت المتاجرة بالخيول الجياد يرسلها الى الهند.

(١) ينظر: محمد بهجة الأثري باحث تراثي عراقي رائد، عبد الأمير المؤمن، بحث منشور على الشابكة.

(٢) ينظر: إتحاف الأمجاد فيما يصح به الاستشهاد، محمود شكري الآلوسي، تحقيق عدنان الدوري: ١٦، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٤٠٢ - ١٩٨٢م.

رابعًا: أسرته:

تزوج العلامة محمد بهجة الأثري من سيدة رفيعة النسب وشريفة الحسب دمشقية البلد وهي السيدة شهيرة بنت محمد توفيق بن الباشا نظيف، وجدها هذا نظيف كان واليًا على سورية في الحكم العثماني وولايته قصيرة كانت عشرين شهرا، وتوفي عام: ١٨٩٦م.

ويذكر زوجته في قصيدته «لِمَ تُشنَأ الأنثَى» التي نظمها لابنته زينب، فيقول لها[3]:

يَـا بِنْـتَ خَيْـرَ الأُمَّهَا ... تِ فِيْ مَعَالِيَ الْحَسَبِ
أَلْقِـيْ لَهَا عَلَـى الزَّمَا ... نِ طَـاعَـةَ الْـمُـؤَدَّبِ
وَاسْـتَمِعِيْ لِنُصْحِهَـا ... تَلْقَـيْ كَرِيْـمَ الرَّغَبِ
وأَكْثِـرِيْ الْبِـرَّ بِهَـا ... فَالْبِـرُّ خَيْرُ مَكْسَـبِ

ويذكر نجله الأستاذ يسار الأثري أنَّ والده لم يرَ والدته السيدة شهيرة قبل الزواج، وإنما زارت بغداد ووُصفت له فتقدم لها وتزوجها في بغداد وعاشت معه في بغداد إلى أن توفيت رَحِمَهَا ٱللَّهُ في بغداد[4].

(٣) ديوان ملاحم وأزهار: ٣٨٧.

(٤) من تقرير وثائقي أعدته قناة الشرقية، بعنوان: راهب اللغة.

وقد رزق منها بسبعة أولاد: أربعة أبناء، وثلاث بنات، وهم[١]:

١ - الأستاذ زاهر الأثري وهو ابنهما البكر، وقد توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٢٠١١)، ودُفن بدمشق.

٢- مخلد الأثري عاش تسعة أشهر فقط، جعله الله فرطا لوالديه وشفيعا مجابا، وثقّل به موازينهما.

٣- الأستاذ سناء الأثري.

٤ - الأستاذة نهى الأثرية.

٥ - الأستاذة زينب الأثرية، وهي التي رزق فيها وهو معتقل الفاو فنظم لها قصيدة فريدة من درر الشعر العربي الإسلامي، وهي قصيدة «لم تُشنأُ الأنثى» إذ قال فيها[٢]:

أَهِّلْ بِهَا وَرَحِّبِ فَهْيَ جَمَالُ الرُّحَبِ
رُؤْيَتُهَا الْفَرْحَةُ وَالسْـ ـسَلْوَى وَبِشْرُ الطَّرَبِ
زَائِنَةُ الْمَنْزِلِ بِالْـ إِيْنَاسِ وَالتَّحَبُّبِ
أَيَّانَ تَخْطِرْ يَخْطِرِ النْـ نُوْرُ بِهِ فِي مَوْكِبِ
بَرِيْئَةٌ مَعْصُوْمَةٌ تَمْرَحُ فِي طُهْرِ نَبِيْ
هِيَ النَّعِيْمُ وَالسُّرُوْ رُ وَالرِّضَى فِي الْمَلْعَبِ
وَهِيَ شَذَا الْوَرْدُ إِذَا طُلَّ بِسَارِيْ السُّحُبِ

ويذكر إخوانها الأكبر منها زاهر وسناء ونهى عدا مخلد لأنه توفي، فيقول[٣]:

تَحَبَّبِيْ إِلَى «سَنَا» وَ«زَاهِرٍ» تَحَبَّبِيْ
وَجَامِلِيْ «نُهَى» بِمَا تَقْضِيْ حُقُوْقُ النَّسَبِ

وتوفيت رَحِمَهَا ٱللَّهُ عام (٢٠١٩م)، أي قبل عامين من كتابة هذه الترجمة.

٦ - الأستاذة عالية الأثرية، ولا تزال تعيش بفضل الله -طيب الله حياتها-، وقد قرأت لها تعليقًا كتبته منذ ثلاثة أيام في صفحة والدها العلامة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن المناقضات بينه وبين معروف عبد الغني الرصافي بسبب مواقف الرصافي من بعض التعاليم الإسلامية ودعوته إلى السفور.

٧- الأستاذ يسار الأثري، وقد راسلته في كتابة هذه الترجمة فأفادني بمعلومات قيمة جزاه الله خيرا. وللأستاذ يسار أولاد وأحفاد ظهر منهم في تسجيل

(١) من تقرير وثائقي أعدته قناة الشرقية، بعنوان: راهب اللغة.

(٢) ديوان ملاحم وأزهار: ٣٨٤ - ٣٨٥.

(٣) ديوان ملاحم وأزهار: ٣٨٧.

الترجمة الوثائقي ابناه محمد وفيصل، وبنتاه ملك ونور، وحفيداه من ابنته ملك: يوسف وسارة.

خامسًا: لقبه:

اشتهر بلقب الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو نسبة إلى أثر الرسول ﷺ والأثر يعني السنّة[1]، وفي ذلك يقول: «ولِانْتحالي لقب الأثري نسبة إلى أثر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ منذ أول نشأتي العلمية، إشارة إلى عزوفي عن الانتساب إلى المدن أو العشائر، وتعلقي بالإسلام الصحيح، ونبيه المعظم»[2]، فهو يتسمى بالأثري لتمسكه بالإسلام الصحيح ورسوله الكريم سيدنا محمد ﷺ ولهذه النسبة حادثة طريفة وهي أنّ العلامة الأثريّ درس على شيخه علي علاء الدين الآلوسي كتاب «مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح» وهو كتاب في الفقه الحنفي، ألفه: حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، وهو على طريقة مقلدة المذاهب ومتعصبيهم، فلم يعجب الطالب محمد بهجة بشرح هذا الكتاب، بسبب عبارة قبيحة تنبئ عن تعصب مقيت ذكرها صاحب الكتاب، وهي: «إنك إذا عجنت عجينًا بماء، ثم تبين لك أنه نجس، فلك أن تطرح هذا العجين إلى الكلب، أو تبيعه إلى...»[3]، فوقع الطالب الشاب بدهش غريب، وقال لأستاذه علي علاء الدين الآلوسي: أستاذي ما هذا القول؟ ثم دهش مرة أخرى عندما قال له أستاذه ماذا تريد؟ فأجابه: أريد دين رسول الله ﷺ، أريد أن أقرأ علم الحديث، والفقه الحقيقي.

فقال له أستاذه: أنت أثري إذن.

فسألَ أستاذَه: ما الأثري؟

فقال له أستاذه: هو الذي يتبع أثر رسول الله ﷺ. ومعنى أثره أي: سنَّته ﷺ فيسمى بالأثريّ[4].

---

(١) ينظر: ديوان ملاحم وأزهار: ٣٨٧.

(٢) ترجمة الأستاذ محمد بهجة الأثري: ٤ .

(٣) تنبيه: هذه العبارة غير موجودة في الكتاب اليوم، فلعله تم تصحيحها، أو حذفها. فالحمد لله الذي أذهب عن كثير من المسلمين عُبِّيَّة التعصب. ونسأله أن يذهبها عن جميع المسلمين.

(٤) ينظر: مجلة المورد- عدد خاص عن العلامة الأثري: المجلد الرابع والعشرون- العدد الثاني، عام: ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦ م: ١٦ .

فلزمه هذا اللقب من حينها وصار جزءا من هويته وكنيته، وبقي له لقبا ونسبا طيلة حياته وبعد مماته، ويدخل التاريخ وعالم الخالدين بهذا اللقب.

وقد فخر بهذا المنهج الأثري والانتساب إليه بصوت مجلجل ندي في شعره فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]:

إذا اعتاد همسَ القولِ في الحقِّ شاعرٌ
فإنَّني غيرَ الجهرِ لم أتعوَّدِ
بِحَسْبِي أنِّي في اعتقادي مسلمٌ
وأنِّي بخير الخَلقِ بالخُلْقِ مهتدي
وما ضرَّني إنْ فاتني هَدْيُ مَذهَبٍ
إذا كان هَدْيِي بالنبيِّ محمدِ

وكذلك في قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ [٢]:

ألا ليت أقطاب الضلالة فكرت
وليت اعتصاب الجهل ماثار يعتدي
إذن لاستحالت هذه الناس أمةً
تدين لناموس الرسول المجددِ

ثم يقول يصف حال السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وبركة اتباعهم سنة النبي ﷺ، وما آل إليه حالنا اليوم بسبب التعصب والتفرق في المذاهب [٣]:

رعوه، فدان الدهر في ذل خادم
وملنا، فصال الدهر في عز سيِّدِ
وعاشوا جميعا والصفاء طرافهم
وعشنا فرادى والعداء بمقعدِ
تباين أمرانا: فدين موحَّد
تفرقنا فيه مذاهبُ أعبُدِ
وأربت على فوضى المذاهب ضلَّةً
سياسات أحزاب عن الحق حُيَّدِ
فعدنا ونحن الأكثرون أذلة
إلى الضيم نزجى كالذلول المعبَّدِ
ورثنا أقاليم البلاد فضُيِّعت
فنحن فيها في غربة المتشرِّدِ
ألا لا أرانا يجمع الدهر شملنا
ونحن شِظاظٌ بالضلالات نقتدي
ولم أرَ شرًّا كاختلاف مذاهب
ومن تحتها ثوب السياسة ترتدي
فإن كنت شهما أيها المصلح الذي
يجاهد، فاقبر كل خُلْفٍ بِمَلْحَدِ

وقال أيضا يمجد السنة واتباعها [٤]:

ومَنْ يكنْ برسول الله مؤتسيًا
لم توهِهِ من عدو الله ضرّاءُ

---

(١) ديوانه: ٧٦ .

(٢) ديوانه: ٧٤ – ٧٥ .

(٣) ديوانه: ٧٥ – ٧٦.

(٤) ديوانه: ٢٢٧.



سادسا: أبرز من كتبوا عن العلامة محمد بهجة الأثريّ:

مِن أبرز مَن كتب عن العلامة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١- العلامة الدكتور إبراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة في كتابه الموسوم «مع الخالدين».

٢- الشاعر المصريّ الكبير عزيز أباظة.

٣- الدكتور أحمد مطلوب أمين عام المجمع العلمي العراقي.

٤- العلامة عبد القادر المغربي.

٥- العلامة محمد كرد علي.

٦- الكاتب العربي أنور الجندي.

٧- أدهم الجندي.

٨- صالح السهروردي.

٩- رؤوف الواعظ.

١٠- عبد الله الجبوري.

١١- الدكتور عدنان الخطيب.

١٢- محمد مهدي علام.

١٣- الباحث العراقي حميد المطبعي.

١٤- غيرهم الكثير من أعلام الفكر والأدب، كما كتبت عنه أكثر من رسالة جامعية[١].

يقول العلامة محمد بهجة الأثري: «تفتحت على البحث والتأليف والكتابة والتحقيق والنشر منذ بداية إقبالي على الدراسات العربية والإسلامية في سن اليفاعة، ولما قرأت علما من العلوم دون أن أؤلف فيه، وأعلق عليه، فقد خلقت ميالا إلى تعرف الأشياء أمد بصري وفكر إلى ما دنا مني، وبعد فطرة وغريزة وحرص على اكتساب العلم، والمعرفة في أي لون، ومن أي شيء أستطيعه مع الميل إلى العمل والتطبيق».

---

(١) معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة : ٢٠٠٠م، كامل الجبوري : ٥ / ١٧٣ .

ومن أبرز مؤلفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال نجله الأستاذ يسار الأثري: أكثر الكتب الذي شغله هو تحقيقه لكتاب نزهة المشتاق للإدريسي، واستغرق العمل به ما يقرب سبعة عشر عاما.

وكتب أكثر من خمسة آلف ورقة لا زالت كلها موجودة ولله الحمد جاهزة للطبع والنشر بإذن الله تعالى حينما يحين وقتها.

سابعا: وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ **:**

توفي الأستاذ الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مودعا دنياه في يوم السبت الرابع من ذي القعدة عام: ١٤١٦ الموافق: الثاني والعشرين من آذار (عام: ١٩٩٦م) في بغداد ودفن فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، بعد عمر حافل بالعطاء والإنجاز، والإصلاح، وحمل هموم الأمة وقضاياها، وخدمة فريدة للأدب الرصين، وخدمة لغة القرآن والثقافة الهادفة لما يقرب من القرن من الزمن هو أصعب قرن شهدته الأمّة بأحداثه الجسام وفتنه العظام. وبعد وفاته أصدر المجمع العلمي كتابا في تكريمه والإشادة بجهوده[١].

وقد قال وكأنه يرثي نفسه: « الموت نقلة من دار إلى دار، وعودة هذا الجسم الترابي إلى التراب، أما الروح التي تقمصته فتبقى حية خالدة بما قدمته من عمل صالح، وأنا إنسان قامت حياتي منذ النشأة على الدرس، والنظر، والتأمل في سلسلة متصلة الحلقات؛ لذلك فإنَّ عقل الإنسان باقٍ بما استطرف من أفكار».





(١) ينظر: ديوان الأثري: ٢ / ١١٣ .



المطلب الثاني: حياة العلامة محمد بهجة الأثري العلمية والعملية:

أولا: محطات التحول في حياته:

المحطة الأولى: بدأ العلامة الأثري حياته ابنًا لأسرة ثرية مرموقة تعمل بالتجارة والعقارات في بغداد، ونشأ يتعلم التركية، فالفارسية، ثم الإنجليزية والفرنسية، فطلب منه والده ذات يوم أن يقرأ له صحيفة عراقية كانت لديه، لكنه تلعثم، ولم يستطع القراءة، فهذه الحادثة أدت إلى ردة فعل عنيفة دعته إلى أن يتعلم العربية، فكانت هذه الحادثة نقطة تحول أولى في حياته، فراح يتعلم العربية ويتقنها، ويقرؤها، ويتضلع بها، حتى غدا فيها إماما مُبْدِعا.

المحطة الثانية وتعدُّ المحطة الأهم في حياة الأثري، وكانت منذ تعرفه على الإمامين العالمين الآلوسيين:

السيد علي علاء الدين الآلوسي الحسيني وهو الذي أطلق لقب الأثري على الطالب محمد بهجة.

وابن عمه السيد محمود شكري الآلوسي الحسيني، وقد كان أستاذا لأجيال الثقافة العراقية، ومن بينهم معروف عبد الغني الرصافي، ومحمد بهجة الأثري نفسه، وفتح له في البحث الشرعي طرقا فرعية أخرى في مختلف حقول الثقافة والمعرفة في الأدب والفن والتاريخ والجغرافية وغيرها.

ثانيا: طلبه للعلم وإجازاته العلميّة:

بدأ العلامة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليمه القراءة والكتابة في إحدى كتاتيبها فأتم قراءة القرآن تلقينًا وتجويدًا في السادسة من عمره، ثم أنهى الدراسة الابتدائية، ثمّ درس اللغة العربية وعلومها والأدب لمدّة عام واحد في ثانوية التفضيل الأهليّة، ثم توجه في سن مبكّرة إلى تعليم اللغة العربيّة وآدابها وعلوم الشريعة الإسلاميّة على يد مجموعة من جلّة العلماء ثمّ أكمل تعليمه في المدارس النظامية فدرس بالمدرسة السلطانية حتى عام: ١٣٣٦هـ- آذار ١٩١٧م، وكان حاد الذكاء سريع الحافظة تواقًا إلى اكتساب مزيد من العلم فتعلم

اللغات: التركية والفرنسية والإنجليزية[(١)].

وأهـمّ مـا أثر في حيـاة العلامـة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد سـلامة الفطرة وسـلامة البيئة التي نشـأ فيها، هو تتلمـذه على يد علمين من أعـلام الأدب واللغـة العربيّة والعلوم الشرعيّة في بغداد، فلازم الشيخ العلامة علي عـلاء الدين الآلوسـي وكان يومئذٍ قاضي بغـداد، وقـرأ عليـه المجموعـة الصرفية، وكتـاب نزهـة الطـرف في علـم الصـرف للميـداني، وقـرأ عليـه في الأدب مقامات أبي الثناء الآلوسـي وغيرها من كتب اللغة والأدب والفقـه، ثـمَّ قصد العلامة السـيد محمـود شـكري الآلوسـي وكان يومئـذٍ عضوًا في المجمع العلمي العربي بدمشق، فلازمـه ملازمـة تامّـة أربـع سـنوات إلى مـرض موته، فقرأ عليـه في العربية البلاغة والنحو والعروض والقوافي وعلم الوضع والفرائض والحديث والأنساب والمنطق والمواريـث وتاريخ العرب قبل الإسـلام وآداب البحـث والمناظـرة، **فـكان مـن أفذاذ علماء العراق الذيـن نبغوا بعلومهم وآدابهم حتـى ذاع صيتهم، وأخذ إجازات العلم والأدب والخطّ من العلامتين الشيخ محمود شكري الآلوسي[(٢)] المتوفَّى (عام: ١٩٢٣م) فتأثَّـر به وأخذ عنـه اتجاهاته في البحـث والتأليف، والشـيخ القاضي علي علاء الدين الآلوسي[(٣)].**

---

(١) ينظر: محمد بهجة الأثري باحث تراثي عراقي رائد.

(٢) هـو جمـال الديـن أبـو المعالـي محمود شـكري بـن عبـد الله بهاء الدين بـن أبي الثناء شـهاب الدين محمود الحسـيني الآلوسـي البغدادي، من سادات آل البيت، ولد في رمضان ١٢٧٣هـ، وجده صاحب التفسـير الشـهير «روح المعاني»، تأثر بمؤلفات ابن تيميـة وتلميذه ابـن القيـم، وإلى ذلك أشـار كامل الرافعـي بقوله: (لـم أرَ أحدًا يقدر مؤلفات ابن تيمية وابـن القيـم قدرهما مثلهمـا) أي محمود شـكري وابن عمه علي الآلوسي.

(٣) هـو علي علاء الديـن بن الإمام نعمـان خير الدين بـن الإمام محمـود أبي الثناء الآلوسـي، ولد في: ٦ شـعبان ١٢٧٧، وهو مؤرخ، نحـوي، ناظم، تتلمذ على أبيه وابن عمه السيد محمود شكري، ثم درس على إسماعيل الموصلي، وتخرج بمدرسة القضاة بالقسطنطينية، وولي القضاء في عدة مدن في العراق وخارجـه، وأرسـله أبوه إلـى ملك بهوبـال صديق حسـن خان، لطبع كتبـه وكتب جده أبـي الثناء، ثم ولي التدريس بمدرسـة مرجان بعـد وفاة والده، ثم في جامع الشـيخ صنـدل، وتخرج بـه كثيرون، توفي ببغـداد رحمـه الله تعالـى ليلـة السـبت: ٨ جمادى الأولى ١٣٤٠، بمرض الفالج.
ينظـر: الـدر المنتشـر في رجـال القـرن الثاني عشـر والثالـث عشـر، الحاج علي علاء الديـن بن نعمان خيـر الديـن الآلوسـي: ٤٩، نقـلًا عـن: إتحـاف الأمجاد: ١٤ - ١٥، ومعجم المؤلفين: ٧/ ٢٥٤.

ودرس على يد علماء بغداد في عصره، ومن العلماء الذين تأثر بهم العلامة نعمان خير الدين الآلوسي المتوفَّى (عام: ١٣٤٠م).

وبرع في فنّ الخط على قاعدة نس تعليق، وكان خطه أشبه بخط أستاذه محمود شكري الآلوسي في الرسم والضبط، وله نماذج من خطه في المجمع العلمي العراقي، وقد خط وكتب كثيرا من الكتب لنفسه ولأستاذه [١]، وتأثر بشخصيتين بارزتين في الخط العربي من العصر العباسي، الأول هو الوزير ابن مقلة، والثاني هو ابن البواب، والذي يوصف بأنه قلم الله في أرضه؛ لشدة حسن خطه وجودته، واهتمام العلامة محمد بهجة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ دفعه لترجمة كتاب عن ابن البواب.

ولم ينقطع العلامة محمد بهجة الأثري عن العلم والتحصيل إلى أخريات حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إذ قال عن نفسه: «يراودني إحساس دائم لا يكاد يفارقني، بأني ما زلت في البداية، وكنت كلما توغلت في البحث والدرس أخرج بنتيجة واحدة: هي ضرورة التعمق والتوسع والاستقصاء في جوانب المعرفة، وكلما تقدم بي العمر وكثرت دراساتي شعرت أنني أمام بحر ليس له حدود، وأنني ما زلت على الساحل، أنا طالب علم، وطالب العلم نهم لا يشبع»[٢].

ومما اتصف فيه في حرصه على تحصيل المعلومة تسجيله للفوائد، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحمل دائما ورقة وقلم، فيخرجها فجأة ويكتب ما يجول في ذهنه، من ذكريات وملحوظات وخواطر وأشعار، وأشياء كثيرة، وهذه سجية كل طالب علم مجتهد، أن يكون عنده تقييد للفوائد والأفكار والخواطر، حتى يحفظها من النسيان، وقد صارت هذه السجية سنة متبعة لطلاب العلم منذ القرون الأولى، فقال القائل:

العلم صيد والكتابة قيد
قيِّد صيدك بالحبال الواثقة
فمن السفاهة أن تصيد
غزالة وتدعها طالقة

(١) ينظر: محمد بهجة الأثري باحث تراثي عراقي رائد.

(٢) مجلة المورد، عدد خاص عن العلامة الأثري: ١ .

ثالثًا: عقيدته:

كان سلفي المعتقد على منهج شيخه العلامة محمود شكري الآلوسي رحمهما الله تعالى، والعقيدة السلفية هي العقيدة التي تتبع الدليل من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، بفهم السلف الصالح رضي الله عنهم وأرضاهم، وهم الصحابة، وتنبذ الأهواء والبدع والتفرق والتقليد والتعصب.

وقد أوضح هذا في مواضع من شعره، منها قوله [(١)]:

ودلَّ بآثار الوجود نُهى الورى
على موجدٍعن كل نقص مبعَّدِ
وقام على التوحيد حائط دينه
فجَمَّع بالتوحيد كلَّ مبدَّدِ

وقال موضحا النهج الذي ينبغي التمسك به على كل مسلم [(٢)]:

دستورك الفرقان، أما وعظهُ
فهدى، وأما حكمه فمسدَّدُ
عالٍ على الأهواء، لا متملِّقٍ
أحدا، ولا متعسِّف يتمرَّدُ

ولعل عقيدته الصحيحة الصافية، ومنهجه المستقيم السديد كانا سببا في تعمد إخمال ذكره، وإبعاد نشاطه ونتاجه الأدبي عن أنظار الدارسين سواء في مناهج التعليم في وزارتي التربية والتعليم، والتعليم العالي والبحث العلمي، أو في ميدان الثقافة، والمنتديات الأدبية، فلا يكاد يعرفه إلا نخبة من خواص المتعلمين، والباحثين، يقول المفكر العراقي حسن العلوي عن منهج الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « هذا الرجل أغفله القوميّون لأنّهُ لم يكن قوميًا، لأنَّه كان يأخذ بالعروبة والإسلام، وأغفله الشيوعيون؛ لأنَّه كان يعتبر يميني، وأغفله أهل الحداثة؛ لأنه يعتبر من أهل المدرسة الكلاسيكية التقليدية، فلا توجد جهة في العراق سياسية، أو ثقافية ذات مصلحة في الرجل، المصلحة الآن بدأت أهمية الرجل بعد أن اكتشف التيار القومي أن موقفه الحادّ من الإسلام لم يكن صائبا، وبعد أن اكتشفنا نحن أنَّ بإمكاننا أن نقدم تيارا عربيا، وليس تيارا قوميا، فلا يرفض؛ لأن الرجل لم يكن قوميا، بل كان عربيا»[(٣)].

(١) ديوانه: ٧٠.

(٢) ديوانه: ٧٨.

(٣) من تقرير وثائقي أعدته قناة الشرقية، بعنوان: راهب اللغة.

لكنه يبقى بلا منازع ولا شك علم رائد من أكبر رواد النهضة العربية الحديثة وقادتها وموجهيها الذين كانوا يهدفون إلى نهضة عربية إسلامية تنتشل الأمة من الضعف والضياع، فغايتهم هي: «الأمة العربية الإسلامية المتحضرة المتقدمة، فمن السمات المعرفية لهذا الخضم المعرفي الواسع تبرز كذلك إسهاماته في تنشئة أجيال من الثقافة العراقية المعاصرة، فهو يعد إلى جانب ساطع الحصري رائدا أساسيا في وضع المناهج الدراسية الحديثة في العراق من خلال عمله في لجنة وضع المناهج في وزارة المعارف»(١).

رابعًا: صفاته وسجاياه:

١- التواضع:

سمة بارزة وخلق نبيل اتسم به العلامة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والحق يقال أن أغلب رموز بغداد وعلماءها سمتهم التواضع من غير ضعف ولا ذلة فقد كان الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مثالا في التواضع، وكذلك شيخه محمود شكري الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا يزال إلى اليوم فضلاء بغداد لا يدانيهم أحد في التواضع، أذكر في هذا المقام أخًا فاضلًا وأستاذًا وشيخًا وعالمًا وهو عمار الخطيب أبو عبدالوهاب عرفته قبل أكثر من عشرين عاما من أبسط الناس ومن أكرمهم ببره وجوده وخلقه لا يرد سائلا ولا محتاجا، بابتسامة وبساطة وبشاشة، ولي معه مواقف طيبة جمة، وله علي أياد لا توفيها الأنام، ولم يقل يوما مفتخرا بشيء حتى أنني قبل أسبوع فقط علمت أن والده عادل الخطيب كان وزيرا في العهد الملكي ثم وزيرا في العهد الجمهوري ومن لجنة كتابة الدستور، وهو لم يذكر ذلك طيلة هذه المدة.

نعود إلى العلامة محمد بهجة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأسرته هي من أسر بغداد المرموقة، وقد عاصر هو حكومات العراق للعهود الماضية عثمانية وملكية وجمهورية، وزار معظم الدول العربية والتقى بقادتها وعلمائها وله مكانة سامية في كل بلد يدخله، ولم يفتخر بشيء من

(١) من تقرير وثائقي أعدته قناة الشرقية، بعنوان: راهب اللغة.

ذلك في كلامه ولا في شعره، ولا علم هذا من واقفه، وإنما كان من أبسط الناس وأقربهم من الجميع.

فرحمه الله وأعلى درجته واخلفه في عقبه خير ما أخلف الصالحين من عباده.

٢- كثرة تلاوة القرآن الكريم:

تعلق الأثري منذ نشأته بالقرآن الكريم، وتعلمه وتلاوته، فكان منهله الأول الذي لا ينضب، ويظهر ذلك جليا في أدبه شعرا ونثرا، فإذا طالعنا ديوانه وجدنا يزخر بالأثر القرآني، ولا تكاد تخلو قصيدة، أو مقطوعة من اقتباس قرآني، لفظي أو معنوي، ولم ينقطع عن تلاوة القرآن الكريم، بل ظل محافظا عليها، ومكثرا منها إلى أخريات حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد ذكر نجله الأستاذ يسار الأثري عنه أنه كان يعزو قوة ذاكرته إلى كثرة قراءته القرآن الكريم [(١)].

٣- الشجاعة وصدحه بالحق:

كان العلامة محمد بهجة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب هدف ومشروع، آمن باتباع الحق، وبقي ينافح، ويناضل، ويدافع عن الحق، فربما ظن بعضهم فيه شدة وقسوة، وهي في الحقيقة قوة في الحق، وأنه لا تأخذه في الحق لومة لائم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنه نفسه: «يتهمني البعض بالقسوة، ويرى فيها طبعا لا يتبدل في شخصيتي، لكنَّني رجل صاحب قضية أمة ومصير، أستمسك بعراها، وأشدها شدا، ونحن الحق والعدل والإنصاف، وأنا لست قاسيا إلا في مجال الفكر والقلم، وأنا أعلن كلمتي في نية صادقة وقلب سليم، ولا أدعي العصمة، لكن هناك من يخلط بين القسوة والصراحة، وللناس فيما يرون مذاهب».

ولم تكن القسوة أو الصراحة، أو التشدد في المواقف لتقف عند حدود السجال في محيطه الثقافي، إذ تجاوزت أحيانا قاعدة المقام، ومقتضى الحال، فعندما زار شاعر الهند الكبير «طاغور» العراق في العام: ١٩٣١م، بدعوة من الملك فيصل دعا في تلك الزيارة إلى ما سماه «المسالمة والموادعة والتعايش» وهي مبادئ تنبع من أصول الثقافة

---

(١) من تقرير وثائقي أعدته قناة الشرقية، بعنوان: راهب اللغة.



الهنديـة، لكـن الأثـري الـذي يعيش عن كثـب تفاعلات حالـة الصدامات الأهلية مع الملكية في العراق كان له موقف آخر، وذلك في قصيدة وجهها إلى شـاعر الهند الكبير:

بسـمت لبغـدادٍ وبغـدادُ ثاكلـة
فلـم تـر إلا أن تهـش مجاملـة
وبغـداد ثغـر صاغـه الله باسـما
لـكل أديـب حـط فيهـا رواحله
إذا ما اقشعر الدهر فارقب فعالها
وأصغ إلى صوت القواضب فاصلة
ألا لا يرعـك القـول منـي أقوله
وإن يكن ضدا للذي جئت حامله
فإنـا علـى حـال إذا مـا دريتـه
عذرت ورمت العفو إن كنت جاهله

وفي موقـف آخـر، يظهـر لنـا صادحًـا بالحق بصوته المجلجل، إذ دعته الجامعة الأمريكيـة ببيـروت في سـنة ١٩٥١م لمؤتمر الدراسـات العربية وخصصت له يوما من أيامه الأربعة لإلقاء محاضرة عن الاتجاهات الحديثة في الإسلام، وكان من جهودها الكاتب المصـري أنور الجندي الـذي وصف صراحته في جريـدة الدعوة السـعودية قائـلا: «وهو الرجل الشـجاع الذي دعته الجامعـة الأمريكية في بيروت للـكلام فلمـا ذهـب إلـى هناك قـال لهم كل شـيء دون تهيب أو مجاملة، وتركهم فاغري الأفواه».

٤- وفاؤه.

قال نجله الأسـتاذ يسـار الأثري: «من صفات الوالد التي أحبها فيه: أنه كان وفيًّا جـدا لأصدقائه، وكان عنـده وفاء عجيب للأسرة الآلوسية، وخاصة الأساتذة الذين درس عليهم مثل العلامة محمود شـكري أبو الثناء، فتقريبـا حقق كل ما كتبوه، وهو اشتهر بهم، وكان وفيًّا لهم وفاءً حقيقيًّا»[١].

وقـال العلامـة محمـد بهجـة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ذكر الوفاء، والتحسر على تنكر الناس له:**

مَـا بَـالُ دُنْيَانَـا تَسِـيْرُ الْقَهْقَـرَىْ
وَالنَّاسُ فِيْ خُدَاعِ الْهَوَىْ وَكِذَابِهِ
كَانُواْ عَلَى عِـرْقِ الْوَفَاءِ فَقَطَّعُواْ
أَرْحَامَـهُ وَعَـدَواْ عَلَـى أَحْسَـابِهِ

(١) من تقرير وثائقي أعدته قناة الشرقية، بعنوان: راهب اللغة .

قَـدْ صَـارَ مَخْشِـيًّا أَذَى أَوْصَابِهِ
مَـنْ كَانَ مَرْجُـوًّا جَنَـى آدَابِهِ[1]

مَـنْ لِـيْ بِإِنْسَـانٍ إِذَا كَرَّمْتُـهُ
يَزَعُ الأَذَى وَيَكُفُّ سُـمَّ لُعَابِهِ[2]

ثم يقول فيها:

وَلَئِـنْ أَسَـاءَتْنِيْ التَّجَـارُبُ إِنَّنِيْ
سَـأَظَلُّ أَحْسِـنُ بِالْفِعَـالِ النَّابِـهِ

وَأُوَاصِـلُ الشِّـيَمَ الْكَرَائِـمَ عَادَةً
وَهَوىً عَلَـى لُؤْمِ الزَّمَـانِ وَعَابِهِ

كَالْغَيْثِ يُمْطِرُ مُجْدِبًا أَوْ مُخْصِبًا
يَجْرِيْ عَلَى دَأْبِ الْكِرَامِ وَدَابِهِ[3]

ثم يقول فيها:

مَـا الْعُمْـرُ إِلا مَـا أَفَـادَكَ طَيِّبًـا
وَحَبَـوْتَ أَطْيَبَـهُ وَسِـرَّ لُبَابِـهِ[4]

إِنْ لَمْ تَكُـنْ وَرْدًا فَخَالِسْ عِطْرَهُ
وَانْفَحْ حَوَالَيْكَ الْوَرَى بِمَلَابِهِ[5]

(١) **الأوصاب**: الأوجاع والأمراض. ينظر: ديوان ملاحم وأزهار: ٤٠٥ .

(٢) **يزع**: يكف ويمنع. ينظر: المصدر نفسه: ٤٠٥ .

(٣) **الداب**: الدأب وهو العادة، سهلت همزته. ينظر: المصدر نفسه: ٤٠٦ .

(٤) **حبوت**: أعطيت. ينظر: المصدر نفسه: ٤٠٦ .

(٥) **الملاب**: نوع من الطيب. ينظر: المصدر نفسه: ٤٠٦.

ومن دلائل وفائه لشيخه العلامة الإمام محمود شكري الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرثيته فيه «وا حرّ قلباه»، **قالها في حفلة تأبين بغداد وعدد أبياتها ٦٧ بيتا**[6]:

أتيت بالعيد أهني العيد شوّالا
الظنّ أنّك قد أبللت إبلالا

فعدت والقلب ملتاع بلوعته
والعين ترسل فيض الدمع إرسالا

فوا لدهري! أما يكفيه ما فعلت
صروفه فيّ حتى كرّ صيالا

بالأمس صاح بإخواني فأخمدهم
واليوم صال الاستاذ فاغتالا

يا راحلًا جدّد الأحزان مصرعه
نغّصت عيشي وزدت البال بلبالا

قد كنت برًا لا تنثني حدبا
فمالك اليوم تجفو الصحب والآلا

سئمت منا فأزمعت السرى عجلًا؟
أم قد رأيت مصير القوم ممحالا

أم لم يرقك مقام بين أظهرنا
لما رأيت رعاء الشاء أحطالا؟

عليهم من جلود الشاء أردية
يخادعون بها الأغنام خُتالا

(٦) أعلام العراق: ٢٠٨، وينظر: إتحاف الأمجاد فيما يصح به الاستشهاد: ٣٠ .

آلـت إليهـم مقاليـد الأمـور وهـم
لا يرقبون سـوى أحـوالـهـم حالا
بالأمـس كانت إلى جنكيز نسـبتهم
واليـوم صـاروا إلى قحطـان أنجالا
حـال لعمـرك تبكـي كل ذي بصـر
وتـذهـل الـعـاقـل الـفـكّـير إذهـالا
باسـم العروبـة قـد باعـوا مواطننـا
وحـمـلـونـا عـلى الأثـقـال أثـقـالا
وأرهـقـونـا عـلى الإذلال إذلالا
وطـوقـونـا عـلى الأغـلال أغـلالا

وللقصيـدة تتمّـة يمكـن مراجعتهـا في كتابه المعروف «أعلام العراق»[1].

ومـن معالـم وفائـه لشـيخه محمـود شـكري الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما جاء في الخطبة التي افتتح بهـا الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حفلة التأبين الأربعينية لأسـتاذه محمود شكري بن عبد الله الآلوسـي المتوفَّـى (عـام: ١٣٤٤ هـ) قولـه: «أحيِّيكم تحية مهيض جُبر كسـره، وكئيـب أذهـب عنه الحـزن بعـد أن راعه دهره، وأشكركم على شـعوركم الحيّ في تقديـر نوابغ الرجال والاهتمـام بأمورهم: شـعرتم بالأمس عندما حمّ القضاء، ونزل البلاء، وغالت المنية رجل الإسـلام الفذّ، بالفـراغ الكبير الذي كان يشـغله في عالمي العلـم والأدب، فهرعتـم لتشـييع جثمانـه الطاهر من كل فج متفجعين، وما فيكم إلا المحوقل والمرجع والمتأسف والمتوجع، والنادب والمتصدع والنائح والجازع.

واليـوم لبيتم دعوتنـا واجتمعتم لتأبينه واسـتمطار الرحمة لتلك الـروح الطاهرة التي خدمت العلم والأدب سـبعين حجة واصلـة ليلهـا بنهارها من غيـر أن يعروها فتـور أو سـأم إلـى أن لبّـت داعـي ربهـا فذهبـت إليـه طاهـرة زكيـة، فنشـكركم على عرفانكم للجميـل، ووفائكم بالذمة وتقريركـم للعلـم، لا جعـل الله لعدوكم عليكم سبيلا»[2].

٥- ذاكرته الفذة:

ذكر نجله يسـار الأثري أنـه كان يتمتع بذاكـرة فـذة قويـة، وكان محمـد بهجة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعـزو ذلك إلى كثرة تلاوة القـرآن الكريم[3] ومن مواقفـه في الذاكرة

---

(١) أعلام العراق، محمد بهجة الأثريّ: ٢٢٦-٢٢٩.

(٢) أعلام العراق، محمد بهجة الأثري: ١٨٩ - ١٩٠.

(٣) من تقرير وثائقي أعدته قناة الشرقية، بعنوان: راهب اللغة.

يقول طلب مني مرة أن أحضر كتابا من مكتبته فقال: تجده في الدولاب الثاني في رف كذا ثاني كتاب او ثالث كتاب، والمكتبة في الطابق العلوي من البيت ولم يصعد إليها منذ ٢٥ عاما بسبب إصابته بمرض التهاب في المفاصل»[١].

فلنا أن نتصور حجم هذه الذاكرة، وسعة هذا العقل وقابليته للحفظ، على طول هذه المدة لربع قرن، وهو يتذكر ادق التفاصيل عن مكتبته.

٦- ورعه:

على الرغم من موسوعيته المعرفية، ووصفه بالعلامة وصفا يستحقه، وطلبه للعلم منذ بواكيره في دراسة الفقه، وعلوم الدين، فهو بقي شخصية محافظة متواضعة متورعة عن الخوض في الأحكام الشرعية، فلم ينشغل بإصدار الفتاوى للناس، ولم يتصدَّ لقضايا الدين في حياتهم اليومية، وإنما انشغل بتنويرهم من خلال حقول الثقافة والفكر، والأدب، لا من خلال مواعظ الأحكام الشرعية، من معاملات وعبادات، فهو على غزارة علمه وفقهه كان يتحرج من إصدار فتوى، وخاصة الفتاوى في التكفير، فعنده المسلم الذي يقول: «لا إله إلا الله» فهو مسلم.

ويقول حسن العلوي سألته مرة: لماذا لا نجد لك فتاوى، فقال: « أنا لست في موضع من يصح له إصدار الفتوى «هذا العالم الجليل المرجع الفقيه»[٢].

وهذا قوله وورعه مع غزارة علمه وسعة اطلاعه، فأين الناس منه اليوم، وقد استبيحت الفتوى وصار الصبيان يصدرون الفتوى في الحلال والحرام.

٧- إيمانه بالعقيدة الصحيحة والإسلام النقي من البدع والخرافات.

تعد هذه المزية من أهم سجايا العلامة محمد بهجة الأثري؛ إذ إنه عرف الإسلام الحق، والمنهج الوسط، وبقي متمسكا به داعيا إليه، إلى أن توفاه ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونجد غرسه قد أثمر ثمارا طيبة في أسرته المباركة، وفي طلابه، وفي مجتمعه، وهكذا يكون المصلح الصادق، نحسبه

(١) من تقرير وثائقي أعدته قناة الشرقية، بعنوان: راهب اللغة .

(٢) من تقرير وثائقي أعدته قناة الشرقية، بعنوان: راهب اللغة .



كذلك والله حسيبه، وقد أوضح هذا المنهج، وهذا الفهم الصحيح للإسلام المبني على العلم الصحيح من الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح رضي الله عنهم وأرضاهم، ونبذ التقليد والتعصب، والخرافات والبدع والأهواء،

٨- تمسكه بالسنة ونبذه للتعصب:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نبذ التعصب وذمه: « **إن التعصب في كل ألوانه وصوره وحالاته لا يتجسَّد عند عامة الناس الذين يجهلون الحقائق والنيات في الصدور، وإنما يتجسد عند الزعماء ممن ينتفعون من تلك العصبيات، فيدفعونهم نحوه بعد أن يغرسوه في نفوس أتباعهم استبقاء لهيمنتهم، وحفاظا على زعاماتهم، ومنافعهم وما يمتلكون**».

وذكر صاحب الخزانة أنه عندما كان في جامع الحيدر خانة قام بنقل القبور من المسجد إلى المقبرة، وهذا بحد ذاته جهاد في تطبيق الشريعة وإحياء السنة إذ المساجد أقيمت للصلاة لا لدفن الموتى فجزاه الله خيرا.

خامسًا: جهوده في اللغة العربية:

الإمام العلامة محمد بهجة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يمثل مدرسة رائدة في اللغة العربية، فهو ذو نهج فريد في اللغة وفي التعامل مع قضاياها، كما أنه أعطى دوافع للغويين جعلتهم يؤمنون بحيوية اللغة، ومواكبها للحياة، والتطور الحاصل، ومستوعبة للمبتكرات الصناعية، والتقنية**، يقول المفكر العراقي حسن العلوي عن منهج الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اللغة: « **مدرسته اللغوية كان من المتنورين، رغم أنه محافظ وسلفي، لكنه في مناهج اللغة والإصلاح اللغوي لم يكن سلفيا، كان متنورا ومنفتحا، ويمكن يكون أهم لغوي حتى الآن ساهم في فكرة توسيع مدى اللغة بحيث تتقبل الصياغات والاشتقاقات، هو كتب الدراسة الأساسية في مسألة أوزان الآلة، لتسهيل قبول المخترعات العلمية في هذا العصر، وهو لم ينتم إلى مدرسة أسعد داغر، أو حتى إلى مدرسة مصطفى جواد، كان أكثر تحررا من المدارس اللغوية، يعني لم يكن حارسا من حراس اللغة، أنا لا أميل إلى حراس**

اللغة، اللغة لا تحتاج إلى حارس»[١].

ولم تقف جهوده عند هذا الحد، بل إنه استدرك على اللغويين القدامى أشياء تعد في ميدان اللغة ابتكارا علميا فريدا، ومنها تمسك كثير من اللغويين بالقول أنَّ ما كان على وزن « فاعول » فهو أعجمي، وقد جمع العلامة محمد بهجة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكثر من عشرين اسما عربيا فصيحا على هذا الوزن، فرد إلى الأذهان عربية هذا الوزن، ومن هذه الأسماء: فاثور وقد ورد في شعر امرئ القيس، فقال: فاثور اللجين، أي: طبق الفضة، وعاقول، وحاطوم، وماعون[٢]، فأسهم بقدر جليل في خدمة اللغة العربية وآدابها وفكرها من خلال نشاطه الفكري وإنتاجه العلمي الغزير تأليفًا وتحقيقًا.

سادسًا: آثاره ومصنفاته:

ترك العلامة محمد بهجة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤلفات وبحوث ثمينة، لا زال صداها يتردد في مجامع اللغة والعلم، وتدل على عظيم موهبته وعلمه وضلاعته في علوم الأدب والعربية وغيرها، وقد عني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتحقيق وشرح مؤلفات شيخه العلامة محمود شكري الآلوسي، ونشر طائفة صالحة من كتبه، وتراثه الضخم طبع منه الكثير ولا يزال بعضه مخطوطا لم يرَ النور إلى الآن، وسأذكر فيما يأتي أبرز كتبه أبتدئ المطبوعة ثمّ أثنّي بدواوينه الشعريّة ثمّ أثلّث بالمخطوطة، ثمّ أختم بآثاره بالتحقيق:

١- المطبوعة:

١- الاتجاهات الحديثة في الإسلام (طبع ثلاث طبعات، منها طبعة مصرية مستقلة أصدرها الكاتب الإسلامي محب الدين الخطيب).

٢- ارتسامات حملات نادر شاه في آثار أدباء حديقة الزوراء، مجلة المجمع العلمي العراقيّ، المجلد: ٣٣، عام: ١٩٨٢ م.

٣- أعلام العراق، الذي يحوي تراجم أهل العراق وهو نادر من نوعه في السبك والصياغة، ويتضمن سيرة الإمام الآلوسي الكبير وتراجم نوابغ الآلوسيين، عام: ١٩٢٤ م.

(١) من تقرير وثائقي أعدته قناة الشرقية، بعنوان: راهب اللغة.

(٢) ينظر: نظرات فاحصة: .

٤- الألوان في الفصحى والدراسات العلمية واللغوية (ضمن كتاب المحاضرات المفتوحة في المجمع العلمي العراقي).

٥- تحرير المشتقات من مزاعم الشذوذ، (الدورة الأربعون لمجمع اللغة العربية بالقاهرة) عام: ١٩٧٤ م.

٦- خواطر وسوانح في حلول مشكلات الماء والتغذية وتزايد السكان، مجلة أكاديمية المملكة المغربيّة، ج: ١، عام: ١٩٨٢ م.

٧- ذرائع العصبيّات العنصرية.

٨- الرئي بديل التلفزيون، المجمع العلمي العراقي، مج: ٤، الجزء: ٣ - ٤، عام: ١٩٨٩ م.

٩- سيرة العلامة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بقلمه، مجلة المورد، مج: ٢٤، عام: ١٩٩٦م.

١٠- الطيران من الخيال إلى الحقيقة ومغزى غزو الفضاء، مجلة المجمع العلميّ العراقيّ، مج: ٣٧، ج: ٤، عام: ١٩٨٦ م.

١١- الظواهر الكونية في القرآن.

١٢- علم استنباط الحياة الخفية عند العرب مجلة المجمع العلمي العراقي، مج: ٣٦، ج: ١، عام: ١٩٨٨ م.

١٣- عين الحياة في علم استنباط الحياة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج: ٣٦، ج: ١، عام: ١٩٨٨م.

١٤- فتاوى وتحقيقات لغوية ونحوية نادرة، أكاديمية المملكة المغربيّة، العدد: ٦، عام: ١٩٨٩م.

١٥- مأساة الشاعر وضّاح اليمن، وهي مساجلة أدبيّة بينه وبين أحمد حسن الزيّات - طبع مرات عدّة آخرها بتحقيق وشرح الدكتور محمد خير البقاعي.

١٦- المجمل في تاريخ الأدب العربي، طبع عام: ١٩٢٧م.

١٧- محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث (محاضرة حاضر بها طلاب كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض في عام: ١٤٠٠هـ) ونشرتها الكلية في مجلتها أضواء

الشـريعة، ثم نشرتها الجامعة مستقلة بمقدمة كتبها رئيس الجامعة الدكتور عبـد الله ابـن عبد المحسـن التركي، ثم (المجلـة العربية) التـي تصدر في جدة (عـام: ١٤٠٦هــ - ١٩٨٥م)، **ثمّ طبعته وزارة الشـؤون الإسـلامية والأوقـاف والدعـوة والإرشـاد في المملكـة العربيـة السـعودية، الطبعـة الأولـى (عـام: ١٤٢٤هــ) بعنـوان محمـد بـن عبـد الوهّـاب داعيـة التوحيد، أي: مـن غير إضافة والتجديد في العصر الحديث.**

١٨- محمـود شـكري الآلوسـي وآراؤه اللغويـة، حاضـر بفصولـه طـلاب معهـد الدراسـات العربيـة بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية، ونشـره المعهد (عام: ١٩٥٨م).

١٩- المدخـل في تاريـخ الأدب العربـي (كتـاب مدرسـي لطـلاب الدراسـة المتوسـطة. عهدت وزارة المعارف إليـه تأليفـه (عـام: ١٩٣٠م)، وطبع ببغـداد عـام: (١٩٣١م)، وله سـبع طبعـات، وألغى المشـرف البريطاني تدريسـه في أعقـاب ثورة آيـار (عام: ١٩٤١م) التـي أخفقـت لمشـاركة مؤلفه في تأجيجها).

٢٠- مصادر تاريخ الجزيرة، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، ج: ١، عام: ١٩٧٩م.

٢١- مهذب تاريخ مسـاجد بغـداد وآثارها، أصل الكتاب لشـيخه محمود شـكري بن عبد الله الآلوسي رحمهم الله تعالى، فقام بتهذيبه، وطباعته، عام: ١٩٢٧م.

٢٢- الموفق في التاريخ العربي.

٢٣- نظرات فاحصة في قواعد رسم الكتابة العربية وضوابط اللغة وطريقة تدوين تاريـخ الأدب العربـي، وزارة الثقافة والاعـلام العراقيـة - **بغـداد، عـام: ١٩٩١م.**

٢- ديوانه الشعري:

١- ديـوان محمـد بهجـة الأثـريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، طبعه المجمـع العلمي العراقي: الجزء الأوّل عـام: ١٩٩٠م، والجـزء الثـاني، عام: ١٩٩٦م.



٢- وطبع في مصر بعنوان « ديوان ملاحم وأزهار » الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م يبلغ حوالي: ٤٠٥ صفحة.

٣- المخطوطات:

لقد جمع مكتبة عامرة حافلة تعد اليوم من أكبر مكتبات بغداد تحوي الكثير من المخطوطات العلمية والأدبية لم تطبع بعد، وقد زادت على الثلاثين كتابًا مخطوطًا ومئات الأبحاث المنشورة في أمهات المجلات العلميّة.

٤- التحقيق:

له تحقيقات لعدد من كتب التراث المهمة منها:

١- أدب الكتّاب تأليف الوزير أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، حققه وعلّق عليه ونشرته المطبعة السلفية (عام: ١٩٢٢م).

٢- أم الرجز للعجلي.

٣- البحث وبيان حقيقته ونبذة عن قواعده، محمود شكري الآلوسي، شرح وتحقيق، المجمع العلمي العراقيّ، عام: ١٩٨٩م.

٤- بلوغ الأرب في أحوال العرب للآلوسي.

٥- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق، المجمع العلمي العراقي، المجلد: ٣١، ج: ١، عام: ١٩٨٠م.

٦- تاريخ نجد، تأليف محمود شكري الآلوسي، تحقيق: محمد بهجة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي صدر بطبعات عديدة وكانت له أصداء واسعة.

٧- تفسير أرجوزة أبي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع وزير الرشيد والأمين، لابن جني، (تحقيق) الشرح مجمع اللغة العربية، دمشق، عام: ١٩٨٠م.

٨- خريدة القصر وجريدة العصر، تأليف عماد الدين الكاتب الأصفهاني (تحقيق وشرح قسم شعراء العراق)، بغداد، عام: ١٩٧٦م، وبه منح جائزة الملك فيصل العالميّة للأدب العربي عام: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، وكان قد رشحته رابطة العالم الإسلامي لنيل جائزة الملك فيصل العالمية عن هذا المؤلف فحاز عليها.

٩- صورة الأرض للإدريسيّ.

١٠- عقوبات العرب في جاهليتها وحدود المعاصي التي يرتكبها بعضهم، الآلوسي (تحقيق وشرح) المجمع العلمي العراقي، مج: ٣٥، ج: ٢، عام: ١٩٨٤م.

١١- كتاب الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناشر.

١٢- كتاب النغم، يحيى بن علي بن يحيى المنج، تحقيق وتعليق: محمد بهجة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، طبع: المجمع العلمي العراقيّ، عام: ١٩٥٠ م.

١٣- مقدمة نزهة الأرواح وروضة الأفراح، لشمس لدين الشهرزوريّ، نشرت ضمن كتاب: نصوص فلسفية مهداة إلى الدكتور إبراهيم مدكور (عام: ١٩٧٤م)[١].

١٤- مناقب بغداد لابن الجوزيّ.

وله أيضًا مئات البحوث والدراسات والمقالات في أمهات المجلات العلمية والصحف، كما ترك عشرات القصائد المبعثرة هنا وهناك وغير المنشورة بسبب التقلبات السياسية التي كانت تحجر على قصائده علمًا أن العلامة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذاق مرارة السجن ثلاثة سنوات بعد فشل ثورة آيار (عام: ١٩٤١م) بسبب قصيدة ثورية تهاجم الإنجليز ألقاها من مبنى الإذاعة بينما كانت الطائرات تحوم فوقه.

سابعًا: سعة علمه:

محمد بهجة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علامة موسوعي المعرفة ومحقّق بارع ولغويّ راسخ ومؤرّخ ثقة، وأديب فائق وهو الداعية الصادق والشاعر العملاق، علم من أعلام العرب خصوصا والمسلمين عموما وعالم من علمائهم عاش قرابة القرن مجاهدا في سبيل دينه وعقيدته ولغة القرآن الكريم التي ظلّ منافحا عنها وخادما لها طوال حياته، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ موسوعة علمية متكاملة، فهو يتقن إلى جانب اللغة العربية أربع لغات هي: التركية، والفارسية، والفرنسية، والإنجليزية، فعندما تجد في بداية القرن العشرين إنسانا يتقن خمس لغات تجده

(١) معجم المؤلفين والكتاب العراقيين، صباح الزوك: ٧/ ١٠٩-١١٢، وكتاب معجم المؤلفين العراقيين، كوركيس عواد: ٣/ ١١٤ - ١١٦، ومعجم الأدباء للجبوري: ٥/ ١٧٣.

موسوعيا حقيقة وبجدارة، ولا عجب في ذلك فصفة الموسوعية لدى العلماء العرب المسلمين هي صفة متوارثة، فلا تكاد تجد عالما يقتصر على علم واحد، بل تجده يؤلف في النحو وفي الصرف، ويؤلف في الثقافة، وفي علوم الدين، من عقيدة وحديث وفقه وغيرها، فظاهرة الموسوعية هي ظاهرة متوارثة عن الأسلاف، لكنَّ العلامة محمد بهجة الأثري له في ذلك قصب السبق، والنصيب الأوفر؛ لأنه تميز بعلمه المتبحر في اللغة العربية لغة الإسلام الخالدة، كما عرف بتحقيقه الرصين وتوثيقه الأمين وإسناده الدقيق فيما حقق من كتب اللغة والأدب والتأريخ، والشريعة وغيرها، فعرف بولعه الشديد بالعلم ودراسته المعمقة للتراث العربي الإسلاميّ، فمضى في بداية الأربعينيّات من القرن الهجريّ الرابع عشر - العشرينيّات من القرن المسيحيّ العشرين يكتب الفصول الأدبية في الصحف، واشتبك في صدر شبابه مع الشاعر جميل صدقي الزهاويّ والشاعر معروف الرصافيّ.

ثامنا: الوظائف والمناصب العلميّة والوظيفيّة:

شغل العلامة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مطلع حياته مناصب تدريسيّة وعلمية متعددة، ثمّ شغل عددا من الوظائف:

١- انتخب نائبًا ثانيا لأمين المجمع العلميّ العراقي منذ تأسيسه عام: ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧م، ثمّ نائبًا أوّلا له من عام: ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م إلى عام: ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣م، شارك في وضع جميع المصطلحات العلمية والفنية والحضارية التي انصرف المجمع إلى الاشتغال بها إلى سنة ١٩٦٣م، وهي سنة إحالته على التقاعد.

٢- عضوًا عاملًا في المجمع الموحد عام: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

٣- انتدب للتدريس في المدارس الثانوية منذ ريعان شبابه وذلك في عام: ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م[١]، فدرس العربية والأدب بثانوية التفيض لسنة واحدة من عام ١٩٢٤ إلى عام ١٩٥م، ثم عُيِّن

---

(١) محمد بهجة الأثري، بحث منشور على الشابكة، موقع شبكة الفلق الثقافية: www.alfalaq.com

مدرسًا للعربية والأخلاق في الثانوية المركزية ببغداد لمدة عشرة أعوام، وكان له الأثر الكبير في رسم مستقبل العراق؛ لأن أغلب الطلاب الذين درسهم تقلدوا مناصب في الدولة، وكان من أهمهم عبدالكريم قاسم الرئيس العراقي منذ عام: ١٩٥٨ إلى عام: ١٩٦٣م، وعبدالوهاب مرجان، وكان عبدالكريم قاسم يجل العلامة الأثري كثيرا عرفانا بفضله فهو معلمه، وقد قدمه إلى المغفور له محمد الخامس ملك المغرب الشقيق لما زار بغداد، وقال عبدالكريم قاسم مقدما العلامة محمد بهجة الأثري: هذا أستاذي، من علمك حرفا ملكك حرا. ولم يل عبدا.

٤- تولى رئاسة تحرير مجلة (البدائع الأسبوعية) وجعلها ميدان جهاده الاجتماعي والأدبي، ونشر فيها ما كتبه السلف في الأدب واللغة والتاريخ.

٥- عهد إليه منصب مدير أوقاف بغداد في عام: ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦م [1]، ولم تكن هناك وزارة للأوقاف آنذاك وكانت أوقاف بغداد بمقام وزارة.

٦- بعدها عين مفتشًا في وزارة المعارف، وبعد انضمامه لثورة عام ١٩٤١م، فصل من الوظيفة، واعتقل ثم توسط له الشيخ محمد رضا الشبيبيّ بعد اعتقاله وأعيد إلى الوظيفة بعنوان مفتش.

٧- عين عضوًا في لجنة التأليف والترجمة والنشر في وزارة المعارف العراقيّة (تعرف الآن بوزارة التربية)، وقد كان الشيخ محمد رضا الشبيبي هو الساعي من أجل إعادة تعيينه كما تقدم وذلك عام: ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧م [1].

٨- عهد إليه تدريس مادة الأدب وفلسفة الأخلاق في كلية الشرطة.

٩- عضوا في مجلس شورى الأوقاف.

١٠- انتخب نائبًا لرئيس المجمع العلمي العراقي في عام: ١٣٦٩ - ١٩٤٩م [1].

١١- عيِّن نائبًا أول لرئيس المجمع العلمي العراقي من سنة: ١٣٧٥ - ١٩٥٥م إلى: ١٣٨٣ - ١٩٦٣م [1].

١٢- عُيِّن عضوا عاملا في المجمع الموحد عام: ١٣٩٩ - ١٩٧٩م [1].

(١) المصدر نفسه.

١٣- أسس عددًا من الجمعيات منها جمعية الشبان المسلمين، وأحد مؤسسي جمعية المنسوجات الوطنية عام: ١٣٤٩ - ١٩٣٠م [١].

١٤- عضو مؤازر في المجمع العلميّ العربيّ في دمشق، وكان ذلك بدعوة من العلامة محمد كرد علي، وكان سن العلامة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومئذٍ دون السن القانونية المشروطة في قانونه لهذه العضوية.

١٥- عضو مراسل في مجمع فؤاد الأوّل للغة العربيّة بمصر حتى عام: ١٩٤٧م.

١٦- انتخب عضوًا في مجمع اللغة العربية في الأردنّ فكانت له إسهاماته البارزة في التأليف، وفي المؤتمرات العلمية العربية، وفي المجامع اللغوية.

١٧- عضو في المجلس الاستشاري الأعلى بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، اختاره لهذا المنصب مؤسس الجامعة ورئيسها الفخري الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود

(١) ينظر: ديوان محمد بهجة الأثريّ: ١ / ٣٥٧ .

عام: (١٣٨١ هـ - ١٩٦١م) وظل فيه مدّة سبعة عشرة عامًا إلى أن تغير نظام الجامعة عام: ١٣٩٥ هـ الموافق عام: ١٩٧٥م.

١٨- منذ عام: ١٣٧١هـ- ١٩٥١م كان يدعى إلى المؤتمرات العربية والعالمية في أنحاء مختلفة من العالم [٢].

١٩- قام بتدريس الأدب والأخلاق في كلية الشرطة إلى جانب أعماله الأخرى وكان ذلك عام: ١٣٧٢ - ١٩٥٢م [٣].

٢٠- عين مديرًا عامًا للأوقاف في عام: ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨م إلى عام: ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م [٤]، فكانت له أعمال مشهورة في تعمير المساجد، وإخلاء بعضها من القبور، وإدخال القبور في المساجد بدعة راجت كثيرا في العهد التركي، فلا تكاد تجد مسجدا يخلو من قبر في عهد الاحتلال التركي.

(٢) موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، حميد المطبعي: ١ / ١٨٢ .

(٣) ينظر: محمد بهجة الأثري، بحث منشور على الشابكة، موقع شبكة الفلق الثقافية: www.alfalaq.com

(٤) المصدر نفسه.

٢١- عضو في لجنة «من أين لك هذا؟» وهي لجنة تشكلت في عهد عبدالكريم قاسم لمحاسبة رجال عهد الملكي من رؤساء وزراء ورؤساء مجلس الأعيان، ورؤساء مجلس النواب، وكبار الموظفين.

٢٢- في عام ١٩٦٣م أحيل على التقاعد وانصرف إلى البحث والتأليف.

٢٣- عضو مشارك في أكاديمية المملكة المغربية عام: ١٩٧٧م.

تاسعا: الجوائز والتكريم:

لقد نال العلامة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أوسمة وجوائز كثيرة من دولته العراق في عهديه الملكيّ والجمهوريّ، كما نال أوسمة وجوائز أخرى من دول عربيّة عدّة، سأذكر فيما يأتي ما تسنّى لي معرفته منها:

١- وسام الرافدين من بلده العراق في العهد الملكي.

٢- وسام العرش من ملك المغرب محمد الخامس، قلّده إياه سفيرة المملكة المغربية ببغداد في حفلة خاصة.

٣- وسام أكاديمية المملكة المغربية، قلده إياه ملك المغرب الحسن الثاني في قصره بالرباط.

٤- وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى: قلده إياه سفير الجمهورية العربية السورية ببغداد في احتفالٍ فخم.

٥- وسام المعارف من الحكومة اللبنانية.

٦- جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي، مع وسام رفيع، وذلك **عن تحقيقه** كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر» قسم شعراء العراق) وقد رشحته رابطة العالم الإسلامي لنيل جائزة الملك فيصل العالمية عن هذا المؤلف فحاز عليها عام: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م).

٧- جائزة الرئيس صدام للإنتاج الأدبي الموسوعي مع وسام رفيع، وذلك في مهرجان المربد ببغداد عام: ١٩٨٩م.

٨- جائزة الكوفة للخط العربي من وزارة الثقافة والإعلام العراقية.

٩- و ١٠ - وسام المؤرخ العربيّ، من اتّحاد المؤرّخين العرب (مرّتين).



خاتمة:

في الختام أود أن أسجل بعض النتائج التي خرج بها هذا المبحث:

- العلامة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مشروع إصلاح ديني واجتماعي، وعلمي، ونهضة بالفرد، والشعب والأمة للوصول إلى سالف العهد من العز، والبهاء والتمكين.

- ركز منهج الإصلاح عند العلامة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تحرير العقل من ظلمات الجهل، والشرك والخرافة والبدعة، وتحرير الإنسان من التضليل والتجهيل والاستعمار، واعتماد العلم الصحيح، والعقل السديد.

- إن حاجة البلاد اليوم إلى إصلاح حقيقي، وهذا الإصلاح لا يتأتى من الخيال، ولا من الفراغ، بل من جهود، علماء استثمروا حياتهم بالعلم والعمل، وقطعوا أشواطا كبيرة جدا في الإصلاح، ومنهم العلامة محمد بهجة الأثري، وشيخه العلامة الإمام محمود شكري الآلوسي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، فينبغي لطالبي الإصلاح اليوم أن يسيروا على خطاهم، ويعرفوا منهجهم، وسيرتهم، ومنجزاتهم، لتكون لهم مثالا يحتذى في مسيرة الإصلاح.

رحم الله العلامة محمد بهجة الأثري، وكثر الله في الأمة رجالًا أمثاله.



(٢)
التناص في شعر محمد بهجة الأثري

عايد محسن السليمان

يختلط مصطلح التناص، وهو مصطلح ألسني حديث، بمصطلحات كثيرة في النقد العربي القديم، كالتضمين والاقتباس والسرقة والمعارضة والمناقضة، وقد ظهر مصطلح التناص في كتابات جوليا كرستيفا، ثم وُضِع موضع التداول النقدي، فاستثمرته مدارس نقدية كثيرة، ولا يعنينا هنا دراسة تاريخ المصطلح والتأصيل له، وإنما نريد تطبيق هذا المصطلح على شعر العلّامة الكبير محمد بهجة الأثري، لأنه من الأعلام الذين يمّموا وجوههم شطر التراث العربي فاستحضروه في إنتاجهم الشعري.

وقد اغتنى شعر محمد بهجة الأثري بالتناص مع التراث، وأعاد إنتاج هذا التراث وتوظيفه بما يخدم غرضه الشعري لأن «الحساسية الخاصة تجاه التراث لا يمتلكها إلا الشاعر الموهوب الذي يميز ذاكرته الخيال النشط، وهو ما يعمل باستمرار على تحليل المواد المخزونة، وتركيبها على هيئة جديدة»[١].

(١) مصطفى السعدني، التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١م، ص٦٩

وسنقتصر في هذه الدراسة على شعر محمد بهجة الأثري في دمشق التي كتب فيها قصائد كثيرة، وتفاعل مع الأحداث التي تجري في الشام، وعبّر عن مواقفه ورؤاه في مناسبات عدة.

وإن قارئ شعر العلّامة محمد بهجة الأثري يستوقفه التعالق النصي الحاضر بقوة مع نصوص سابقة، ولما كان الإبداع الأدبي لا يأتي من فراغ، فكل نص جديد يبنى على أنقاض نص قديم، سواء أتم ذلك بصورة واعية من المبدع أم بصورة غير واعية، وجدنا التناص في شعر العلّامة الأثري يعيننا على كشف مضمرات النصوص، ويوضح لنا علاقة المبدع بما سبقه من إبداع، وقدرته على استثمار أفكاره لتتلاءم مع نصه الجديد. وهذا ما يجعلنا نتوقف عند أبرز أنواع التناص وأكثرها حضورًا في شعر العلّامة الأثري.

١- التناص مع القرآن الكريم:

يعدّ القرآن الكريم المصدر الأول للثقافة العربية الإسلامية، وقد تربّى العلّامة الأثري على هذه الثقافة على أيدي مشايخه وعلى رأسهم العلّامة الألوسي؛ ولذلك نجده يستحضر الكثير من الآيات والمفردات والمعاني الدينية في شعره، وقد أكثر من هذا في وصفه طبيعة دمشق الخلابة التي تغنّى بها كثيرًا في شعره، ويمكن التماس التناص الاقتباسي في وصف دمشق من خلال مستويات عدة: أولها جاء على مستوى الألفاظ؛ فقد وظّف كثيرًا من مفردات القرآن الكريم عند الحديث عن جمال دمشق وطبيعتها الآسرة، ويبدو ذلك واضحًا في توظيفه (الفردوس، رضوان، جنات عدن، ..) استمع إليه وهو يقول[١]:

والربوتان وإنّ حسنهما
ما بان عن عيني وإن شردا
باب إلى الفردوس تحتهما
رضوانُ شدّد حوله الرَّصَدا

وقوله في الشوق إلى طبيعة دمشق الآسرة حول نهر بردى[٢]:

بنفسي من جنات عدن خمائلا
على بردى من نعمة الحسن تزهر

(١) ديوان الأثري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ط١، ١٩٩٠م، ج٢/ ٣٥

(٢) ديوان الأثري: ج١/ ٣٠٢

لقد اتخذ العلّامة الأثري من مفردات القرآن وتراكيبه في وصف الجنة -الذي لا يخطر على قلب بشر- سبيلًا للتعبير عن جمال طبيعة دمشق وروعتها، فقد جعلها تضارع الجنة جمالًا، وهذا دليل على إعجاب الشاعر بدمشق التي فتنته بسحر طبيعتها.

ويرى المتأمل أن الشاعر لم ينتزع مفردات القرآن من سياق المعنى الذي وردت فيه، بل وظفها في الدلالة على جمال البيئة والطبيعة وهي الدلالة الأصلية التي وردت في القرآن الكريم.

وأما المستوى الثاني من مستويات التناص في وصف دمشق فقد تمثل في استحضار عبارات وجمل قرآنية وتوظيفها في معنى يقارب السياق الذي وردت فيه، ومن ذلك قوله في قصيدة دمشق[(١)]:

هـذه جِـلَّـقُ تـبـارك ربـي!

«بـلـدٌ طـيـبٌ وربٌّ غـفـورُ»

لا يكاد القارئ يتم قراءة هذا البيت حتى يستحضر قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]. فالشاعر لم يتصرف في جزء الآية سوى التذكير (بلد طيب) ليستقيم له الوزن الشعري، وهذه المقاربة بين دمشق وسبأ تعمق الدلالة، وتمنح دمشق هبة إلهية وبركة ربانية من الجمال والبهاء والطيب كالتي منحها الله تعالى لسبأ.

وأما المستوى الثالث من مستويات التناص مع القرآن الكريم في شعر دمشق فهو استحضار المعاني الإسلامية، وقد تمثل ذلك في تفتيق صورة فنية بديعة بليغة الدلالة في قوله[(٢)]:

بنـو أميّـةَ ما زالـوا كمـا خُلِقوا

بنـو المـكارم والآداب واللينِ

أصبحْتُ فيهم تهاداني سـراتهم

كأننـي مصحف في بيت ذي دينِ

زار العلّامة الأثري دمشق، فحلّ على قوم كرام تناوبوا على استضافته والترحيب به وإكرام منزلته، وها هو يشبه نفسه

(١) ديوان الأثري: ج٢/ ٢٨

(٢) ديوان الأثري: ج١/ ٣٠٣-٣٠٤

بالمصحف، ويصف أهل دمشق بأنهم أهل دين، فكما أن أهل بيت الدين يتناوبون على الاحتفاء بالمصحف، والاعتناء به، والتناوب على قراءته، كذلك الشاعر في أهل دمشق الذين أكرموا وفادته، واعتنوا به.

ولا يخفى على القارئ قدسية القرآن الكريم (المصحف) -الذي لا يمسه إلا المطهرون- عند المسلمين، مما يوحي بطهارة أهل دمشق ونقائهم إذ جعلهم الشاعر بيت الدين. وبهذا يمنح التناص مع القرآن الكريم النص مزيدًا من القوة والتأثير، وزيادة في الدلالة التي يكتسبها من قدسية هذا النص العظيم.

٢- التناص مع الشعر العربي القديم:

يعدّ العلامة الأثري أحد أعلام المدرسة الاتباعية في الشعر الحديث، التي اتخذت من الشعر العربي القديم مثلًا أعلى يحتذى في الصياغة الفنية، فكثرت المعارضات الشعرية للنصوص الشامخة في الشعر العربي، ومن ذلك قصيدة العلامة الأثري (الثورة السورية) التي نظمها عام ١٩٢٥ وهي من بواكير شعره، وقد برز فيها التناص واضحًا من خلال معارضته رائية أبي فراس الحمداني[١]:

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر

أما للهوى نهي عليك ولا أمر؟

إذ يقول العلّامة الأثري في مطلع قصيدته (الثورة السورية)[٢]:

دمشق! حماك الله. ما الحادث النُّكر

سلمت. وفيم البغي راعك والغدر؟

يبدو التعالق واضحًا بين المطلعين من خلال البحر الواحد (الطويل) والقافية الموحدة، ومن خلال أسلوب الاستفهام الذي يثير دهشة القارئ في المطلع ويدفعه ليتابع القراءة بغية الكشف عن الإجابة.

والسؤال الذي يطرح ههنا: لماذا اختار الشاعر قصيدة أبي فراس ليعارضها دون غيرها؟

والحق أن المناسبة بين القصيدتين وطيدة، فالعلّامة الأثري نظم قصيدته عام (١٩٢٥) إبّان وقوع دمشق أسيرة الاحتلال

(١) ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق: سامي الدهان، بيروت، ١٩٤٤م، ج٢/ ٢٠٩

(٢) ديوان الأثري: ج١/ ٢٩٥

الفرنسي، وانتفاضة أهلها في وجه هذا الاحتلال وثورتهم عليه، ورفضهم الخضوع والاستسلام. وهذه المناسبة تشابه المناسبة التي قال أبو فراس فيها قصيدته عندما وقع أسيرًا في يد الروم، وهو يفتخر بعزَّته وكبريائه وهو في الأسر، والقصيدتان تضجان بروح الكبرياء والشموخ، وقد استلهم العلّامة الأثري كثيرًا من مفردات ومعاني قصيدة أبي فراس، ويبدو هذا واضحًا على مستوى المفردات في تطابق اثنتي عشرة قافية بين القصيدتين خُتمت بالمفردات نفسها، وهو ما يمثل قريبًا من نصف أبيات قصيدة العلّامة الأثري.

والتناص في القصيدة يتجاوز هذا التشاكل على مستوى المفردات ليصبح استثمارًا العبارات وأشطر شعرية وتوظيفها في القصيدة وفق دلالتها الأصلية أو في دلالات جديدة تخدم غرض القصيدة.

فمما استخدمه العّلامة الأثري وفق دلالته الأصلية قوله[1]:

ومن كان قحطان أباه فإنّه

«له الصدر دون العالمين أو القبر»

(١) ديوان الأثري: ج١/ ٢٩٦

فهو يستحضر بيت أبي فراس في الفخر[2]:

ونحن أناس لا توسط بيننا

لنا الصدر دون العالمين أو القبر

والسياق واحد وهو الافتخار وإظهار العزة والكرامة، وهذا متفق بين دمشق وأبي فراس.

وربما اتخذ شطرًا فوظفه في دلالة جديدة، كقوله يحث أهل دمشق على الثورة وعدم الاكتفاء بالمعارضة القولية[3]:

ومن طلب استقلاله بلسانه

كمن خطب الحسنا وما عنده مهر

وقد استثمر فيه قول أبي فراس[4]:

تهون علينا في المعالي نفوسنا

ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر

وكأنه يريد أن يحيل المتلقي إلى معنى بيت أبي فراس وهو تقديم الروح مهرًا للمعالي، وهو الذي يريده الشاعر من أهل دمشق، غير أن سياق بيت أبي فراس

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني: ج٢/ ٢١٤

(٣) ديوان الأثري: ج١/ ٢٩٨

(٤) ديوان أبي فراس الحمداني: ج٢/ ٢١٤



جاء في الفخر في حين جاء بيت العلامة الأثري في سياق اللوم والتقريع والحث على النهوض.

على أن العلامة الأثري يستقي أحيانًا من معاني أبي فراس، غير أنه يعيد صياغتها من روحه ونفسه فتصبح جديدة كل الجدة، وهذا هو التناص الامتصاصي الذي يعدّ من التناص الإيجابي القوي لأنه يقوم بإنتاج «أفكار قديمة بأسلوب جديد، فهو ثمرة نصوص سابقة، ولكنه ليس وحيد البنية وفقير الدلالات والإشارات»[1] التي يمكن أن يلتمسها المتلقي في النصوص الجديدة، كقوله في مدح أهل دمشق الثائرين[2]:

هم قد أبوا ذل الحياة وآثروا

على العيش موتًا طعمه أبدًا مُرُّ

فالشاعر يجري مقارنة بين حالين: الأولى قبول ذل الحياة والعيش الطيب، والثانية رفض الذل واختيار الموت الكريم.

(١) حسين جمعة، المسبار في النقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م، ص١٦٥

(٢) ديوان الأثري: ج١/ ٢٩٥

وهو ما عبر عنه أبو فراس في قوله[3]:

وقال أصيحابي: الفرار أو الردى

فقلت هما أمران أحلاهما مرُّ

فالعلّامة الأثري استحضر المعنى دون الألفاظ، فليس بين البيتين تطابق في الألفاظ إلا في كلمة (مرُّ) في نهاية البيتين وهذا هو جوهر التناص الامتصاصي.

لقد وقف العلّامة الأثري أمام كثير من النصوص الشامخة في شعرنا القديم وأعاد إنتاجها واستثمارها بما يخدم غرضه الشعري، وما قصيدة أبي فراس إلا نموذج للتناص مع الشعر العربي القديم. ولا يعدم القارئ أمثلة أخرى إذا قرأ شعر العلامة الأثري.

٣- التناص مع الشخصيات التراثية:

أكثر العلّامة الأثري في شعره من استحضار التاريخ والشخصيات التراثية التي تركت أثرًا واضحًا في مسيرة دمشق عبر القرون، وعندما أراد التأكيد على عروبة دمشق وحرية أبنائها استحضر

(٣) ديوان أبي فراس الحمداني: ج٢/ ٢١٣

شخصية (قحطان) الذي كان ابنه يعرب أول من عدل لسانه عن السريانية إلى العربية كما تذكر كثير من المصادر التاريخية، يقول[١]:

وأنَّ بني قحطان سادات نفسهم
وموطنهم حرٌّ وملكهم حرُّ

ولا ريب أن الأثري يريد من هذا التناص الإشارة إلى عزة نفوس أهل دمشق وإلى ماضيهم المجيد الذي سطره جدهم قحطان، وهاهي دمشق تعيد سيرته الأولى.

والأثري يتغنّى كثيرًا بتاريخ دمشق ويستحضر رموز التاريخ الذي أقاموا دولهم على أرض دمشق، ويربط الماضي بالحاضر، وهو يقول[٢]:

أدمشق يا أخت الضحى وهجًا
ذهبًا ويا رئد العلى صَيَدا
غسّان أثّل فيك مملكة
غنّى لها حسّان واحتشدا
ملك عريض شدّ أندلسًا
بالسند محتشدًا ومتّحدا
أعلت أميّة فيك رايته
شماء تحسر ناضرًا رصدا
تابعْتِ طيبة سنّة وهدى
والخير ما سنَّته وامتهدا
أمُّ الخلافة أصل دوحتها
طابت وطاب بها الورى رغدا

يلخص العلّامة الأثري تاريخ دمشق في هذه الأبيات ويستحضر فيها الشخصيات التي لعبت دورًا في صناعة هذا التاريخ، والأماكن التي ارتبطت بهذه الأحداث، ولما كان التناص يعني أن «كل نص يقع في مفترق طرق نصوص عدة، فيكون في آن واحد إعادة قراءة لها، واحتدادًا وتكثيفًا ونقلًا وتعميقًا»[٣] نجد الشاعر يتحدث عن مملكة الغساسنة التي تغنى بها الشاعر حسان بن ثابت وامتدح ملوكها، ثم يتحدث عن دولة بني أمية في دمشق التي امتدت إلى الأندلس غربًا وإلى السند شرقًا، وهي تسير في ذلك على خطى مدينة رسول الله ﷺ، وهذا الاستحضار المكثف يعمق الدلالة التي

(١) ديوان الأثري: ج١/ ٢٩٦

(٢) ديوان الأثري: ج٢/ ٣٧-٤٠، الرئد: الترب وهو من ولد معك. الصيد: رفع الرأس كبرا. أثّل: أصّل.

(٣) التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، ص٨

يرمي إليها الشاعر من إشاعة مظاهر القوة والاعتزاز بهذا الماضي المجيد.

وقد أطال العلامة الأثري الوقوف في قصائده على تاريخ بني أمية في دمشق وامتدح خلفاءها وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان مؤسس الخلافة الأموية الذي نسب دمشق إليه في قوله[١]:

معاويَّةٌ لم تعرف الذلَّ ساعة

فكيف على الذلِّ المكابر تصبرُ؟

قال الشاعر قصيدته بعد إضراب عام في دمشق دام أربعين يومًا رفضًا للاحتلال الفرنسي، وها هو ينسب دمشق في عزتها وكبريائها ورفضها الذل إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وهذا الاستحضار يربط الماضي بالحاضر ويؤكد على عروبة دمشق وإسلامها.

ويعود في مشهد آخر ليستحضر شخصية الخليفة الأموي مروان بن الحكم في قوله[٢]:

يا دار مروانَ دام البشر مؤتلقًا

على جبينك لمّاح التلاوين

(١) ديوان الأثري: ج١/ ٣٠١

(٢) ديوان الأثري: ج١/ ٣٠٦

ولعل الارتباط واضح بين الفرح الذي تعيشه دمشق حاضرًا والفرح والرخاء الذي كانت تعيشه في ظلال الخلافة الأموية في عهد مروان بن الحكم.

يتبين لنا مما تقدم أن استحضار الشخصيات التراثية جاء في سياق الفخر والاعتزاز وإظهار مشاعر الفرح والسرور، ولذلك جاء هذا الاستحضار معزّزًا التواصل الحضاري والأصالة العربية بين الماضي والحاضر.

ختامًا:

هذه أبرز مصادر التناص التي برزت في شعر العلامة الأثري في دمشق، وهي تبين لنا أصالة الشاعر وثراءه الفكري، الذي تمثل في استحضار القرآن الكريم التجارب الشعرية والشخصيات التراثية والتاريخية ومحاكاتها والاغتناء بها، وليس ذلك دليل عجز عن الإبداع، بل دليل وعي عميق وتقدير كبير لقيمة الموروث الثقافي، وضرورة الانطلاق منه والبناء عليه، وتقديم رؤية جديدة لموضوعاته الأصيلة.



(٣)
المنهج الأدبي للعلامة محمد بهجة الأثريّ

د. عماد خليفة الدايني

العلامـة المصلح محمد بهجـة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كاتبٌ فذٌّ بليغٌ فصيح، وخطيبٌ مُفوَّه، وشاعرٌ فحل مجيـد، من الطراز الأول، وهـو ناثر بارع متمكن، وعند مطالعة نتاجه الأدبي من نثر وشـعر نجد فيه ثروة فكرية عظيمة هائلة، ومثال يحتذى للشـعراء والأدبـاء في الأدب الإسـلامي المتـزن الملتـزم، والأدب العربي المحافظ بصورة عامة، فاسـتطاع العلامة محمد بهجة الأثريّ أن يرسـم لنفسه طابعًا يميّزه في شـعره، وأدبه، وعلمه، فقد سخر إمكاناته العلمية والأدبية لنصرة الإسـلام والعروبة، وعلى مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية والأدبية، إلا أنَّ النشاط الأدبي كان أبرز الميادين الّتي جاهد من خلالها العلامة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكافح في سبيل نصرة فكرته.

وإنَّ مما يؤسـف له أشـد الأسـف أنَّ كثيرا من المصادر التي تناولت الأدب الإسـلامي المعاصر لم تذكر العلامة الأثري، ولم تشـر إليه ولا إشـارة، وكان حقـه أن يكـون في مقدمة القـوم، وعلى رأس القائمة، وينبغي أن لا تخلو مناهج التعليم من أدبه في مراحلـه جميعا، فإن قصيدة واحدة مما كتب تعادل جميع ما أنجز غيره بل تفوقه، ويقوم منهجه الأدبي بشعره ونثره على مرتكزات أساسية **وسنتناول فيما يأتي طرفا منه ليتضح لنا منهجه الأدبي:**



المطلب الأول: نثره:

نذكر الآن بعضًا من نثره الفني، لنقف على منهج هذا العَلَم العراقي المصلح والداعية والعالم المربي، فإنَّه على مستوى نثره قد أجاد وأفاد، وكان مدرسة في الإصلاح، وبناء الدولة الناجحة، والأجيال المتعلمة المتفتحة، ومن أبرز قضايا منهجه في النثر:

١- نصرة الإسلام بعقيدته الصحيحة الصافية، ومنهجه القويم السلفي الأثري:

يقول الدكتور محمود جواد المشهداني: «آمن **العلامة** الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالإسلام إيمانًا صادقًا، ونبذ ما سواه من المبادئ والأفكار الأخرى، ولم يُعرف عنهُ أنه أنضم إلى حزبٍ من الأحزابِ السياسية، كما انه لم يؤازر حزبًا أو جماعة في شعره ونثره، وإنما وجه كل امكاناته إلى محاسن الإسلام، والعروبية، والعربية «، فمما أجاد فيه وأفاد في نصرة الإسلام، والانتصار للعقيدة الصافية النقية السنية السلفية الأثرية ما **جاء ترجمته لشيخه ومعلمه علامة العراق** العلامة السيد شهاب الدين أبو المعالي محمود شكري الآلوسي الحسيني: « ثم ما لبث الألوسي أن أصحر عن انحيازه في جرأة وقوة إلى الحركة السنية السلفية، مع مقاومة الدولة العثمانية الصوفية لهذه الحركة الإصلاحية بكل قواها الرجعية، واستعلن وقوفه إلى جانبها بكتابه (فتح المنان تتمة منهاج التأسيس رد صلح الإخوان) الذي فرغ من تأليفه في غرة ذي الحجة سنة ١٣٠٦ هـ وطبع بالهند سنة ١٣٠٩ هـ..».

وقال الأثري عنه أيضا: «ومن يطالع كتابه (الآية الكبرى) يرى عبارات قوية تزعزع أساس الباطل، وتحدث دويًّا بوجهه، لكنها مبنية على أساس علمي رصين».

ونعيش الآن مع نصوص من نثر **العلامة محمد بهجة** الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لنتعرَّف من خلالها على منهجه الأدبي، وما يؤمن به،

فهو يقول: «يقول المحرومون عِلْمَ ما عَمِلَ محمدٌ ﷺ، والجاهلون بتاريخ الإسلام: «الثورة الفرنسية الّتي هدّت (البستيل) هي الّتي منحت الإنسان الحرية والحياة». ونقول: أسألوا الدهر عن ثورة المسلمين بعد ما ثار بهم «ابن عبد الله» على ألف بستيل وبستيل من سجون العقل والوجدان، وخرافات الكهنة وكهنة الخرافات.

ويقولون: بسمارك ونابليون وجان دارك ...ونقول: أبو بكر والفاروق وذو النورين وعليّ وخالد وخديجة وحفصة وعائشة وأسماء وفاطمة والخنساء وألوف من الرجال والنساء.

ويقولون: مدنية القرن العشرين للميلاد. ونقول: مدنية القرن الأول للهجرة: مدنية القرآن، ومدنية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي الأولى والأخيرة في تاريخ الإنسان من الأزل إلى الأبد، وإن كابر المكابرون.

ويقولون: اختراعات الحضارة الغربية، ونقول: جسم من غير روح، ووحشية من غير رحمة، غازاتٌ خانقة، والآت مدمرات، وتوثّب إنسانٌ على إنسان، وأمة على أمة من أجل البطن، وظلم القوي للضعيف في غير هوادة ولا رحمة!

ويقولون: شرائع أثينا وروما وباريس، وأمثال هذه الواوات من لعنات الغرب. ونقول، ويقول معنا الدهر: الإسلام ثمّ الإسلام «إنَّ الدين عند الله الإسلام» ويقولون: ذكرى الجندي المجهول، ونقول: ذكرى منقذ العالم محمد «ﷺ» ويقولون: القانون، ونقول: كتاب الله».

ومن نثره في نصرة الإسلام، والانتصار للعقيدة الصافية النقية الأثرية ما جاء في مقدمة رسالته **«محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد»** قال: **«فقد دعتني رئاسة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لأشارك في هذا الأسبوع المحمودة مقاصده، مشكورة على حسن الظنّ، فتذكرت نبأ أمير مشرقي كان مولعا بالكتب سمع بكتاب ألفه أديب في الأندلس، استحسنه الأدباء وقرظوه، فتاقت نفسه إليه، فلما حصل في يده لم يجد فيه ما لا يعرفه، فأطبق عليه دفتيه، وقال: « هذه بضاعتنا ردت إلينا»!**



❁ فقلت في نفسي: ليت شعري ما الذي حدا بالقوم أن يدعوني إلى أمر هم أهله، ومنهم يقتبس الحديث عنه؟ فما عسى أن أحمل إليهم من شيء يعلمون من ظاهره وخافيه، ومن موارده ومصادره ما لا أعلمه؟ آآخذ بضاعتهم وأردّها إليهم؟ أأخلف نخيل هجر، فأحمل إليها تمرا من العراق؟

❁ وهتف بي هاتف من النفس يقول: أن لا، ليس الرأي ما تراه، فإنّ القوم كما تعرفهم أذكى من أن يذهب ذلك عنهم، وليس بنخيل هجر إخلاف، إنّهم إنما دعوك لتسمع منهم فتتعلم.

❁ فقلت له: إنّ هذا لهو حق اليقين، وإنه لجميل!

❁ فقال: وإذا نطقت لتُسمع ما عندك فجُرت أو أخطأت سدّدوك.

❁ فقلت: وإن هذا والله لأجمل .

❁ فعزمت، ولبيت، ولساني يخاطب نفسي بما قال أبو العلاء [(١)]:

خُـذِي رَأْيِي وحَسـبُكِ ذاكَ مِنِّي
علـى مـا فِيَّ مِـن عِـوَجٍ وَأَمْتِ
وَمَـاذا يَبْتَغِـي الجُلسـاءُ عِنـدي
أَرادُوا مَنطِقِـي وَأَرَدتُ صَمتِـيْ

❁ وإن رجيت إذ أنطق بالذي دعيت له أن لا أجامل فيُغضَى على أمْتٍ كان الصمت يسرّه» [(٢)].

٢- حبه للعروبة وانتصاره للعربية:

قال العلامة محمد بهجة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حبه للغة العربية وتعلقه بها: «لقد عشقت اللغة العربية؛ لأنها المكون الأول للثقافة، فاللغة هي الوعاء الذي يحمل الفكر والعقيدة، ويحمل الفلسفة والسياسة، والمدرسة التي انتميت إليها العربية الإسلامية كانت خير معبر عن هذا التفاعل بين هذه اللغة وجميع شؤون الناس».

---

(١) شرح اللزوميات، أبو العلاء المعري: ١ : ٢٧٤ .

(٢) محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد، تأليف محمد بهجة الأثري، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، عام: ١٤٢٤ هـ: ٣ – ٥ .

٣- الرد على الشعوبية:

مما أجاد فيه وأفاد في نصرة العربية والـرّد على الشعوبية وفضح أكاذيبها، وذلك في مواضع كثيرة في أدبه، نثرًا وشعرًا، ولعلَّ مساجلته لأحمد حسن الزّيات على صفحات البلاد، والرّد على الفرية الشّعوبية القائلة بعلاقة الشاعر وضّاح بالرفيعة النسب والحسب أم البنين الأموية.

وللعلامة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب مخطوط بعنوان (الـرّد على الشعوبية) وهو نقض لكتاب المثالب لابن الكلبي.

وقال الباحث حميد المطبعي عن جهود العلامة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التصدي للحركة الشعوبية: « وله في هذه الحركة فيما بعد العشرينات نقود ومعارك حارب فيها هذه الحركة ودعاتها والدائرين في فلكها».

وقال الكاتب الإسلامي أنور الجندي الّذي حضر مؤتمر «الدراسات العربية» في الجامعة الامريكية في بيروت (عام: ١٩٥١م) وكان العلامة محمد بهجة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد اصطفته الجامعة في عداد أربعة أعلام لمشاركتها في محاضراته، وطلبت إليه أن يُحاضر في موضوع الاتجاهات الحديثة في الإسلام، يقول الجندي: «هذا واحدٌ من هذه المجموعة الّتي قاومت الغزو الفكري، والتغريب، والشعوبية، دون توقفٍ في حملاتها الضارية على اللغة العربية، والتاريخ الإسلامي، والأدب العربي.

٤- قضايا الأمة:

من أهم قضايا الأمة في هذا العصر هي القضية الفلسطينية، والتي شغلت الأمة جميعا، وشغلت العلامة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كثيرا، وأخذت أغلب جهده، وساعات حياته، فقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«فلسطين التي كانت مركز التطاحن بين قوتي الشرق والغرب، وكان مصابها الفادح باعثا لأمم الإسلام من عرب وأكراد وتركمان على اتحاد كلمتها، قد عادت لها اليوم محنة أمسها الدابر، في مختلف شؤونها وأحوالها، وإن محنتها هي محنة هذا الشرق العربي الإسلامي، تتلاقى عند همومه، وتتذامر من أجلها شعوبه».**



المطلب الثاني: شعره:

لقد بدأ العلامة محمد بهجة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقرض الشعر منذ صباه، ومعينه في ذلك دراسته للغة العربية واهتمامه بالوقوف على أسرارها، وما تطلبه ذلك من العكوف على دراسة الشعر الجاهلي والغوص في أغواره، واستفتاح مغاليقه، ثمّ بعد ذلك دراسة الشعر العربي في مختلف عصوره وعلى تعاقب دوله، على تطاول الأيام حتى شعراء النهضة الحديثة كل ذلك أعانه على حسن استعمال ملكة الشعر، وعلى إبراز مواهبه الفنية في صور تدعوا إلى الإعجاب فجاء شعره قوي محكم، متين الأسباب، يجمع بين قوة التعبير ودقة التصوير، ومتابعة ما جد من فنون الشعر، من تطور مع المحافظة على أصول هذا الفن العريقة، والإمساك بأوتار الشعر في أزهى عصوره وأبهى مَجاليه[١]، وإذا ما وازنا شعره بشعر الفحول، وجدناه يضاهيه، فإنَّه شعر عالٍ من الطراز الأول، وله قصائد حقها أن تكون من المعلقات، فإنه متميز بجزالة اللفظ، وقوّة الصياغة وبراعة التعبير، وإبداع النسج وإحكام القوافي، وطرافة المعاني، مع توافر الغنائية وانسجام القصيدة بيتا بعد بيت إلى جانب تنوع الأغراض والمقاصد والاتجاهات، مع المحافظة على قواعد الشعر العربي الأصيل[٢]، وكان القدماء إذا أرادوا أن يذموا شعر شاعر قالوا: «هذا شعر العلماء»، وهو صحيح إلى حد ما[٣]، فالعالم قد يشغله علمه وبحثه عن الإبحار في الخيال وولوج بحر العواطف، فيكون علمه في خط متقاطع مع جودة شعره، لكن هذا ليس قاعدة مضطردة، ولا لازم لجودة شعر كل عالم وإبداعه، فقد برع عندنا علماء في شعرهم كما برعوا في علمهم كما هو الحال عند الإمام الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعند مطالعة شعر العلامة محمد بهجة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، نجده «شعرا متألق القسمات، فتان الرواء، يتيه بأبراد موشاة بأروع الصور، تحس معها صنعة من يتذوق الجمال، ويحسن اختيار

(١) ينظر: ديوان محمد بهجة الأثريّ: ١ / ٧ – ٨ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١٠ .

(٣) ينظر: عَرار نجد قراءة في شعر عبد الله العثيمين، د. أحمد مطلوب: ٧، منشورات المجمع العلمي العراقي، عام: ١٤٣٠ – ٢٠٠٩م.

الألفاظ، وتشتم وأنت تقرأه شذا الريحان، وعبق النرجس، وأريج الياسمين»[(١)]، فالأستاذ الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم تذهب سعة علمه وتبحره بنضارة شعره ورونقه، ولم يكن علمه متقاطعا مع إبداعه الشعري كما حدث لآخرين، بل سارا في خطين متوازيين يكمل أحدهما الآخر، فما زال أدبه عموما وشعره بالأخص، ميدانا خصبا للدارسين، ومنهلا عذبا للمتذوقين، فلو أخذنا مطلع قصيدته العصماء «نبي الرحمة»[(٢)]:

إذا اعتاد همس القول في الحق شاعر
فـإني غيـر الجهـر لـم أتعـود
بحسبي أني في اعتقـادي مسـلم
وأني بخير الخلق بالخُلق مهتدي
وماضرني إن فاتنـي هدي مذهبٍ
إذا كان هديـي بالنبـيّ محمَّـدِ

لوجدنا أنّه يفصح عن غاية طرفه من الأدب، ومرمى عصاه من الشّعر وعلوم لغة القرآن فالعلامة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو أحد شيوخ الأدب العربيّ الإسلاميّ، والقوّامين على اللغة العربية، ومن أبرز شعراء العراق والأمّة، محقّق ثبت، ومؤلّف واسع الاطّلاع، ملتزم في أدبه وحياته بإسلامه، وهو في شعره ونثره بليغٌ مشرق الديباجة، **وأهمّ ما يمثل لنا مذهبه في الشعر ونظرته إلى المضمون الشعري هي قصيدته** «الشعر والصدق» وهي[(٣)]:

ذرِ الشـعـرَ أملاه الهـوى وتَذَبْذَبَا
وإن نفث السحرَ الحلالَ وطرَّبَا
ونشَّـر كالطاووس وشـيًا مزوقًا
وغنَّى وطرَّى واسـتمال وشـبَّبا
هو الزيف لا يذهبْ بلبِّك فخرُه
تفاخَرَ لما عن هوى الصدق نكَّبا
يغطـي بـه ذل المديـح مشـرِّقًا
بسفسـافه حينًـا، وحينًـا مغرِّبـا

ثم يقول فيها[(٤)]:

وصُبَّت أهاضيب المخازي مُلِثَّةً
على شاعر ينحو المديح تكسبا
تخايـل عُجبًـا بالقوافي ونفسـه
وكان لـه أولـى بـأن يتحدَّبـا!
ودع عنك مـن أضفى عليه ثناءه
فما اجتمع الشِّـبهان إلا ليكسِبـا

(١) ديوانه: ٢٣.
(٢) ديوانه: ١ / ٧٦.
(٣) ديوانه: ١ / ١٦٤ - ١٦٧ .
(٤) ديوانه: ١ / ١٦٥ .



ويقول فيها [١]:

ولا تشغلوا بالشعر بالكذب مصحبًا
وروموا سموَّ الشأن بالصدق مذهبا

والشـعر عنده تعبير عمّا يكنّه الوجدان الحيّ للشاعر، من تعاطف عظيم مع هذا الفنّ العريق، والسموّ به إلى حيث يضعه في أرفع مكانة، فقد قال في مطلع قصيدته «الشعر كما أراه» والتي تبلغ ثمانية وعشرين بيتا [٢]:

الشعر ما روى النفوس معينه
وجرت برقراق الشعور عيونه
وصفَت كلألاء الضياء حروفه
وأزهت بوضاء البيان متونه
متألق القسمات فتان الرؤا
يزهو بِصِبا الفصحى الطرير رصينه
حرّ المذاهب لا يشوب أصوله
كدر ولا واهي اللغات يشينه
ابن الحقيقة والحقيقة نهجه
والصدق في أرب الحياة خدينه

وأما عن منهجه في الأدب، فقد نافح عن العقيدة الصحيحة الصافية، والمنهج الأثري، وذم التقليد والتعصب، ودعا إلى العلم الصحيح، ونبذ الخرافات والبدع، وتجاوب مع قضايا الأمّة الإسلاميّة وشعوبها فكان بطبيعته ثائرًا على الاستعمار وعملائِهِ، فتجد في شعره صدى للأحداث الجسام التي ألمّت بالأمة.

وسنقف عند كل واحدة من هذه المنهجيات والأغراض الشعرية:

١- العقيدة الإسلامية:

وهي التي تمثل الإسلام الصحيح المنقى من شوائب الجاهلية وظلمات الجهل، وعوالق البدع والخرافات، فهو اختار أن يكون أثريا قلبا وقالبا، وذلك يتضح جليا في شعره في القضايا الدينية، كما في قصيدته **«أنوار وتجليات»** [٣]:

ربِّ حارتْ في كُنهك الأفكارُ
كلما فكَّرت عراها انبهارُ
كيف تسمو إلى اكتناهك خلق
هن عن فهم خلقهنَّ قصارُ
بهرتها هذي الطبيعة والحُسـ
ـنُ وهذي الآيات والأنوارُ

---

(١) ديوانه: ١ / ١٦٧ .
(٢) ديوانه: ١ / ١٦٠ .
(٣) ديوانه: ١ / ٥٨ .

كيف فاضت وكيف نارت ومن أيـ
ـنَ استفاض الإبداع والإبتكارُ
وقف العقل دونها بهداه
وهداه تنور واعتبارُ
إن تكن لا تُرى فآيُك شَفَّت
عنك جهرا كما يشِفُّ النهارُ
ذو الحِجا يشهدُ التجلي في الكو
نِ ويُضْحي في قلبه الإسفارُ
قد تنورت من جلالك ربي
فوق ما أفصحت به الأسفارُ
رب أنت الغني وحدك والخلـ
ـقُ عيال بهم إليك افتقارُ
لك وجهت يا إلهي وجهي
ولأنوار وجهك الإكبارُ

وكذلك قصيدته «على فم المارد» افتتحها بقوله[1]:

يا نُوْحُ قُمْ دَارَتْ بِنَا الأَزْمَانُ
عُبِدَ الْهَوَى وَتَجَدَّدَ الطُّوْفانُ

إنّ هذا المطلع بهذه النبرة العالية والصوت المرتفع بحرف النداء «يا» يدلّ على أنّ هذه القصيدة تحمل أمرا عظيما، ثمّ يوضّح لنا طرفا من هذا الأمر وهو المنادى نبي الله نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وظهور الكفر وتجدّد الطوفان.

٢- مدح النبي ﷺ:

لقد أولى المدائح النبوية أهمية في شعره، خاصة في نشاطات جمعية الشبان المسلمين، وفي المناسبات التاريخية المتعددة، وديوانه يزخر بقسم منه خاص بالمدائح النبوية، أسماه «نبويات» فيها غرر من قصائد الأدب العربي، وإني كنت أقول في كل موطن يُسأل فيه عن الرثاء: لقد قال حسان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بيتا جمع فيه محاسن الرثاء، ولم يترك منه شيئا إذ قال[2]:

وما فقد الماضون مثل محمَّد
ولا مثله حتَّى القيامة يفقدُ

حتى قرأت قول العلامة الأثري في المديح النبوي، فوجدته هو الاخر قد سبق إلى مدح لم يلحق به غيره، إذ قال:

نظرتُ إلى الأجيالِ من نسل آدمٍ
فَلَم أرَ إنسانًا كمثل مُحَمَّدِ

(١) ديوان ملاحم وأزهار: ٢٩٥ . قالها في وصف فيضان نهر دجلة في عام: (١٣٧٣ هـ - الموافق نيسان ١٩٥٤ م) وكان أعظم فيضان تعرضت له بغداد قبل إنشاء سدّ الثرثار العظيم.

(٢) ديوان حسان بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ٦٤.

وذلك في قصيدته «نبي الرحمة» ومطلعها[١]:

هو الحب يغريني بمدح محمدِ
فتغشى جناني أيُّ هيبة سيدِ
وكم من فتىً يهتز للشعر يقتضي
بياني انشاد القريض المخلَّدِ
يُشرِّفني أنّي أقولُ مديحَه
وإنّي بما قد سنَّ للناس مقتدِ
ولكنّني فيما أُحاولُ عاجزٌ
وان كان لي بِكْرُ القريضِ المُقلَّدِ
وإنّي لو فُقتُ الأنام فصاحةً
لما جئت مما يستحق بمُثمَدِ
أبى لي اقتداري مَظهَرَ العجزِ في الذي
أحاولُ إلا في مناقب أحمدِ
نظرتُ إلى الأجيالِ من نسل آدم
فَلم أرَ إنسانًا كمثل مُحَمَّدِ
له سيرةٌ ما الروض في رونق الضحى
يقارب منها صفحةً ذات مَشهدِ
تَمورُ بزاهي الحُسنِ حتى كأنّها
تُشِعُّ لسارِ الليلِ أضواء فَرقَدِ

وقال في قصيدة «إنك لعلى خلقٍ عظيم»[٢]:

لِمنِ السنا متألقًا أنواره تتضرمُ
الكون من إشراقه متلألئٌ متبسمُ
وعوالم الأملاء في أفراحها تترنَّمُ
لآلاء وجه محمد وبَهاؤه والمَيسمُ
ألقى على الدنيا الروا ء وطاب منه المغنمُ
زالت به البؤسى وحلت في الحياة الأنعُمُ
هو صفوةُ الحنفاء بل أسناهُمُ والأكرمُ

(١) ديوانه: ١ / ٦٦ - ٦٨.

(٢) ديوانه: ١ / ٩١.

٣- حبه للعروبة وانتصاره للعربية:

وقد سلك في هذا منهجا مستقيما ينسجم مع عقيدته الإسلامية السلفية الأثرية، فإن عروبيته تقوم في الأساس على العروبة شرط أن لا تختلط بعلمانية، أو ماركسية، أو تعصب قومي يرفضه الإسلام ويسمه من أمر الجاهلية، ويرتكز فكره العروبي على الإسلام شرط أن لا يختلط بشعوبية لخناء تبغض العرب ولا ترى لهم فضلًا، وبالطبع على العربية لغة القرآن وأمُّ اللغات الّتي تمثل حلقة الوصل بين الإسلام والعروبة، **وكفانا دلالة على ذلك أن خص هذه اللغة الجليلة بقصائد منها قصيدته النفيسة: لغة القرآن التي يقول فيها**[٣]:

أأمّ لغَات العالَمِين بلاغة
وطِيب مذاق واختلاف طُعُوم

(٣) المصدر نفسه: ١ / ١٩ - ٢٠.

بيانـك أم مـاء من الخلـد كوثر
تَرَقْـرق عـذبًـا أم رحيق كروم
سَـقى كُلَّ لَمَّـاح البيان زلاله
مصفـى وروى طبـع كل حكيم

وبلـغ من تمجيـده لغة القـرآن الكريم وتتيمـه بهـا أن ختـم قصيدته بفدائـه لها بنفسه وبكل عزيز لديه:

فدى لك يا روح الجمال وسِرَّه
لغات الـورى من حادث وقديم
ولو سامني دهري بحبك لافتدت
هـواك حياتي حسـبة ونعيمي

وقال في قصيدة « نشـيد العرب: الأمة. الوطن. العالم. الرسالة»[1]:

سَلِمتِ علـى الدهـر يـا أمَّتي
حَـيِـيـتِ مـؤَبَّـدة الـوَحـدةِ
تُـناغيكِ في الأمــنِ والغبطةِ
رؤى السـعد والمجـد والعـزةِ
مـهـنَّـأة في ظـلال الـسـيوف
مباعـدةً مـن دواعـي الحُتُـوفِ
تـحـوطـك في كــل أرض
زُخُوفٌ وتحميك نارٌ وبأسٌ مَخوفُ
سَـلِمتِ وعِشتِ وعاش الحمى
عزيـزَ الأُروضِ منيـع السـما
يـطـاول بـالـعـزِّ الأنـجـمـا
وتـحـرسـه مـن بـنـيـه الـدمـا

وقال في قصيدة «أمتي العز والعلا»[2]:

أيـن لا أيـن امتـي في العوالـم؟
أمـة العـز والعـلا والعزائـم؟
أيـن مني؟ وثوبها حـرر الخلـــ
ـــق وسـلطانها ازال المظالم؟
أين ذاك الجلال والملك والزهــ
ــو وعز الورى وصون المحارم
مـا أرى الـيـوم موطنًا مسـتباحًا
ورعايـا تسـام شـبه السـوائم
يعبـث الواغلـون فيـه اعتسـافًا
عبـث الـدود بالعظـام الرمائـم

٤- الرّد على الشعوبية:

أخـذت الشـعوبيّة تحـارب العروبـة بمختلـف الأسـلحة، أو مختلـف الحيل والأحابيـل، ولكنّ حيويّـة اللغة – ومعها حيويّـة التاريـخ العريق – همـا الحارس القـوي الأمين الـذي تقاصـرت عنه تلك الحيل وتلك الجهود، فبقيت النهضة على

(١) ديوانه: ١ / ١١٧.

(٢) ديوانه: ١ / ٩٤.

حصانتها المنيعة بين العاملين على هدمها وتعويقها عامدين لرغبتهم في الهدم، أو غير عامدين لعجزهم عن النهوض بمطالب الفنّ الصحيح[1].

ومن يتتبّع شعر العلامة الأثريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودواوينه يجدها طافحةً بالغيرة على العرب والإسلام الرد على من ينتقص شأنهم أو يزدري مقامهم وفضلهم، يقول الدكتور محمود عبدالله الجادر في هذا الصدد: يرتبط الإسلام ارتباطًا عضويًا في وعي الشّاعر بالعروبة، فهو لا ينفصل عنها وهي لا تنفصل عنه...، حتى إنّه ليضع الانتماء العربي معادلًا للتوحيد في لمحة خفية يوازن فيها بين الشرك والإيمان في قوله:

فإمّا عُصَبُ الشِّرْكِ   وإمّا أمَّةُ العربِ

فالّذي توحي به المعادلة أن تكون « أمة التوحيد» بإزاء «عُصَب الشرك»، ولكنّ عُمق ارتباط العروبة بالإسلام في وعي الشّاعر أتاح له أن يتجاوز منطقية المعادلة اللفظيّة إلى استبدال «أمّة العرب» بـ«أمّة التوحيد»، وكأنّهما تعبيران مترادفان.

وتمتزج العروبة والإسلام امتزاجًا مفترضًا في قناعة الشاعر...، ومن عمق الحس العروبي التاريخي، ينبثق إيمان الشاعر بضرورة تحول الواقع الذي هو كائن إلى الواقع الذي ينبغي أن يكون، فوحدة الامة العربية لا تقوم على آصرة الدم وحدها، وإنّما تبقى العقيدة شاهدها الأبدي ومحرك أجيالها إلى تجاوز كل حالات التمزق والقهر.

ومن هنا كان للشاعر أن يقرر قناعته بأنّ الوحدة العربية لا تقوم إلا على الرُّكنين المتلازمين:

ألا فأسلكوها وحدةً عربيةً
لها من هدى الإسلامِ روحٌ ومظهرُ

وكذلك قوله في قصيدة «المغرب العربي.. وطن الجمال وأمة الجلال»:

متّى أرى الوحدة الكبرى تحوطُها
هذي الجلالةَ والأقداسَ والعَقَدا
وأينَ لي مدَّةٌ أحيا بها فأرى
بعضًا يشدُّ لِبعْضٍ آخرٍ عَضُدا

---

(١) دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، عباس محمود العقاد، الطبعة الثانية، كانون الثاني، عام: ٢٠٠٦ مـ، بإشراف داليا محمد إبراهيم: ١٠.

٥- قضايا الأمة:

لقد وقف وقفة عز وشموخ مع قضايا الأمة العادلة، والدفاع عن حقوقه المسلوبة والمغتصبة، ومجد انتصاراتها، وبطولاتها، فجادت لنا قريحته بقصائده الخرائد المطوّلات حربية، والملاحم جهادية في الانتصار لقضايا الأمّة العادلة، وفي مقدّمتها أحداث فلسطين، ثمّ جهاد الجزائر، ثمّ القادسيّة الثانية، والتي واكب أحداثها وقد جاوز الثامنين، ولم يكن تقدم السن عارضا أمام قريحته الشعرية المجيدة، وقلمه السيال في الانتصار للحق، قال في « **معلقة النصر العزيز والفتح المبين** » **التي بلغت مئة وسبعة وثمانين بيتا، والشاعر قد شارف التسعين من عمره، فقال مستهلا** [١]:

عِشْ ظَافِرًا وَلَكَ الْعَلْيَاءُ وَالْقِمَمُ
وَأَنْتَ بَيْنَ الشُّعُوبِ الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ
عَالٍ عَلَى الأَرْضِ وَالأَعْدَاءُ خَافِضَةٌ بَاقٍ
عَلَى الدَّهْرِ وَالأَعْدَاءُ قَدْ هُزِمُوْا
وَالعِزُّ عِزُّكَ مَوْهُوْبًا وَمُحْتَشِمًا
وَالنَّصْرُ نَصْرُكَ مَعْقُوْدًا بِهِ السَّلَمُ

(١) ديوان الأثريّ: ١ / ٥٠٨ .

ويختمها بقوله [٢]:

لَيْتَ الأُلَى يُسْعِرُوْنَ الْحَرْبَ مِنْ صَلَفٍ
يُشْفَوْنَ مِنْ خَبَثِ الأَرْوَاحِ لَيْتَهُمُ
وَلَيْتَ بَرْدِ ظِلالِ السَّلَمِ لَو نَفَعَتْ
لَيْتٌ يُنْدِي حَيَاةَ الْخَلْقِ كُلِّهِمُ

٦- الأخلاق الفاضلة:

لقد أخذت الدعوة إلى الأخلاق النبيلة الفاضلة مساحة من أدب العلامة محمد بهجة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكان يحضُّ عليها، ويدعو إلى التمسك بها، ويبين فضلها في أشعاره، ومن ذلك قوله [٣]:

مَنْ لِيْ بِإِنْسانٍ إِذَا كَرَّمْتُهُ
يَزَعُ الأَذَى وَيَكُفُّ سُمَّ لُعَابِهِ [٤]
وَإِذَا مَحَضْتُ لَه النَّصِيْحَةَ لَمْ يَرِمْ
أَنْفًا وَيَخْلِطْ سُمَّهُ فِيْ صَابِهِ [٥]
وَإِذَا أَدَرْتُ لَهُ الْحَدِيْثَ مُرَوَّقًا
سَاغَ الزُّلالَ الْعَذْبَ مِنْ أَكْوَابِهِ [٦]

(٢) ديوان الأثريّ: ١ / ٥٣٤ .

(٣) ديوان الأثريّ: ٤٠٥ – ٤٠٦ .

(٤) **يزع**: يكف ويمنع. ينظر: المصدر نفسه: ٤٠٥ .

(٥) **محضت**: أخلصت. الصاب: المرّ، ويطلق على شجر مرّ له عصارة بالغة المرارة. ينظر: المصدر نفسه: ٣٨٧ .

(٦) **المروّق**: المصفّى. ينظر: ديوان ملاحم وأزهار: ٤٠٦ .



وَاسْتَكْرَمِ الإِحْسَانَ عِندَ خِطَابِهِ
فَجَفَا إِسَاءَةَ لَفْظِهِ بِجَوَابِهِ
الْخَلْقُ تَمْشِيْ يَا حَبِيْبُ كَمَا تَرَى
بِالْخُلْقِ مَنْكُوصًا عَلَى أَعْقَابِهِ
بِالْخَيْرِ أَطْمَعَكَ الزَّمَانُ وَقَدْ مضَى
وَالْيَوْمَ نَخْشَى الشَّرَّ أَنْ نُجْزَى بِهِ
جَانَبْتُ دَاعِيَةَ التَّشَاؤُمِ لَمْ أَقُلْ
فَنَدًا وَلا خِلافَ الْهُدَى وَصَوَابِهِ[1]
لا ضَيْرَ لِيْ مِمَّا بَلَوْتُ وَإِنْ يَكُنْ
أَدْمَى الْفُؤَادَ بِظُفْرِهِ وَبِنَابِهِ
أَجْرِيْ بِأَخْلاقِيْ عَلَى أَعْرَاقِهَا
وَسَجِيَّةُ الإِنْسَانِ مِنْ أَنْسَابِهِ
وَلَئِنْ أَسَاءَتْنِيْ التَّجَارُبِ إِنَّنِيْ
سَأَظَلُّ أَحسِنُ بِالْفِعَالِ النَّابِهِ
وَأُوَاصِلُ الشِّيَمَ الْكَرَائِمَ عَادَةً
وَهَوىً عَلَى لُؤْمِ الزَّمَانِ وَعَابِهِ
كَالْغَيْثِ يُمْطِرُ مُجْدِبًا أَوْ مُخْصِبَا
يَجْرِيْ عَلَى دَأْبِ الْكِرَامِ وَدَابِهِ[2]
أَسْقِيْ غِرَاسَ الْخَيْرِ نَوْءَ شَمَائِلِيْ
وَأُجِدُّ زَهْوَ ثِمَارِهِ وَرِطَابِهِ[3]
لِيَتُثَّ فِيْ الدُّنْيَا شَذَا أَعْرَافِهِ
وَيُذِيْقَ هَذَا النَّاسَ عَذْبَ شَرَابِهِ[4]
مَا الْعُمْرُ إِلا مَا أَفَادَكَ طَيِّبًا
وَحَبَوْتَ أَطْيَبَهُ وَسِرَّ لُبَابِهِ[5]
إِنْ لَمْ تَكُنْ وَرْدًا فَخَالِسْ عِطْرَهُ
وَانْفَحْ حَوَالَيْكَ الْوَرَى بِمَلَابِهِ[6]

وكذلك قوله لابنته زينب في قصيدته الرائعة «لِمَ تُشنأُ الأنثى»[7]:

يَا بِنْتَ خَيْرَ الأُمَّهَا	تِ فِيْ مَعَالِيْ الْحَسَبِ
أَلْقِيْ لَهَا عَلَى الزَّمَا	نِ طَاعَةَ الْمُؤَدَّبِ
وَاسْتَمِعِيْ لِنُصْحِهَا	تَلْقَيْ كَرِيْمَ الرَّغَبِ[8]
وأَكْثِرِيْ الْبِرَّ بِهَا	فَالْبِرُّ خَيْرُ مَكْسَبِ
تَحَبَّبِيْ إِلَى «سَنَا»	وَ«زَاهِرٍ» تَحَبَّبِيْ
وَجَامِلِيْ «نُهَى» بِمَا	تَقْضِيْ حُقُوْقُ النَّسَبِ
إِيَّاكِ وَالتَّفْكِيْرَ إِلا	فِيْ رَفِيْعِ الرُّتَبِ
مِنَ الْعَفَافِ وَالْحَيَا	ءِ وَالْعُلَى وَالْحَسَبِ
مَزَالِقُ الدَّهْرِ كَثِيْـ	ـرَاتٌ شَدِيْدَاتُ الْعَطَبِ[9]
بِالدِّيْنِ فَاسْتَهْدِيْ الْهُدَى	وَاسْتَرْشِدِيْ بِالأَدَبِ

(١) **الفند**: الكذب والباطل. ينظر: المصدر نفسه: ٤٠٦.

(٢) **الداب**: الدأب وهو العادة، سهلت همزته. ينظر: المصدر نفسه: ٤٠٦ .

(٣) **النوء**: المطر. أجدّ: أحدث. الزهو: النضارة وحسن المنظر. ينظر: المصدر نفسه: ٤٠٦ .

(٤) **يتثّ**: ينشر، ويذيع. أعرافه: روائحه الطيبة. ينظر: المصدر نفسه: ٤٠٦.

(٥) **حبوت**: **أعطيت**. ينظر: المصدر نفسه: ٤٠٦ .

(٦) **الملاب**: نوع من الطيب. ينظر: المصدر نفسه: ٤٠٦.

(٧) ديوان ملاحم وأزهار: ٣٨٧.

(٨) **الرغب**: مصدر رغب في الشيء إذا أراده. ينظر: المصدر نفسه: ٣٨٧ .

(٩) **العطب**: الهلاك. ينظر: المصدر نفسه: ٣٨٧ .

وكذلك قوله في : قصيدته «الشعر والصدق» إذ يقول فيها [١]:

وصُبَّت أهاضيب المخازي مُلِثَّةً
على شاعر ينحو المديح تكسبا
تخايل عُجبًا بالقوافي ونفسه
وكان له أولى بأن يتحدَّبا!
ودع عنك من أضفى عليه ثناءه
فما اجتمع الشِّبهان إلا ليكسِبا

٧- وصف الطبيعة والجمال من منظور إسلامي:

تمثِّل الطبيعة عند العلامة محمد بهجة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصفى ينابيع الشعر التي تستهوي النفوس وتستولي على مشاعر الإنسان عندما يشاهد روائع آياتها، وبدائع صورها، فيقف على أسرار الوجود حين يستغرق في تأملاته في مظاهر الكون، ويرى آثار رحمة الله وإبداعه، وقدرته في خلقه بعيدا عن التأثر بماديات الحياة، فيهتدي بعميق نظراته إلى أسرار الجمال؛ وهو في وصفه للطبيعة وتأثره بمشاهدها كالمصور البارع، يستلهم وحيها الساحر في مجاليه وألوانه، فيخطه شعرا رائقا، وأدبا رفيعا، يفيض رقة وقوة وإبداعا، ومن الشواهد على ذلك تسويغه شدة تأمله فيما يرى من آثار خلق الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ من قصيدة مناجاة له يناجي فيها الباري تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهي ثمانية عشر بيتا افتتحها بقوله [٢]:

قلبي بغيرك لم يرف شغافه
يا رب فاجنب حبي الأخطارا
عن كل وجه قد صرفت عبادتي
وعبدت وجهك وحده مختارا
لا أأتلي فيما خلقت تأملا
لأراك ثَم مع الخفاء جهارا
أأعطيتني بصرا يشاهد روعة
وبصيرة تجلو سناك بِدارا

وهكذا يستمر في معاني التأمر والتصور الإسلامي لما خلق الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الكون والحياة، حتى يختم قصيدته بقوله [٣]:

فنيتْ بأنوار الجلال سريرتي
شوقا وتسبيحا له وسِرارا
لله سبح في السماوات العلى
والأرض ما يبدو وما يتوارى

(١) ديوانه: ١ / ١٦٥ .

(٢) المصدر نفسه: ١ / ٥٣ .

(٣) المصدر نفسه: ١ / ٥٣ .

وكذلك قصيدته «دمشق» التي أنشدها في صيف عام: ١٩٣٧م والتي يقول فيها[١]:

مَن عذيرٌ من الهوى ومجير
فضح الشوق ما أجن الضمير
أنا في قبضة الجمال فخَود
تستبيني وروضة وغدير
هذه جلّق تبارك ربي
بلد طيب ورب غفور
الهوى والهواء والجدول الرقـ
ـراق والروض والسنا والحور
حيثما تغتدي فروض أريض
عنبري الشذا وماء نمير

ثم ينتقل إلى أكثر من ذلك في نقلة أدق وأبرع في وصف جمال المرأة متعبدا ذاكرا الله عَزَّوَجَلَّ في خلقه الإنسان في أحسن تقويم[٢]، فيقول فيها[٣]:

كرم الله وجه كل نوار
صانها الطهر والحياء الوقور
ليَ من هيكل الجمال المعاني
يجتليها قلبي ويذكو الشعور

فهو يصف وصفا بديعا لنسائها وجمالهن وما يصيب العقول من تعلقها بهن إلى أن يصل تعبده لله وذكره لربه خالق هذا الجمال.

ومن هذا الباب وصفه الدقيق لمظاهر كثيرة من مظاهر الكون ممثلة في الإنسان وما يبدعه الله عَزَّوَجَلَّ من الخلق في مختلف الصور، ويطول بنا المقام إذا أتينا بأمثلة لما صاغه قلمه البليغ في هذا الباب، وأكتفي بالإشارة هنا إلى وصفه المفرق في ديوانه لمختلف الأشياء فمن ذلك وصفه لفيضان دجلة عام: ١٩٥٤م في قصيدته «بغداد على فم المارد»، ووصفه لجمال المرأة في قصيدة «دمشق في ذكرى الجلاء»، ووصفه الدرويش في قصيدة «الدرويش»، ووصف القمر الصناعي، والغنية الأندلسية، ووصف الطائرة التي أقلته إلى باريس، وغير ذلك كثير، وشمل هذا الباب أوصافا معنوية تتصل بالنفوس اتصالا مباشرا كوصفه حضارة العرب، وصوت بلبلَي النيل في قصيدتي «ساج النيل» و«غناء أرواح».

وهو في كل هذا الوصف إنما في حدود التصور الإسلامي، فلا يكفيه أن يتذوق الجمال ويصف الطبيعة والإنسان الذي خلقه الله في احسن تقويم.

(١) المصدر نفسه: ٢ / ٢٩ .
(٢) ينظر: ديوان الأثريّ: ١ / ١٧ – ١٨ .
(٣) المصدر نفسه: ٢ / ٣٠ .

الخاتمة:

الحمد لله الذي أنعم علي وتفضل أن مكنني من إنجاز هذا البحث «العلامة محمد بهجة الأثري ومنهجه في الأدب» فما كان علي بعد ذلك إلا أن أسجّل أهمّ ما توصّلَتْ إليه الدراسة من نتائج وهي:

- العلامة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كاتب وناثر مجيد، وخطيب مفوه، فهو في النثر لا يقل براعة عن الشعر، وإن كان جانب النثر لم يوف حقه من الدراسة.
- العلامة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فاق شعره شعر كثير من الشعراء، وغن شعره ليضاهي شعر الفحول الأوائل، ولم يقلل من شعره سعة علمه.
- العلامة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثال يحتذى في الأدب الإسلامي، سواء في التصور، أو في الالتزام، أو الموضوعات، فهو في رأس قائمة الأدباء الإسلاميين وهو المقدم فيهم.
- اهتمَّ شعر العلامة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقضايا الدين والأمة، والإنسان والوطن، وهو في كل ذلك ملتزم أشد الالتزام بمنهجه الإسلامي الأثري.
- أخذت اللغة العربية، ومدح الفصحى، ومواجهة الشعوبية جانبًا كبيرًا من شعر العلامة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- إن الدارسين للأدب بصورة خاصة والمجتمع بصورة عامة بحاجة ضرورية إلى الاهتمام بأدب العلامة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ودراسته، واعتماده في المناهج الدراسية.

وفي الختام نسأل الله ربَّنا جَلَّ وَعَلَا أن يتقبّل منَّا، ويوفِّقنا فيما أردنا، ويزيدنا من فضله، وما كان من صواب فيما قدَّمت فمن الله تعالى وحده وله الحمد والمنَّة والنعمة والفضل، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان، وأسأله سبحانه أن يرحم العلامة محمد بهجة الأثري ووالديه وأهله، وأن يجعلهم أهل بيت مباركين، وأن يخلف لهم في عقبهم خيرا، إنه نِعم مسؤول وهو أرحم الراحمين.



(٤)

إهداءات محمد بهجة الأثري لعلماء عصره

عادل عبد الرحيم العوضي

إن الإهداء شيء مارسه الناس فيما بينهم منذ قرون غابرة، واقتضته الحياة الاجتماعية القائمة على تبادل المنافع التي يحتاجونها، ولا شك أن الهدية في عرف البشر تعبير عن شعور بالمودة نحو المهدي إليه، وغالبًا ما تنتقى الهدايا من أشياء تسر وتبهج[١]، قالت أم المؤمنين عائشة الصديقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية، ويثيب عليها)[٢]، وحث ﷺ على التهادي وبين أنه وسيلة من وسائل انتشار المحبة والوئام، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي قوله ﷺ قال: (تهادوا تحابوا)[٣]، وفي تراجم العلماء نقف على الكثير من النصوص التي تشير إلى إهداء العلماء كتبهم، أو نفائس الكتب لغيرهم[٤].

وفي عرف العلماء فالكتاب من أعز ما يُهدى، أهدى بعضُ الكتاب إلى صديقٍ له دفترًا وكتب له: (هديتي هذه، أعزك الله، نزكو عن الإنفاق وتربو على الكد، لا تفسدها العواري ولا تخلقها كثرة التقليب، وهي أحسن في الليل والنهار والسفر والحضر، تصلح للدنيا والآخرة،

(١) حصول التهاني، جمال عزون ص٩

(٢) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم ٢٥٨٥.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، حديث رقم ٥٩٤

(٤) حصول التهاني ص١٠-١٥

تؤنس في الخلوة وتمتع في الوحدة، مسامر مساعد ومحدث مطواع ونديم صديق[1]).

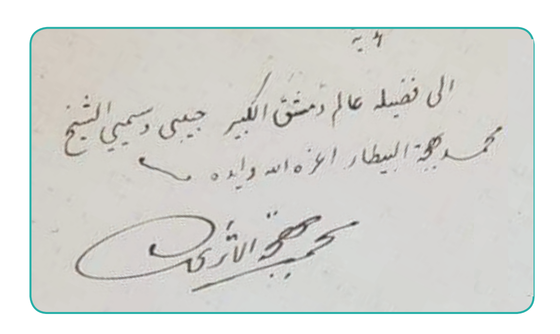
هدايا النّاس بَعْضِهِمُ لبعضٍ
تُولِّدُ في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوًى ووُدًّا
وتُكسبهم إذا حضروا جَمالا

والإهداءات تراها كثيرًا في عصرنا الحاضر الذي توافرت فيه المطبوعات ووسائل الحفظ، ومن بين تلك الإهداءات التي استوقتني إهداءات الشيخ محمد بهجة الأثري[2] لعلماء عصره أو أقرانه، مما تبين مدى صلته بهم، أما الحديث عن علاقة الشيخ بعلماء عصره فهو حديث ذو شجون ويستحق أن يفرد بمؤلف خاص، ولكن حسبنا أن نكتب هذه الورقات في صلته بعلماء عصره من خلال الإهداءات التي وقفت عليها على ظهر الكتب المطبوعة، أو المخطوطات وهي قليلة جدًا نظرًا لصلات الشيخ، وحسبنا أن نقف على أشياء أخرى مستقبلًا.

إهداءات الشيخ محمد بهجة الأثري إلى الشيخ محمد بهجة البيطار:

وهي أكثر الإهداءات التي وقفت عليها، ويتضح جليًا أن علاقته بالشيخ البيطار[3] كانت قوية، وكان يتعاهده بالإهداءات دائمًا:

- كتاب مناقب بغداد للإمام ابن الجوزي بتحقيقه[4] ونص الإهداء: (إلى فضيلة عالم دمشق الكبير حبيبي وسميّي الشيخ محمد بهجة البيطار أعزه الله وأيده، محمد بهجة الأثري).



إلى فضيلة عالم دمشق الكبير حبيبي وسميي الشيخ
محمد بهجة البيطار أعزه الله وأيده
محمد بهجة الأثري

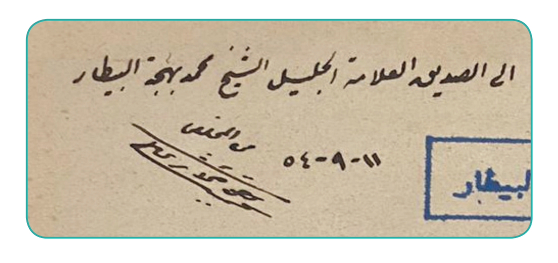
(١) المحاسن والمساوى للبيهقي، ص١-٢

(٢) محمد بهجة الأثري (١٣٢٠-١٤١٦هـ) ولد في بغداد، وتلقى العلم على الآلوسيين، وكان عضوًا في المجمع العلمي العربي، ومديرًا لأوقاف بغداد، وله العديد من المؤلفات و التحقيقات والمقالات، انظر: محمد بهجة الأثري: حياته وجهوده العلمية، جليل العطية، مجلة عالم الكتب، ع٤، ١٩٨٨م، ٣١٢-٣١٩، وفيما سطره الإخوة في العدد المزيد حوله.

(٣) محمد بهجة بن بهاء الدين بن عبدالغني البيطار (١٣١١-١٣٩٦هـ) بحاثة علامة، ولد بدمشق، من مؤلفاته (نظرة في النفحة الزكية) و (الرحلة النجدية الحجازية) وله مقالات كثيرة نشرت في عدد من المجلات، إتمام الأعلام ١/ ٣٤٤.

(٤) والنسخة ضمن مكتبة البيطار الموجودة بمركز جمعة الماجد.

❁ مأساة الشاعر وضاح[١] من تأليف الأثري وأحمد حسن الزيات[٢]، نص الإهداء: (إلى الصديق العلامة الجليل الشيخ محمد بهجة البيطار، ١١/ ٠٩/ ٥٤ من المخلص محمد بهجة الأثري).



الى الصديق العلامة الجليل الشيخ محمد بهجة البيطار

١١-٩-٥٤

❁ تاريخ مساجد بغداد وآثارها للآلوسي بتهذيبه[٣]، ونص الإهداء (هديتي إلى سميي وحبيبي الأستاذ العالم العامل الجليل الشيخ محمد بهجة البيطار، ١٦ شهر ربيع الثاني ١٣٤٦، محمد بهجة الأثري).

هديتي الى سميي وحبيبي الاستاذ العالم العامل الجليل

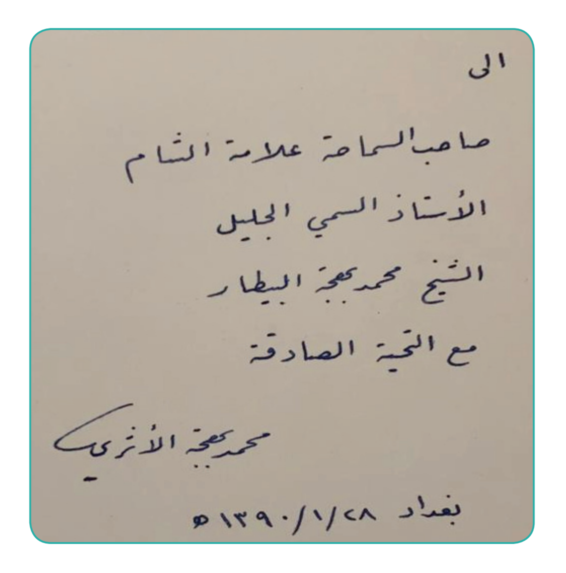
الشيخ محمد بهجة البيطار ١٦ شهر ربيع الثاني ١٣٤٦

(١) والنسخة ضمن مكتبة البيطار الموجودة بمركز جمعة الماجد.

(٢) أحمد حسن الزيات (١٣٠٢ - ١٣٨٨ هـ) صاحب (الرسالة) . أديب من كبار الكتاب، له (تاريخ الأدب العربيّ) وكان من أرق الناس طبعا، ومن أنصع كتاب العربية ديباجة وأسلوبا، وكان عضوًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة،الأعلام ١/ ١١٣-١١٤.

(٣) والنسخة ضمن مكتبة البيطار الموجودة بمركز جمعة الماجد.

❁ كتاب الألفاظ الحضارية ودلالتها التاريخية وأمثلة منها، وكتاب إلى خط سير جديد في تدوين تاريخ الأدب العربي، كلاهما للأثري وعليهما إهداء للبيطار بنص متشابه وبذات التاريخ ونصه: (إلى صاحب السماحة علامة الشام الأستاذ السميّ الجليل الشيخ محمد بهجة البيطار مع التحية الصادقة، محمد بهجة الأثري، بغداد ٢٨/ ١/ ١٣٩٠هـ)[٤].



الى

صاحب السماحة علامة الشام

الأستاذ السمي الجليل

الشيخ محمد بهجة البيطار

مع التحية الصادقة

محمد بهجة الأثري

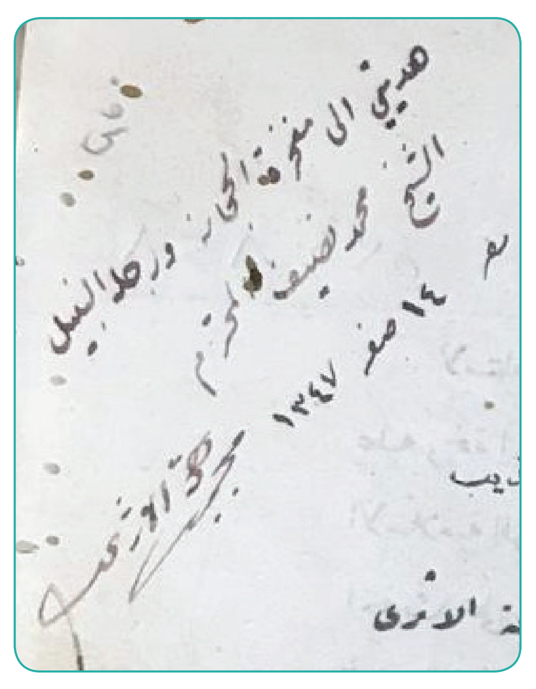
بغداد ٢٨/١/١٣٩٠هـ



(٤) وكلا الكتابين ضمن مكتبة البيطار الموجودة بمركز جمعة الماجد، وكذلك كتاب (المجمل في تاريخ الأدب العربي) للأثري ضمن نفس المكتبة عليها إهداء للبيطار.

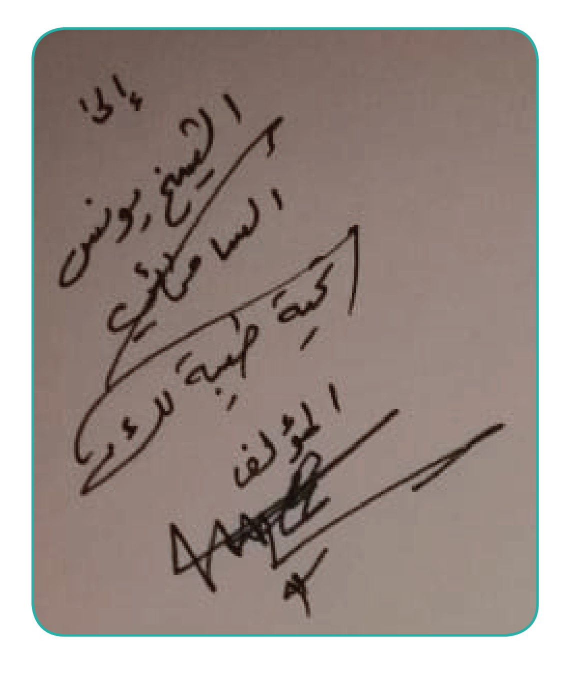
إهداء إلى الشيخ محمد نصيف[1]:

❁ كتاب تاريخ مساجد بغداد وآثارها للآلوسي بهذيبه[2]، ونص الإهداء: (هديتي إلى مفخرة الحجاز ورجله النبيل الشيخ محمد نصيف المحترم، مصر ١٤ صفر ١٣٤٧، محمد بهجة الأثري).



إهداء إلى الشيخ يونس السامرائي[3]:

❁ كتاب ذرائع العصبيات العنصرية في إثارة الحروب[4]، ونص الإهداء: (إلى الشيخ يونس السامرائي تحية طيبة لك، المؤلف).





(١) محمد بن حسين بن عمر بن محمد نصيف (١٣٠٢-١٣٩١هـ) عالم جدة وصدرها في عصره، وأولع بالكتب فجمع مكتبة عظيمة، وكان مرجعًا للباحثين، وكان بيته ملتقى الفضلاء القادمين من مختلف البلاد تُوفي بالطائف. الأعلام ٦/ ١٠٧-١٠٨.

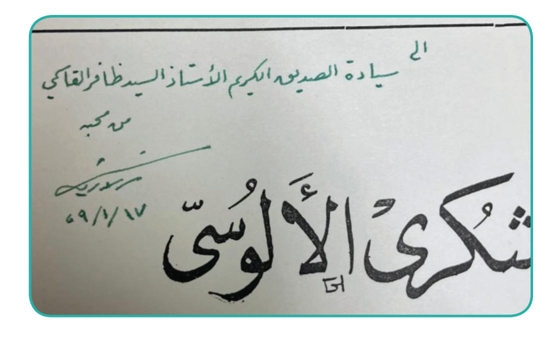
(٢) والنسخة ضمن مكتبة محمد نصيف الموجودة بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

(٣) يونس بن الشيخ ابراهيم بن محمد السامرائي (١٦٣٤-١٩٩٠م) أصدر أول مجلة في مدينة سامراء باسم (سامراء) ثم أصدر مجلة أخرى باسم (صوت الإسلام) وله عدة مؤلفات منها (تاريخ سامراء)، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين ص٢٣٦.

(٤) والنسخة ضمن مكتبة الشيخ يونس التي بحوزة سبطه أحمد الحسني.

إهداء إلى الأستاذ ظافر القاسمي [١]:

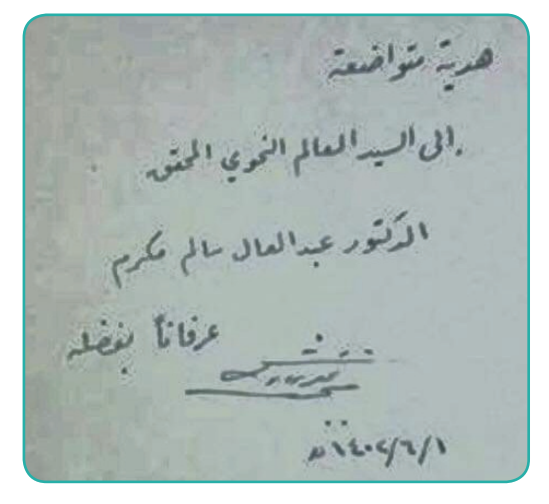
❁ كتاب محمود شكري الآلوسي وآراؤه اللغوية للأثري [٢]، ونص الإهداء: (إلى سيادة الصديق الكريم الأستاذ السيد ظافر القاسمي من محبه محمد بهجة الأثري ١٧/ ١/ ٥٩).





إهداء إلى الدكتور عبدالعال سالم مكرم [٣]:

❁ كتاب تكملة خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق) [٤]، ونص الإهداء: (هدية متواضعة إلى السيد العالم النحوي المحقق الدكتور عبد العال سالم مكرم، عرفانًا بفضله، محمد بهجة الأثري ١/ ٦/ ١٤٠٢هـ).





(١) ظافر بن محمد جمال الدين القاسمي (١٣٣١-١٤٠٤هـ) هو ابن علامة الشام القاسمي، حقوقي أديب، ولد بدمشق وتعلم بها، كان كاتبًا مترسلًا، ومحاضرًا متمكنًا، له (جمال الدين القاسمي) و(نظرات في الشعر والأدب الأموي)، ذيل الأعلام ١/ ١٠٩-١١٠.

(٢) والنسخة في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض.

(٣) عبد العال سالم مكرم، عالم أزهري، نحوي لغوي، تخصص في الدراسات النحوية والقرآنية، أستاذ النحو بجامعة الكويت، وتمتاز دراساته القرآنية بالموضوعية، والعمق والاستقراء، وحسن الاختيار والترتيب. يُنظَر: الجهود اللغوية عند الدكتور عبد العال سالم مكرم، رسالة دكتوراه للباحثة زينب محمد خوشناو، جامعة ديالى، العراق (٢٠١٥م).

(٤) والنسخة منشورة على الشبكة ولم اهتد لمكانها.

إهداء إلى الأستاذ أحمد زكي باشا [1]:

❁ على نسخة خطية من كتاب الديباجة لأبي عُبيدة مَعْمَر بن المثنى [2] ونص الإهداء: (سيدي الأستاذ الكبير أحمد زكي باشا، أقدم هذا الكتاب الموسوم بالديباجة إلى خزانة كتبكم عمرها الله بطول أيامكم وأمتعكم بها سالمين من غِيَر الدهر وصروف الزمان، والمأمول منكم أن تتواضعوا في علاكم وتتنازلوا بقبول الهدية من غير نظر إلى فضلكم وأكفاء نيلكم لازلتم ممتعين بهدايا إقبال الأيام تحفّ بكم تحفَ السعادة مدى الأعوام، والسلام، ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٤٢، محمد بهجة الأثري).

سيدي الأستاذ الكبير أحمد زكي باشا
أقدم هذا الكتاب الموسوم بالديباجة إلى خزانة
كتبكم عمرها الله بطول أيامكم وأمتعكم بها سالمين من غير الدهر
وصروف الزمان والمأمول منكم أن تتواضعوا في علاكم وتتنازلوا
بقبول الهدية من غير نظر إلى فضلكم وأكفاء نيلكم لازلتم ممتعين
بهدايا إقبال الأيام تحف بكم تحف السعادة مدى الأعوام والسلام
٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٤٢ محمد بهجة الأثري

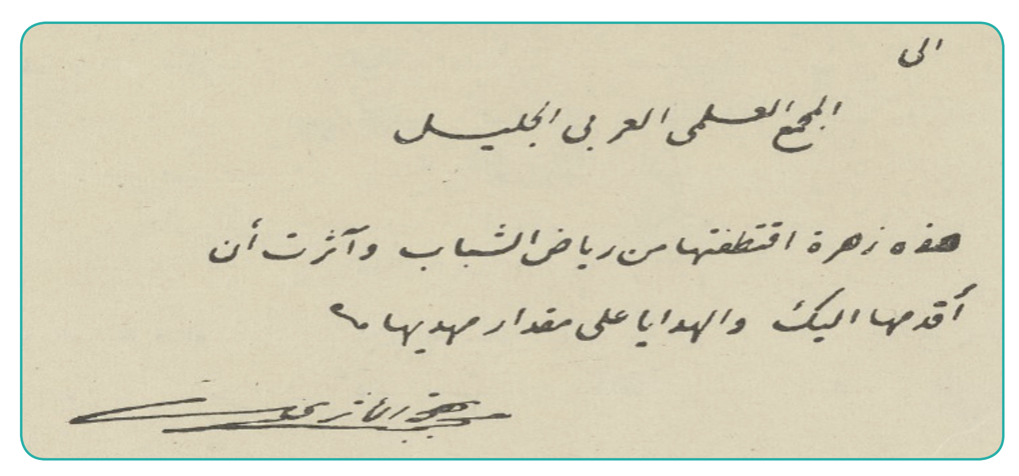
---

(١) أحمد زكي بن إبراهيم بن عبد الله (١٢٨٤-١٣٥٣هـ) شيخ العروبة: أديب بحاثة مصري، قام بفكرة إحياء الكتب العربية فطبعت الحكومة المصرية عدة مخطوطات، وله عدة تحقيقات ومقالات خلف مكتبة ضخمة آلت لدار الكتب المصرية. الأعلام ١/ ١٢٦-١٢٧.

(٢) والنسخة بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود برقم ١١٣٢، ومتملك النسخة أ. أحمد خيري، ذكر أسفل الإهداء قصة حصوله على النسخة ويحسن ذكرها، قال: (في يوم الخميس ١٥ من شهر ربيع الآخر من هذه السنة اشتريت هذا الكتاب من الحاج محمد نديم مدير مطبعة دار الكتب المصرية -كان- بمبلغ ٢٥٠٠ جنيهين ونصف، ولاحظت سمك هذه الورقة عن باقي أوراق الكتاب، فعرضتها للشمس فتبين لي أنهما ورقتنا ملتصقتان على سفلاهما كتابة أعدت على حروفها المداد بخطي فإذا بها اسم الكتاب وإهداء النسخة من ناسخها إلى أحمد زكي باشا المُتوفى ١٣٥٣هـ).



إهداء للمجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية بدمشق حاليا)[1]:



إلى

المجمع العلمي العربي الجليل

هذه زهرة اقتطفتها من رياض الشباب وآثرت أن

أقدمها إليك والهدايا على مقدار مهديها

محمد بهجة الأثري

في هذا الإهداء الأخير نجد أن الأثري لم يقتصر فيه إهداءاته على الشخصيات، وكانت للمجامع العلمية نصيب منها، ففهي هذا الإهداء الأخير يوجهه إلى المجمع العلمي العربي بكلمات جميلة، وجاء الإهداء على كتاب أعلام العراق[2] له، ونص الإهداء: (إلى المجمع العلمي العربي الجليل هذه زهرة اقتطفتها من رياض الشباب وآثرت أن أقدمها إليك والهدايا على مقدار مهديها، محمد بهجة الأثري).

يمكن أن يستنتج من الإهداءات أعلاه:

- مدى توقير الأثري لعلماء عصره وأقرانه.
- يمكن أن يستجلى جانب تاريخي لطيف من حياة الشيخ.
- تبين مدى ارتباط الأثري بعلماء عصره، على شتى تخصصاتهم، وتنوع فنونهم.
- من يتأمل كلمات الشيخ محمد بهجة يرى صدقها، ومشاعر الحب اتجاه المُهدى إليه، وأحيانًا التقليل من نفسه مع علو منزلته في عصره.

وفي نهاية المطاف لا يسعني إلا أن أشكر كل من أفادني بصورة إهداء للشيخ محمد بهجة الأثري وكان سببًا في إثراء البحث، والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.

(١) فيما يتعلق بتاريخ المجمع وأعلامه ينظر موقعهم الرسمي www.arabacademy.gov.sy

(٢) والنسخة في مكتبة جامعة كولومبيا بأمريكا.


المقالات

تابع ملف العدد:

(٥)
الأثري وأعلام عصره
ذاكرة الصور

يسار محمد بهجة الأثري

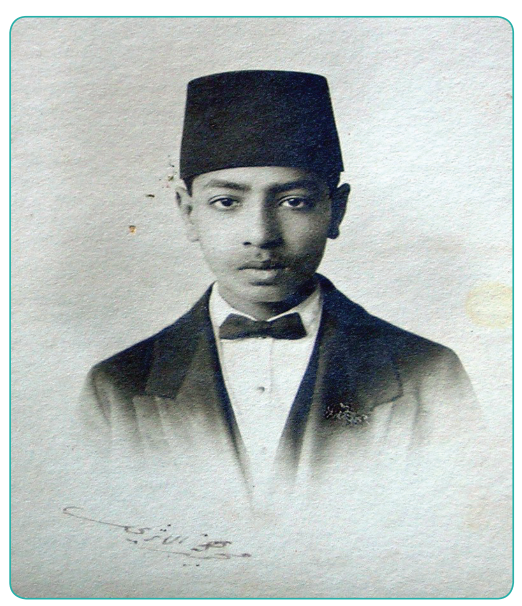
ارتبط سيدي الوالد محمد بهجة الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعلاقات متينة مع عدد من أعلام عصره، ولا سيما أدباء الشام ومصر، وربما تميزت الشام أكثر من غيرها لكون والدتي رَحِمَهَا ٱللَّهُ سورية الأصل، إضافة إلى محبته الكبيرة لدمشق وأهلها، وأخص منهم بالذكر صديقه الشيخ عليًا الطنطاوي، والعلامة محمد بهجة البيطار الذي كان يُسمّيه سَميّي، ولربما سمّاني الوالد على اسم ابن الشيخ محمد بهجة البيطار المرحوم يسار.



[صورة تجمع الأثري، والطنطاوي، والبيطار، والتنوخي، والرواف، بتاريخ ٧-٨-١٩٣٧م]

ولم يكن حبُّه هذا خَفِيًّا، بل سطَّره في نثره وشعره، وهذا ما دفعني إلى جمع قصائده الخاصة بأمّ الياسمين، في ديوانٍ أسميته: «دمشق في عيون الأثري»، صدر سنة ٢٠٠٨م، بمناسبة اختيار دمشق عاصمة الثقافة العربية، كما صادفت هذه المناسبة الذكرى الثانية عشر لرحيل الأثري .

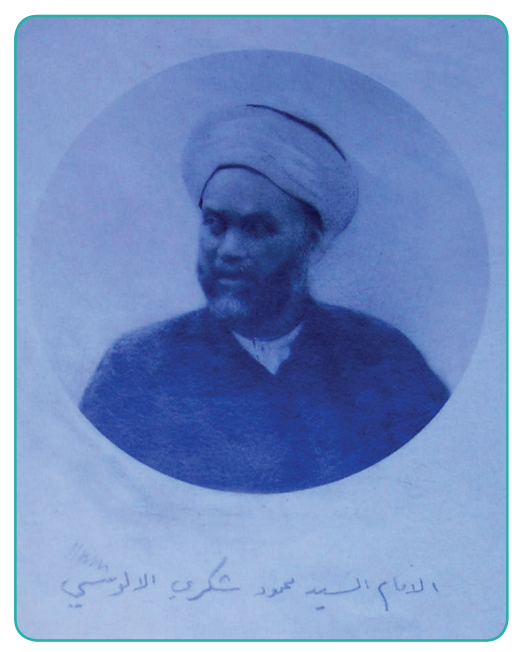
وجدير بالذكر في هذا المقام أنّ علاقات الوالد لم تكن مجرد صداقات شخصية كالتي يتمتع بها سائر بني آدم، وإنما هي ناشئة عن المكانة الكبيرة التي حازها منذ بواكير شبابه، فسطع نجمه في سماء العلم والأدب والتحقيق والإصلاح، فصار علَمًا يتمتع بشعبية وبصيت ذائع بين الخاصة وكثير من العامة.



[أول صورة فوتوغرافية للأثري]

ولعل أبرز عوامل هذه المكانة الرفيعة التي حازها عاملَين اثنين:

الأول: اتصاله بالمدرسة الآلوسية، وعلى رأسها علامة زمانه وكبير أوانه السيد «محمود شكري الآلوسي»، فكان الوالد من أواخر مَن لازمه قبل وفاته، مدة أربع سنوات، فدرس عليه في شتى الفنون. وكذلك لازم ابن عمه القاضي السيد «علي علاء الدين الآلوسي» الذي درس عليه في الفقه والعربية. ومن الطبيعي أن الشهرة لا تحصل بمجرد الاتصال بهؤلاء الأعلام حتى تكون للطالب بصمة علمية خاصة به، وسيرة صادقة في تَمَثُّل ما تَلَقَّاه من عِلمٍ وتَربية، كما أنه خلَفَه في استمرار علاقاته مع أقرانه.



[صورة العلامة محمود شكري الآلوسي في خزانة صور الأثري]

والعامل الثاني: كتابه «أعلام العراق» الذي ما إن طبعه له والده في مصر في بواكير شبابه، حتى حصلت له بسبب ذلك شهرة واسعة، وصار كتابه هذا عمدة في التوثيق والتأريخ في مجاله الذي عني بتراجم الآلوسيين على وجه الخصوص.

أعلام العراق

كتاب تاريخي أدبي انتقادي

يتضمن سيرة الإمام الألوسي الكبير

وتأبين العلماء والأدباء وتراجم نوابغ الألوسيين

تصنيف

محمد بهجة الأثري

القاهرة

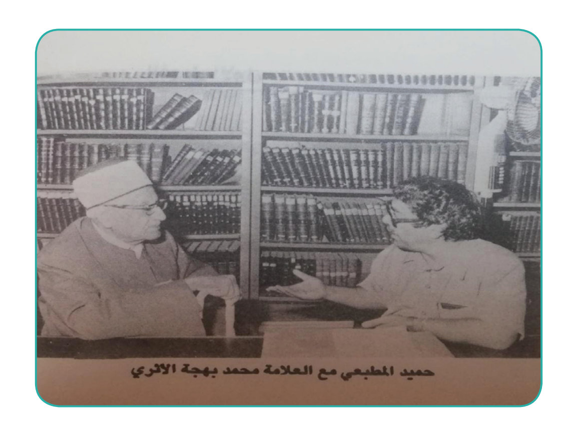
١٣٤٥

المطبعة السلفية - ومكتبتها

لصاحبيهما: محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان

[الطبعة الأولى الشرعية الوحيدة]

ولأهمية مكانة الأثري وشهرته كتَبَ عنه عددٌ من أعلام عصره وأشادوا به، منهم: العلامة محمد كرد علي، والعلامة السيد محمد رشيد رضا، والعلامة الشيخ عبد القادر المغربي، والدكتور إبراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة بالقاهرة، والدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي أمين عام رابطة العالم الإسلامي، والأستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلتَي الزهراء والفتح، والدكتور تقي الدين الهلالي من علماء المغرب، والأب أنستاس الكرملي، والأستاذ أنور الجندي، والمؤرخ عجاج نويهض، والأستاذ عيسى إسكندر المعلوف، والشاعر العراقي معروف الرصافي، والشاعر المصري عزيز أباظة، والدكتور شوقي ضيف، والأستاذ مسعود ندوي من علماء الهند، والأستاذ ثروة أباظة، والدكتور عدنان الخطيب، والكاتب إبراهيم حلمي العُمر، وغيرهم من الأعلام... وقد ذكرَ ذلك الأديب العراقي المؤرخ حميد المطبعي في كتابه عن السيد الوالد الَّذي يُعَدُّ من أهمِّ الكتب التي تناولت سيرته، لأنه لم يكن مجرد سرد تاريخي، بل كان حوارًا مباشرًا مع الأثري، فالكتاب جمَع بين السيرة الذاتية والسيرة الغَيريّة، ويقع في ٢٥٠ صفحة من القطع الصغير، وهو ضمن سلسلة موسوعة المفكرين والأدباء العراقيين.



حميد المطبعي مع العلامة محمد بهجة الاثري

وفي هـذه المقالة أودُّ تسليط الضوء على بعض الشخصيات الّتي عاصرها السيد الوالد، وكانت له معهم ذكريات، وسجّلتْ عدسة الكاميرا شيئًا منها.

فمن هذه الشخصيات:

١- **الكاتب الأديب البليغ مصطفى صادق الرافعيّ**، التقاه في طنطا بمصر عام: ١٩٣٦م، ووثَّق معه هناك هذه الصورة:



٢- **ملك العراق فيصل الأول بن الحسين الهاشمي**، التقاه عدة مرات، منها عند رجوع الأثري من مؤتمر القدس مباشرة حين قدّم هو وبعض الشخصيات البغدادية إلى وزارة الداخلية طلباً بالموافقة على إنشاء فرع للمؤتمر في بغداد وفرع آخر في النجف، لمواصلة الجهاد في سبيل تحرير فلسطين، ولاذت وزارة الداخلية بالصمت ومن عجب أن جاءتهم الدعوة من البلاط لمقابلة الملك فيصل الأول ولم يغب عن فكرهم سر هذه الدعوة من جانب البلاط والضغوط التي يواجهها الملك من دار الاعتماد البريطاني في بغداد، فلبّوا الدعوة وخاطبوا الملك، وبدأ الملك كلامه بالثناء عليهم وعلى إخلاصهم للأمة بكلام مجمجم، فيه كثير من التردد والحيطة، كما يقتضيه وضعه الخاص، وانتهى إلى أن القوانين المحلية لا تسمح بإقامة صِلات مع ما وراء الحدود، وتكلم الجالسون وأعطوا بعض الأقوال إلا الأثري، فقد جلس في الطرف ولم ينبس بكلمة، وساد صمت.. وحين شعر الأثري -الشاب ذو البأس حينها- بتهيؤ الملك للقيام إشعاراً بانتهاء المقابلة، خاطبه قائلاً: «هل لجلالته أن يأذن لي بالكلام؟» فأشار الملك أن نعم. فقال له الأثري: «يا صاحب الجلالة هل من الممكن مراجعة القانون؟».



وكـان رئـيس الـديـوان السيد رشيد عالي الكيلاني واقفًا عند رأسـه، فأشار الملك إليه بإحضار القانون فأحضره، وأمـره بأن يقرأ الـمادة المانعة فيه، فبدأ يقرأ وإذا المادة خلو مما قاله! فقال له الأثـري: «يا صاحب الجلالة بقي الشّأن منوطًا بأمركم». فأجاب السيد الكيلاني: «العبرة بالمعاني لا بالمباني»، ولم تكن طبيعة المقام تسمح للأثري بالرد عليه، فنهض الـمـلـك مـودعًـا وخـرج الوفد، ثم جاءتهم الموافقة على إنـشـاء الفرعين من وزارة الداخلية بعد وقت قصير بإشارة من الملك.



[الملك فيصل الأول ووفد العراق لمؤتمر القدس سنة ١٩٣١م وهم عدد من الأعلام والأعيان، ويظهر الأثري في الصف الثاني]

٣- العلامـة أحمـد تيمور باشـا، وقـد التقـاه الأثـريّ في القاهـرة، وفي الإسـكندرية في رحلته الأولى إلى مصر صيف سنة ١٩٢٨م، وقد رثاه بقصيدة جـاوزت أبياتها الخمسـين في احتفال تأبيني أقيم في جمعية الشـبان المسـلمين ببغـداد، وهي التي أسسـها الأثري بعد عودته من مصر في السنة ذاتها.



[الوفد العراقي في دار الكلية الصلاحية بالقدس أثناء انعقاد المؤتمر، من اليمين: الصف الأول: عبد الرسول آل كاشف الغطاء، نعمان الأعظمي، إبراهيم الواعظ، الأثري. الصف الثاني: عبد الحليم آل كاشف الغطاء، سعيد ثابت، ماجد القرغولي، حسن رضا]



[الأثري خطيبًا بالجمهور في مقر جمعية الشبان المسلمين]

٤- **جميل صدقي الزهاوي** الشاعر العراقي الكبير، وكانت له معه صولات فكرية ومعارضات أدبية على صفحات الجرائد بسبب مواقفه النقدية وآرائه الفكرية.



الأثري مع أصدقائه الرصافي والزهاوي واحمد عزة الأعظمي في الثلاثينات !

٥- **الشاعر الشهير معروف عبد الغني الرصافي**، وهو والأثري يلتقيان في التلمذة على شيخ واحد هو علامة العراق محمود شكري الآلوسي، إلا أن الرصافي كان من الطبقة الأولى من تلاميذه، بينما الأثري كان من الطبقة الأخيرة. وكان الأثري يصف الرصافي بشاعر العرب وشيخ الأدب. وكان قد جرى بينهما سجالات على صفحات الجرائد بسبب بعض مواقفه الفكرية المناهضة لتعاليم الدين الإسلامي، ومع اختلافهما بقي كل منهما يكن الود والاحترام للآخَر.



[الأثري، خليل مطران، الرصافي]

٦- **الأمير شكيب أرسلان**، وقد التقاه الأثريّ في دمشق للمرّة الأولى وفي المؤتمر العربيّ الفلسطينيّ ببلودان صيف عام: ١٩٣٧م، وكتب فيه شعرًا ورثاه بقصيدة جاوزت الخمسة والخمسين بيتًا، وكان يسمّيه: علامة العرب.

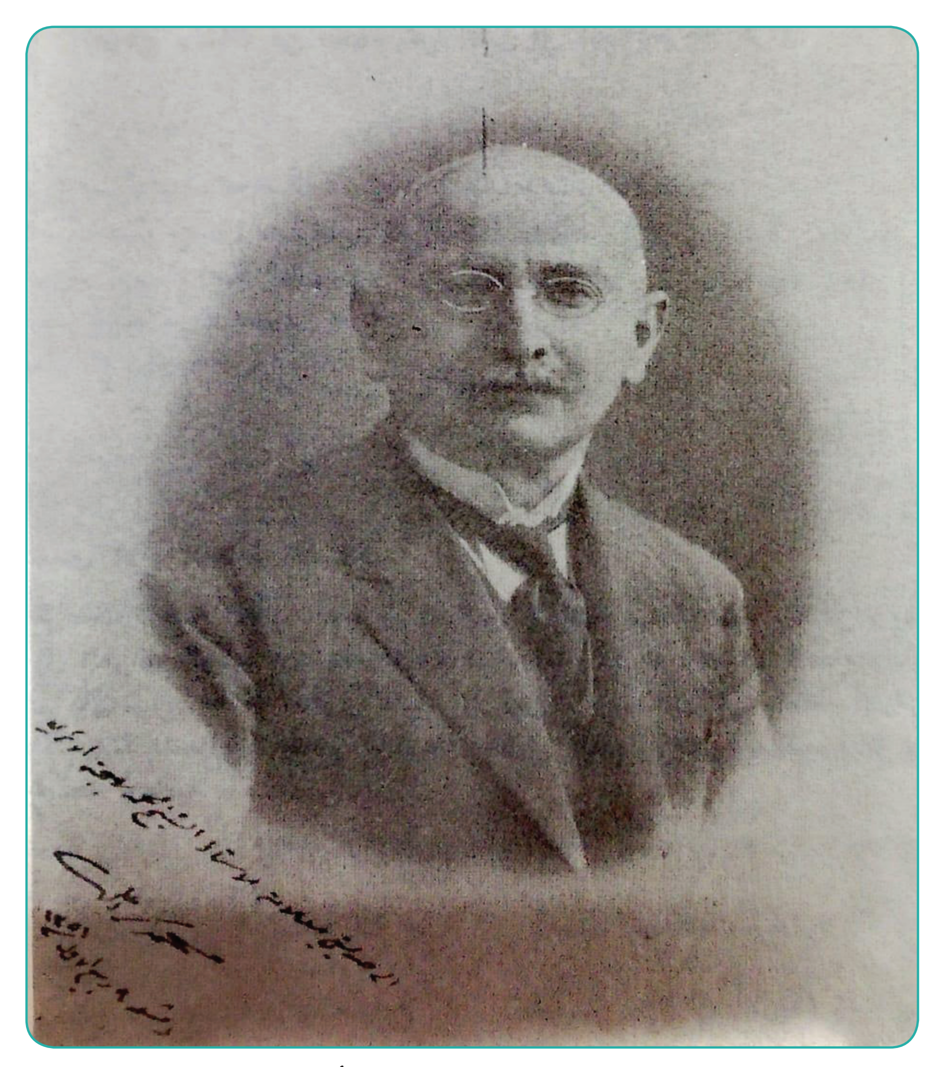
إلى علاّمة العرب الأمير شكيب أرسلان

هاك من تهنئاتنا أحلاها يا حبيب الأوطان يا مرتجاها
بل لها التهنئات طرًّا، فقد عا دَ إليها بالعزّ ليث شراها
«نخلات العراق» تتحف منها «أرز لبنان» ما يحاكي حِلاها
بعثت من ثنائها بلساني لك أشهى من طيبات جناها
ينزل الروح حيث تنزل واليُمْـ ـن، وتعلو بكَ النفوس علاها
كيف لا تطرب البلاد للقيا ك ابتهاجًا وأنت أنت فتاها
أنت من عين يعرب نورها الها دي، ومن نفسها مناط رجاها
عدت كالحقّ ظافرًا، وأُديلت دولة جار حكمها فرماها
هي أجلّتك عن بلادك فانظر حاكم الخلق كيف عنها جلاها

محمّد بهجت الأثري

بغداد ٢٠/١٢/١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م

٧- **محمد كرد علي**، مؤسس المجمع العلمي العربي بدمشق، ورئيسه، كانت له علاقة وطيدة بالأثري، وبينهما مراسلات ولقاءات، وحين توفي كرد علي أرَّخ له الأديب جمال الدين الآلوسي -ابن علاء الدين الآلوسي شيخ الأثري- في كتاب أسماه «محمد كرد علي» وقدَّم له الأثري بمقدمة حافلة تليق بمقام الأستاذ الرئيس كما كان يُلقَّب.



[صورته الشخصية وعليها إهداؤه إلى الأثري بخطه]

٨- شاعر الهند «رابندرانات طاغور» حين جاء بغداد بدعوة ملكية عام ١٩٣١م، فذهب مع الوفد لاستقباله بأمر من الحكومة، فسمع منه ما لا يَسرّ، فلما كان موعد الاحتفاء به حياه بقصيدة هي في حقيقتها تقريع للأفكار التي جاء بها طاغور المساندة لأهداف المحتل، وفيها يرثي الأثري حال بغداد، افتتحها بقوله:

بسمتَ لبغدادٍ وبغدادُ ثاكِلَهْ
فلم ترَ إلا أن تهشَّ مجامِلَهْ
وبغدادُ ثغرٌ صاغهُ اللهُ باسمًا
لكلِّ أديبٍ حطَّ فيها رواحِلَهْ



[طاغور بلحيته البيضاء الطويلة وخلفه الأثري، ويجلس إلى جانب طاغور الشاعر الزهاوي]

٩- رئيس الوزراء العراقي ياسين حلمي الهاشمي (في العهد الملكي)، وكان شديد الحفاوة بالأثري ويقدره تقديرًا كبيرًا، حتى قال عنه: «هذا الأثري مصلح في الدين والأخلاق»، كان ذلك في ثلاثينات القرن الماضي، وقد أَسندَ إلى الأثري عدة أعمال، في التربية والتعليم وإدارة الأوقاف.



[الوفد العراقي الذي أوفده رئيس الوزراء ياسين الهاشمي إلى مصر سنة ١٩٣٦م، وهو في ضيافة آل لطف الله في قصرهم بالزمالك، ويظهر من اليمين: الأثري، وإلى يمينه معروف الرصافي، وفي وسط الصورة وزير المعارف العراقي عبد الحسين الجلبي]

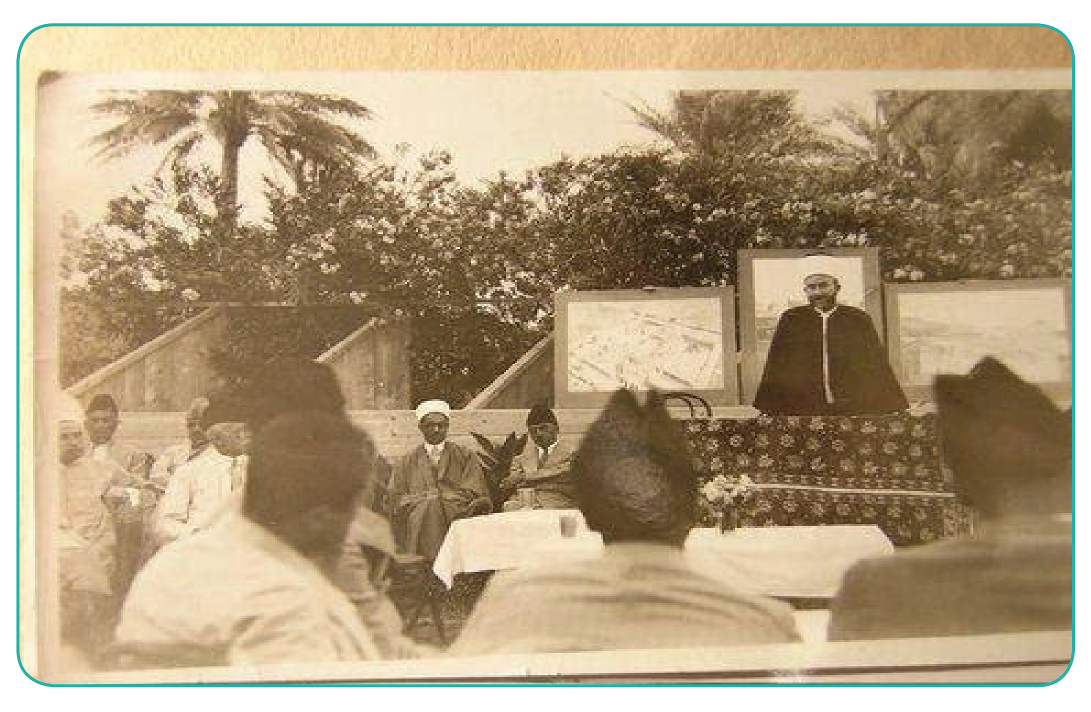
[الوفد العراقي في منزل الدكتور مظهر سعيد وحرمه السيدة نظلة الحكم ١٧-٣-١٩٣٦م]

في حفلة بمصر في (مارت ١٩٤٦) أقامها طلعت باشا حرب للوفد العراقي :

القاعدون : الثاني من اليمين ابراهيم حلمي العمر ، فصادق رشوان باشا « مصري » ، فمحمد الباسل باشا « مصري » ، ففوزان السابق الوزير السعودي المفوض بمصر ، فعبد الحسين الجلبي ، فطلعت باشا حرب ، فعبد القادر الكيلاني القائم بأعمال المفوضية العراقي ، فمعروف الرصافي ، فسعيد ثابت ، فمحمد بهجة الأثري ، فمكي الأورفه لي ، فآخر من الموصل ، والأخير من الأسرة الهاشمية مقيم بمصر وقد توفي بعد زمن قليل .

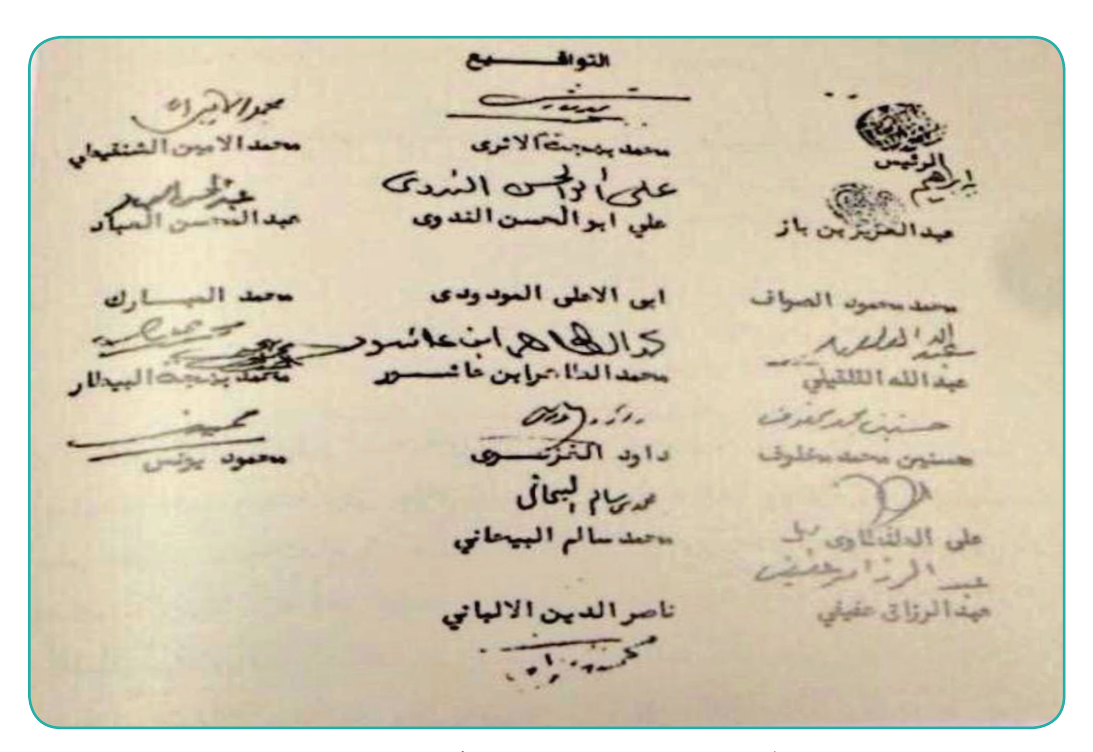
أما الواقفون فمنهم علي محمود الشيخ علي ، وابراهيم البسام ، وفؤاد أباظه باشا ، وجعفر الباجه جي ، وعاصم الجلبي ، وحامد الجاف ، وحكمة ثريا ، والحاج ابراهيم الأورفه لي والدملكي الأورفه لي ، وغيرهم من عراقيين ومصريين

١٠- **الحاج محمد أمين الحسيني** مفتي فلسطين، التقاه في القدس، واستضافه ببغداد في جمعية الشبان المسلمين عام ١٩٣٩م.



[الحاج أمين الحسيني خطيبًا بالجمهور في جمعية الشبان المسلمين، ويظهر الأثري في الصورة ثاني الجالسين يمين المنصة]

١١- محمد بن ناصر العبودي، الأمين العام الأسبق للجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وهو أول موظف في الجامعة الإسلامية، وعمل على تعيين عدد من الشخصيات والأعلام في الجامعة، من بينهم العلامة الأثري، حيث صار عضوًا في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة. وهناك صَحِبَ عددًا من الأعلام، كالشيخ عبد العزيز بن باز مفتي السعودية، والشيخ حسنين مخلوف مفتي مصر، والطاهر بن عاشور، وأبي الحسن الندوي، وناصر الدين الألباني، والأمين الشنقيطي، ومحمود الصواف، وعبد الرزاق عفيفي، والمودودي، وآخرين.


التوقيع

عبد العزيز بن باز

محمد بهجة الأثري

محمد الأمين الشنقيطي

علي ابو الحسن الندوي

عبد المحسن العباد

محمد محمود الصواف

ابو الاعلى المودودي

محمد المبارك

عبد الله القلقيلي

محمد بهجة البيطار

حسنين محمد مخلوف

محمود يونس

محمد سالم البيحاني

عبد الرزاق عفيفي

ناصر الدين الالباني

[توقيعات أعضاء المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية]

١٢- الكاتب والأديب المصري أحمد حسن الزيات، جمعت بينهما صحبة بعد أن كان بينهما مساجلات ومعارك أدبية بسبب الفرية الشعوبية عن علاقة الشاعر وضاح اليمن بالرفيعة الحسب والنسب أم البنين الأموية زوج الوليد بن عبد الملك.





[الأثري والزيات، أوائل سنة ١٩٦٨م]

١٣- **ملك المغرب الحسن الثاني بن محمد الخامس العلوي**، حين كان الأثري عضوًا في الأكاديمية المغربية، وهناك حاز وسام الأكاديمية، حيث قلده إياه الملك في قصره بالرباط. وكان قبل ذلك قد حاز وسام العرش من أبيه الملك محمد الخامس، قلده إياه سفير المغرب ببغداد.

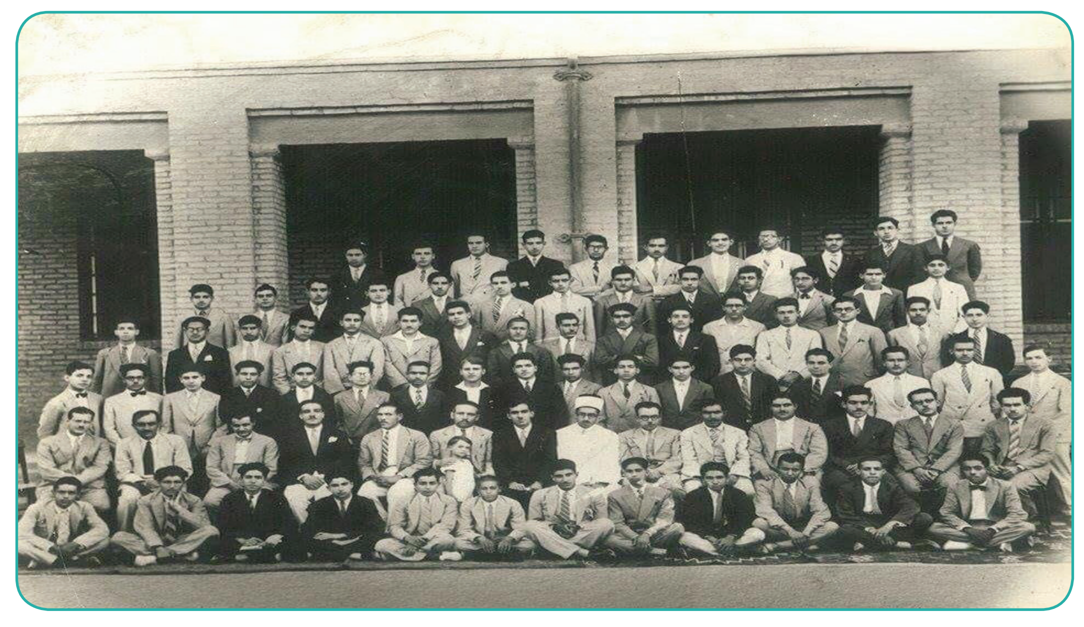


[في حضرة الملك الحسن الثاني في رمضان وهو يلقي محاضرة في الدروس الحسنية]



[الأثري مع الملك الحسن الثاني]

١٤- **الرئيس عبد الكريم قاسم**، أول رؤساء العهد الجمهوري العراقي، وكان قاسم أحد تلاميذ الوالد في بعض مراحل الدراسة، وبقيت صورة الوالد في ذهنه مثالًا للرجل النزيه والعالِم القدوة، ولهذا قرّبه بعد تسلمه المنصب، وأسند إليه إدارة الأوقاف مرتبطة برئيس الوزراء. وحينها استطاع الأثري إكمال مشروعه الذي بدأه أيام رئاسة ياسين الهاشمي في العهد الملكي.



[يظهر الأثري في وسط الصورة، ويظهر الطالب عبد الكريم قاسم وهو الخامس من اليمين في الصف الأخير]



[الأثري مع عبد الكريم قاسم وآخرين، في حفل افتتاح المدرسة المستنصرية الأثرية سنة ١٩٦٠م]

١٥- **عبد العزيز الثعالبي**، العالِم العربي المصلح، والسياسي التونسي القائد، كان قد أقام في العراق ما بين عامي ١٩٢٥ - ١٩٣٠م وفي تلك الفترة وجَّه الملك فيصل بتعيينه أستاذًا للفلسفة بجامعة آل البيت، وفيها توثقت صلة الصداقة بينه وبين الأثري.

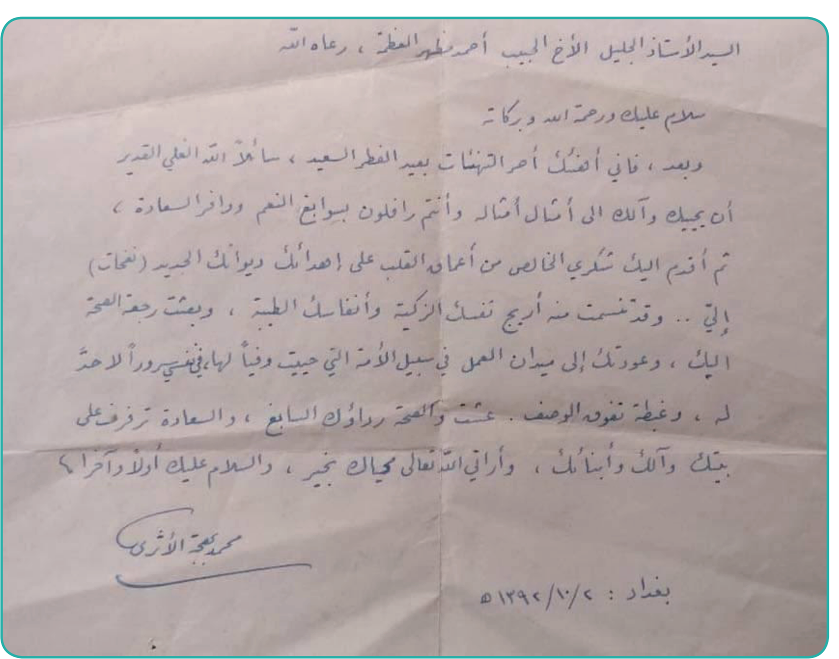


[الثعالبي أول الجالسين يمين الصورة، في مجلس الصلح بين الشاعرين الرصافي والزهاوي الجالسين عن يمينه، وفي أقصى يسار الصورة يظهر الأثري، سنة ١٩٢٨م]



[صورة شخصية أهداها الثعالبي إلى صديقه الأثري]

١٦- **الأستاذ أحمد مظهر العظمة**، صاحب مجلة التمدن الإسلامي. وهذه صورة من صور العلاقة الوطيدة بينهما:



السيد الأستاذ الجليل الأخ الحبيب أحمد مظهر العظمة، رعاه الله

سلام عليك ورحمة الله وبركاته

وبعد، فإني أهنئك أحر التهنئات بعيد الفطر السعيد، سائلاً الله العلي القدير
أن يحييك وآلك إلى أمثال أمثاله وأنتم رافلون بسوابغ النعم ووافر السعادة،
ثم أقدم إليك شكري الخالص من أعماق القلب على إهدائك ديوانك الجديد (نفحات)
إليّ .. وقد تنسمت منه أريج نفسك الزكية وأنفاسك الطيبة، وبعثت رجعة الصحة
إليك، وعودتك إلى ميدان العمل في سبيل الأمة التي حييت وفياً لها، في نفسي سروراً لا أحدّ
له، وغبطة تفوق الوصف. عشت والصحة رداؤك السابغ، والسعادة ترفرف على
بيتك وآلك وأبنائك، وأراني الله تعالى محياك بخير، والسلام عليك أولاً وآخراً،

محمد بهجة الأثري

بغداد: ٢/١٠/١٣٩٢هـ

١٧- **الشيخ محمد رضا الشبيبي**، الشاعر والعالم والسياسي العراقي، تسنم وزارة المعارف في العهد الملكي أربع مرار، وهو أول رئيس للمجمع العلمي العراقي، واختار الأثريَّ ليكون نائبه في رئاسة المجمع، وكانت بينه وبين الأثري نقاط مشتركة في العلم والأدب والسياسة والإصلاح، وبينهما صلة وثيقة وصداقة عميقة.



[الأثري وعن يساره الشبيبي يتوسطان نخبة من رجال الفكر والعلم مطلع الستينات]

١٨- **الدكتور جواد علي**، العلامة العراقي المؤرخ. كانت بينه وبين الأثري علاقة قائمة على الاهتمام المشترك بالتحقيق والتأريخ، وقد استفاد جواد من الأثري من بعض ملاحظاته له على كتابه «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» كما أشار في مقدمته.



[الأثري، جواد علي، حميد سعيد، سنة ١٩٨٦م]

١٩- **عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري**، العلامة الأديب الهندي. لم يكن الجامع بينه وبين الأثري اللقب فحسب، بل الأدب والاهتمام بالتراث المخطوط واللغة العربية والمنهج الإسلامي البعيد عن التعصب والخرافة والبدع.

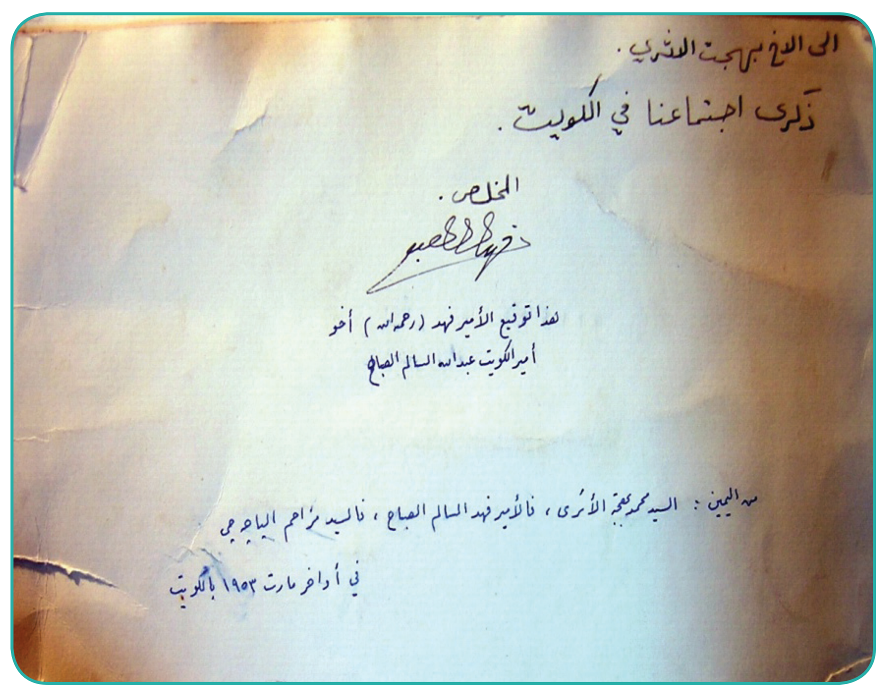


[الأثري، الراجكوتي، جواد علي، سنة ١٩٥٦م]



٢٠- الشيخ فهد السالم الصباح، أخو أمير الكويت حينها. وهذه صورة توثق اجتماع الأثـري ومُزاحم الباجَجِي مع الشيخ فهد في الكويت عام ١٩٥٣م.





٢١- الأستاذ خير الدين الزركلي، صاحب كتاب «الأعلام» الشهير، كانت بينه والأثري مودة وتعاونًا علميًا، ويمكن أن نستشفّ شيئًا من ذلك في هذا النموذج:

بغداد ١٣٧٥/١٢/١٠

أخي الأستاذ الكبير

تحية مباركة طيبة، وتهنئة بالعيد السعيد. وبعد، فقد تلقيت رسالة أخي الحبيب أشوق ما أكون الى مثلها، وبي يعلم الله، اليه من عواطف الود المقيم ما يضيق عن تبيانه هذا الرقيم.

اتخذت الوسيلة الى تحقيق ما رغبتم فيه من تصوير خطوط المصنفين وكبراء المتقدمين التي ترغبون أن تحلوا بها جيد «الأعلام» في طبعته الجديدة، وذلك على يد المجمع العلمي العراقي، لأنه هو وحده الذي يملك الأدوات والآلات الفنية. وقد عرضت عليه كتابكم، فاتخذ في جلسته المنعقدة في ٦/٢٤ القرار الآتي:

«٣ - تلي كتاب الأستاذ خير الدين الزركلي الى الأستاذ محمد بهجة الأثري بمساعدة في ارسال صور «فوتغرافية» لكتابات مشاهير العلماء والكتاب القدماء والمحدثين، تؤخذ عن المخطوطات المدونة بخطوطهم والمحفوظة في خزائن الكتب العراقية، لطبعها في طبعته الجديدة لكتابه «الأعلام». فوافق (أي مجلس المجمع) على الطلب، على أن يكتب بذلك الى المالية لأخذ موافقتها، وعلى أن يطلب الى الأستاذ الاشارة في كتابه الى مؤازرة المجمع له في ذلك».

وأنا ما زلت مرتقباً ورود موافقة الوزارة المذكورة، وسواء عندي أوافقت أم خالفت، سأقوم بنفسي في تحقيق هذه الرغبة الكريمة ان شاء الله، وذلك بعد أن تخف وطأة هذا الحر المميت شيئاً قليلاً، لأن الأمر يحتاج الى مراجعة الكتب واحضارها واحضار

الموظف الفني، الذي يتولى التصوير بإرشادي وتوجيهي، وأنا في هذا الحر كما وصفت حالك فيه في بيتيك النادرين:

أيها السائلون عنا بمصر: كيف نضحي بها وكيف نبيت؟
نحن في هذه المدينة نحيا حين نمسي وفي النهار نموت!

أما كتب النجف، فاني عازم على السفر الى النجف في الخريف المقبل، للتنقيب عن نوادر المخطوطات في خزائنها وتصويرها للمجمع. وسأنتهز هذه الفرصة لإسعافكم بما تريدون من خطوط العلماء بحسب الإمكان، فأرجو موافاتي بأسماء الأعلام الذين تحبون أن تحلوا كتابكم بخطوطهم لأبحث عن خطوطهم وأصور ما أظفر به منها، وذلك بعض ديون الصداقة عليّ أطمع في الوفاء به لكم.

والسلام عليكم بدءاً وختاماً

المخلص

[توقيع]



٢٢- **الأستاذ ظافر القاسمي**، ابن العلامة جمال الدين القاسمي الدمشقي، ربطت بينه وبين الأثري علاقة متينة، ومشتركة مع العلامة محمد بهجة البيطار وغيره.



[في بيت ظافر القاسمي سنة ١٩٣٦م]

٢٣- **العلامة أبو الحسن الندوي الهندي**، كانت بينه وبين الأثري صلة وثيقة، وقد تزامَلا في الهيئة الاستشارية في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وكانت بيهما مراسلات ودية وإهداءات علمية وأدبية (يُنظَر بعضُها في كتاب «رسائل الأعلام إلى أبي الحسن الندوي» ص٨٤-٨٧).



[الندوي والأثري في أحد الاجتماعات في الجامعة الإسلامية]



٢٤- الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، وهذه صورة للأثري في استقبال الملك السعودي فى زيارته إلى بغداد، في الثمانينات:



مع أعلام المجامع العربية:

وإن لم يتسع المجال لذكر الكثير من الأعلام، لكن لا أنسى أن أذكر بعض الذين رافقَهم في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومجمع اللغة العربية بدمشق، كالعلامة المغربي عبد الله كنون، والدكتور إبراهيم مدكور رئيس مجمع القاهرة، وزكي المهندس نائب رئيس مجمع القاهرة، والدكتور حسني سبَح رئيس مجمع دمشق، والأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع دمشق أيضًا في إحدى فتراته، وخليل مردم بيك أحد من تسنم رئاسة مجمع دمشق أيضًا، والأمير جعفر الحسيني أمين مجمع دمشق، والأديب السوري الدكتور عدنان الخطيب أمين مجمع دمشق، والأديب السوداني عبد الله الطيب، والفاضل بن عاشور مفتي تونس، والأستاذ محمود شيت خطاب، وغيرهم، رحم الله الجميع.





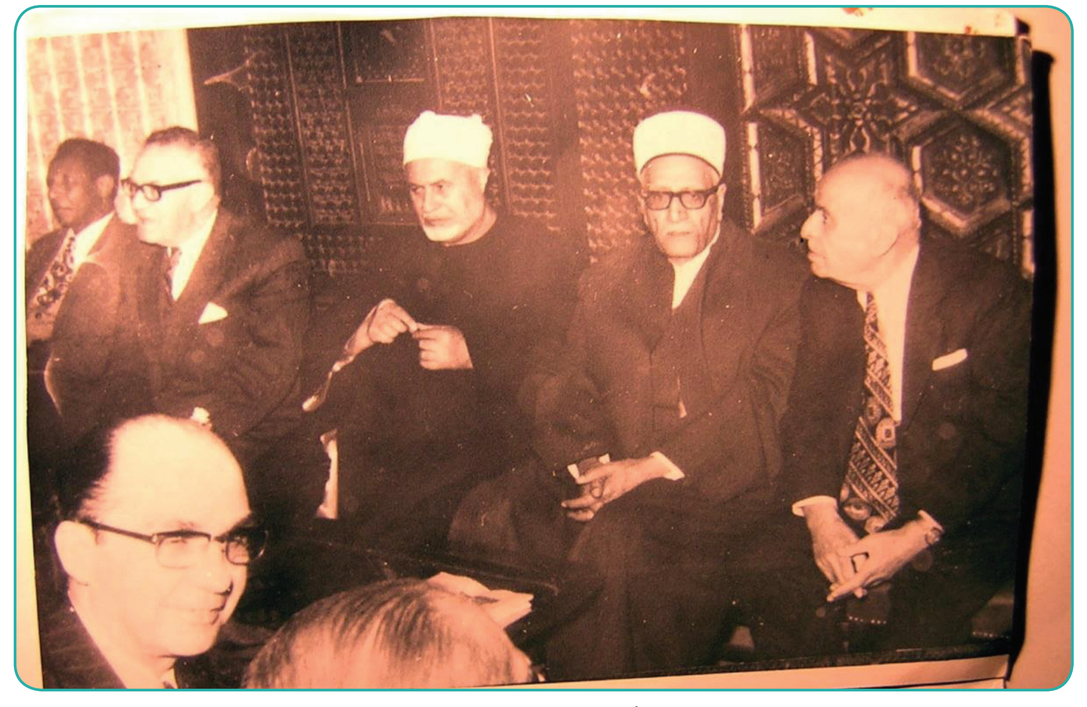
[من اليمين في الصف الصف الأول: إبراهيم مدكور، عبد الرزاق محيي الدين، زكي المهندس، (...؟)، الفاضل بن عاشور، محمد توفيق مدني، (...؟)، عبد الله الطيب، أحمد حسن الزيات، عبد الرحمن تاج، (...؟)، الأثري]



[من اليمين: عبد الله كنون، الأثري، مصطفى الشهابي، عبد العزيز السيد، أحمد عبدو الشرباصي، إبراهيم مدكور، زكي المهندس]



[إبراهيم مدكور، زكي المهندس، الأثري، في إحدى جلسات مجمع القاهرة]



[من اليمين: حسني سبَح، الأثري، محمد خاطر مفتي مصر، إبراهيم مدكور، عبد الله الطيب، وفي الواجهة: عدنان الخطيب]





[من اليمين: الفاضل بن عاشور، الأثري، محمود شيت خطاب، عزيز أباظة، عبد الفتاح العيدي]



[الأثري وإلى يمينه خليل مردم بيك، وبينهما من الخلف جعفر الحسيني، في المدرسة العادلية بدمشق سنة ١٩٥٢م]

من ذاكرة المجالس البغدادية الثقافية:

في عام ١٩٨٢م اجتمع أبرز أعلام العراق ومثقفوه، بدعوة من الأديب البغدادي الراحل وتاجر الساعات: ناجي جواد الساعاتي، فقد أقام حفلًا أدبيًا كبيرًا في نادي العلوية ببغداد في شباط ١٩٨٢م.

وحضر الحفل وشارك فيه حشد واسع من أدباء ومثقفي وأكاديميي العراق آنذاك، أُلقيتْ فيه القصائد والكلمات من قبل عدد من المشاركين فيه.

وفي الصورة الوثائقية التالية التي التقطها المصور لفتة عباس تظهر الشخصيات العراقية الأدبية والعلمية بمختلف تخصصاتها وانتماءاتها وأطيافها الفكرية.



من الأعلى يمينًا – الواقفون في الصف الأول: الدكتور كامل مصطفى الشيبي، والعميد خليل إبراهيم الزوبعي، والشاعر محمد جواد الغبان، والشاعر شفيق القرغولي، والباحث طارق الخالصي، والدكتور توما شماني، والأديب حسين شعبان، والأديب خالص عزمي، والشاعر علي عبد الأمير الحيدري، والأديب طالب الحاج فليح، والأكاديمي ماجد العزي.

والواقفون في الصف الثاني: المحقق مكي السيد جاسم، والباحث عبد الحميد الرشودي، والباحث أحمد شبيب، وعالم الاجتماع العراقي الدكتور علي الوردي، والأديب طعمة السعدي، والباحث سالم الآلوسي، والدكتور خالد العزي، والدكتور علي البلداوي، والمؤرخ الدكتور حسين أمين، والمحامي باقر أمين الورد، و(...؟)، والباحث عبد الحميد المحاري، والطبيب الدكتور خالد ناجي، والمحامي شاكر الغرباوي، ونجل المحامي الغرباوي، والتاجر فخري جواد الساعاتي، والأديب عزيز جاسم الحجية، والصحفي صادق الأزدي، والأديب التركماني وحيد الدين بهاء الدين، والأديب صالح كبة، والدكتور أحمد محمد الشحاذ.

الجالسون في الصف الثالث: القاص الكردي عبد المجيد لطفي، والمحامي محمود العبطة، والدكتور حسين علي محفوظ، والوزير السابق في العهد الملكي صادق كمونة، والمؤرخ الدكتور جواد علي، والوزير السابق في العهد الملكي الدكتور عبد المجيد القصاب، والمحقق المؤرخ كوركيس عواد، والعميد عبد الرحمن التكريتي، والباحث ميخائيل عواد، والصحفي الباحث إبراهيم القيسي، والعلامة محمد بهجة الأثري، والأديب عبد الرزاق الجزار، والشاعر نعمان نعمان ماهر الكنعاني.

الجالسون على الأرض: الأديب ناجي جواد الساعاتي (صاحب الدعوة)، والصحفي عادل العرداوي، وخليل حسين، والدكتور سعد ناجي جواد، والدكتور شوقي ناجي جواد.

ختامًا:

هذا ما حاولتُ أن أجعل المقال يتسع له من ذاكرة الصور التي جمعت سيدي الوالد بأعلام عصره، كما أُلفتُ النظر في الختام إلى صوَر مهمة جمعت الأثري بأعلام كبار من عدة دول، وذلك في حفل استلامه جائزة الملك فيصل، عام ١٩٨٦م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ يوسف عقيل الحمدان المحترم

الأمين العام المساعد لجائزة الملك فيصل العالمية .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أدى البريد إليّ في هذا اليوم ما أفضلتم به عليّ من « الضمامة » ، الجميلة الرائعة المتوجة بصورة فقيد العروبة والإسلام الشهيد الملك فيصل بن عبد العزيز رحمهما الله ، التي جمعت الصور التذكارية للعلماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية في سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، وكان لي فيها نصيب وافر بالصدر . فأشكر مؤسسة الجائزة الموقرة وعلى رأسها حضرة صاحب السمو الملكي الجليل الأمير خالد الفيصل حفظه الله على هذا الإفضال الكريم والالتفاتة الكريمة والإفضال النبيل ،

وتقبلوا مني خالص التقدير والثناء ،

بغداد ٨/١/١٤٠٩هـ

٢٠/٨/١٩٨٨م

محمد بهجة الأثري





[الأثري وهو يستلم الجائزة من الأمير (الملك لاحقًا) عبد الله بن عبد العزيز، وإلى جانبه الأمير خالد الفيصل]



[الأثـري وعن يمينـه الأمير خالـد الفيصل، وبقيـة الفائزيـن بالجائزة في فروعهـا المختلفة، وهـم: رجـاء جـارودي المفكـر الفرنسـي، وأحمد ديدات الداعية الإسـلامي، وعبد العزيز الدوري المؤرخ العراقي، وليليو أورشـي عالم البيولوجيـا الإيطالـي، وألبرت رينولـد الطبيب السويسـري، وجيان بوتاتزو الطبيب الإيطالي، ومايكل بيردجر الكيميائي البريطاني]



بسم الله الرحمن الرحيم

براءة جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي

إنّ هيئة جائزة الملك فيصل العالمية، بعد اطلاعها على نظام جائزة الملك فيصل العالمية المصادق عليه من مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالقرار رقم ١١/٦٨/٩٨ وتاريخ ١٠/٨/١٣٩٨هـ وعلى محضر لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي في دورتها التاسعة بتاريخ ٥ ربيع الثاني ١٤٠٦هـ الموافق ١٦ ديسمبر ١٩٨٥، تقرّر منح:

الأستاذ محمد بهجة الأثري

جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي لهذا العام ١٤٠٦هـ وذلك تقديراً لأعماله الجليلة في خدمة اللغة العربية وآدابها وفكرها، وخاصة عمله المتميز في تحقيق كتاب "خريدة القصر وجريدة العصر" لمؤلفه عماد الدين الأصبهاني الكاتب، وإخراجه ذلك المصدر النفيس بصورة جيدة قامت على مقابلة النصوص في مصوراتها وفي دواوين أصحابها وما لهم من أشعار وأخبار في الكتب الأدبية، مع التعريف بالشعراء في مطلع تراجمهم. إضافة إلى تعليقاته المفيدة التي تغني قارئ هذه الموسوعة الأدبية وتمدّه بذخيرة في اللغة والأدب والتاريخ.

وإنّ هيئة الجائزة إذ تمنحه ذلك فإنها تسأل الله أن يوفقه وأن يكثر من أمثاله.

والله ولي التوفيق

صَدَرَت في الرياض برقم ٣٦
وتاريخ ٢٨/٦/١٤٠٦هـ الموافق ٩/٣/١٩٨٦م

رئيس هيئة الجائزة

خالد الفيصل بن عبد العزيز



(٦) العلامة الأثري

ذكرى وبشرى

أحمد صبري

ذكرى:

تسعون عامًا عاشها الأثريّ، وهو نجم يهتدى بسيره، ويؤتسى بأسلوبه، ويتابع فيما يكتبه من أبحاث ومقالات.. بكثير من الإعجاب والتقدير والاحترام والإكبار.

كان الأثري رأسًا في المحققين، وغاية في الأدباء والمتأدبين، وراية للهادة المهديين في السلوك والأفكار والأخلاق والأعمال...

فهو درة المحققين، وتاج الأدباء الميامين، وشاعر الشعراء، وثالث ثالوث الفكر والإبداع في القصيدة العربية في الشعر العربي الحديث الرصافي، والزهاوي، والأثري.

تتلمذ الأثري لعلامتي العراق علي علاء الدين الآلوسي، ومحمود شكري الآلوسي أبو المعالي، وبهما تخرج، وكان على معرفة بالتركية العثمانية والفارسية والفرنسية وكان ملمًّا بالإنجليزية والألمانية.

كان مجيدًا فيما يَقرضه من الشعر، وكان من طبقة المخضرمين، لا من طبقة النظّام، وكان شعره شعرًا ملآنًا بالحمية والغيرة على دين الله، وعلى مقدساته، وعلى أوطانه الإسلامية والعربية..

تراه يُلهب قارئه بما يحدث في فلسطين من مآسٍ، ويشدّ من أزر سامعه، وهو ينشد شعره في السوريين، فيجعل الثائر ملء إهابه عزيمة وإرادة، ومضاء في الاستبسال، وشجاعة القول والفعل، تسمعه وهو ينافح ويدافع عن وطنه العراق، فتخال شعره سيفًا يحزّ رقاب المستخربين، ونثره رمحًا ينشب في أجساد المتواطئين مع الاحتلال وأشياعه.

يقول الأثري في قصيدته «الشعر كما أراه »:

الشعرُ ما روَّى النفوسَ مَعينهُ
وجرت برقراق الشعور عيونهُ
وصفت كلالاء الضياء حروفهُ
وزهت بوضّاء البيان متونهُ
متألقُ القسماتِ فتانُ الرؤى
يزهو صباالفصحى الطرير رصينهُ
حرُّ المذاهبِ لا يشوب أصولهُ
كدرٌ ولا واهي اللغات يشينهُ

يقول الدكتور أحمد مطلوب: «ويمضي في إيضاح الشعر الرائع، وهو عنده أن يكون صادقًا يروي النفوس، ويهز المشاعر، واضحًا جليًّا يزهر بوضّاء البيان، متألقًا فتّانًا لا تشوبه عجمة أو خروج عن الفصحى، حرًّا يعبّر عن الحقيقة بأجلى صورها، صادرًا عن عبقرية فذّة، وموهبة عظيمة، غَرِدًا، بديع الإيقاع، معبرًا عن الخلجات ومصورًا للأحاسيس المختلفة، هذه بعض سمات الشعر عنده، وهي سمات تجعله خالدًا على الزمان».

ومع جلال قوله في الشعر، ومتانة لفظه في النظم، وسلاسة أسلوبه في التعبير الشعري، فهو أيضًا صاحب القدح المعلى، والفارس المجلى الذي لا يبلغ له شأو في التعبير العربي الفصيحالصحيح، فهو حين يعبر يعبر عن روح عربي قح، لا يشوب لفظه شائبة الدخيل على كثرة معارفه باللغات، ولا يدنو به خيال نحو الدارجة الضعيفة الهشة.

وهو محقق التراث الذي لا يكل ولا يمل عن البحث والدراسة والتقصي والتأصيل، فقد أنفق أكثر من سبعة عشر عامًا، في تحقيق «نزهة المشتاق» للإدريسي، وبلغ أكثر من ثلاثة عقود في تحقيق «خريدة القصر» للأصبهاني، والذي نال به جائزة الملك فيصل العالمية في الثمانينات.

وهو المعلّم الذي تخرج من تحت يده أعلام الأدب والتاريخ والفكر والسياسة.

بُشرى:

إنّ مجرّد الحديث عن العلامة محمد بهجة الأثري، هو وحده يستلزم البحث والدراسة والتقصّي الشامل لغالب أعماله على مدار عمره، إضافة إلى تتبُّع كلِّ أَثَر له من بحث ومقالة وحديث ومقابلة وذكريات ومشافهات...

وقد تتبَّعنا بعضًا من هذه الجوانب في فيلمنا الوثائقي عنه الّذي تناولناه العام الماضي على قناة عين على التراث..

كما نحاول فعله في جمع مقالاته في أبرز الدوريات الّتي كتب فيها على مدار عُمره، مما استطعنا الحصول عليه، واغتنامه. وإن شاء الله تعالى يرى جمهرةُ القرَّاء جمهرةً كجمهرةِ محمود شاكر، وشقيقهِ أحمد شاكر، هي «**جمهرةُ مقالات الأثري**» رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعسى الأيام تمدّنا بما كان يكتبه من أوراق ومذكّرات وتعليقات بإذن الله تعالى من خلال أستاذنا الغالي ولده البار بتراث والده: الأستاذ يسار محمد بهجة الأثري، الذي لا يألو جهدًا، ولا يرتاح له بال، إلا وهو يبحث، ويتناقش، ويحثّ، ويَسأل.. حتى ترتاح نفسه من ناحية برّه بأبيه العلامة الكبير.



(٧)
معارك الأثري الأدبية والفكرية

عمر ماجد السنوي

تقدمة:

إنّ العلامة محمد بهجة الأثري قد شكّل مع غيره ممن خاض معارك أدبية وفكرية تاريخًا للصراعات النقدية في صحافة ما بعد العهد العثماني، فكانت سجلًا حافلًا بالسجالات التي يستنبط منها الدارسون والأدباء والعلماء لوحات نقدية عن اصطراع العقول والثقافات والبيئات، في حقبةٍ بدأ فيها العراق يتنفس بعض حريته ويشكّل ذاته بذاته، ليعود إلى الصدارة كما هو شأنه عبر التاريخ، فأصبح منذ هذه النهضة مؤثِّرًا قويًّا في المنطقة، وفي الأجيال التالية. ولو جُمعَت معارك الأثري وحده في عشريناته وثلاثيناته، لجاءت في سِفْرٍ جَليل في النقد، ونقد النقد، وفي الجدل الأدبي والفكري والأخلاقي.

وأجدني في هذا المقام أردد مع حميد المطبعي لومه على المؤرِّخين، الذين كان حريًّا بهم أن يُظهروا هذه اللوحات، وأن ينقلوها إلى كتاب مفرد، لينهل منه الدارسون، فيعالجوا الأثر الذي تركته هذه المساجلات على حياة مجتمعنا العراقي والمجتمعات المتصلة به.



إن هذه المعارك النقدية قد ذاب أكثرها في أعمدة الصحافة، وضاع جوهرها الاجتماعي عنا، وتاهت البدايات النقدية علينا، التي «كان من الممكن لو جُمعَت وهُذِّبت وحُقِّقت أن تكون المقدمات الأساسية للنقد الأدبي الذي يَبحَث اليوم عن جذرٍ له، فلم يجده إلا في وادي التيه» -كما عبَّر حميد المطبعي-.

وهذه المقالة ليست هي جواب هذا الطلب، وليس فيها تحقيق هذه البُغية في جمْع معارك الأثري على الأقل، إنما هي صدى لذلك النداء الذي أطلقه المطبعي، يُعاد اليوم ويُكرَّر ليبقى يقرع الآذان، علَّه يومًا يصل إلى قلوب القادرين على فعله وتحقيقه.

ولذا فإنني اتخذتُ مرجعًا واحدًا لتحقيق هذه المهمة، وهو كتاب الأستاذ الأديب المؤرخ الفيلسوف المرحوم «حميد المطبعي» الذي خصصه لسيرة العلامة الأثري، ونشَرَه ضمن سلسلة موسوعته الجليلة: (موسوعة المفكرين والأدباء العراقيين)، والذي صدر عن وزارة الثقافة العراقية عام (١٩٨٨م)، وهو كتاب يمتاز بكونه حوارات بين الكاتب (المطبعي) وصاحب الترجمة (الأثري)، فهو أوثق وأوعب سيرة ذاتية للأثري، فقد صُنع على عينه، وقد عُني فيه المطبعي بتوثيق جوانب متعددة من معارك الأثري.

العلم والنقد:

وقبل البدء بسرد نماذج من معارك الأثري، تجدر الإشارة إلى أنَّ مَن يُمارس النقد لا يُشترَط فيه سنّ معيَّنة، ولا يُشترَط فيه أن يراعي في نقده أسنان الآخَرين؛ فها هو الأثري ابن العشرين عامًا يصارع الزهاوي ابن السبعين وهو من أساتذته في يوم ما، كما يتبارى مع الرصافي ابن الخمسين الذي يجلّه أيّما إجلال، ويقارع الزيات ابن الأربعين الذي صار بعدُ مِن خُلَّص أصدقائه...

لكن الشرط الأوحَد في النقد هوَ العِلْم، العِلْم فحسْب، ذلك أنَّ الناقد إذا انطلق من مجرَّد العِلْم فإنّ نقده وأسلوبه سيصطبغ تلقائيًا بالصبغة العلمية، التي لا حاجة لنا فيها إلى التملق، والتزلف،

والتظاهر بالسماحة، وإذابة الحقّ الثابت في المسائل العلمية والقضايا الفكرية والمبادئ المنهجية، كما لا حاجة لنا فيها إلى البذاءة، والقحة، والجهر بالسوء من القول إلّا في مواضع الانتصار النفسي دون اعتداء، وهذه الحالة لا علاقة لها بالمعارك النقدية التي نحن بصدد الحديث عنها.

التأهّل العِلمي هو الذي يحدِّد إن كانت القضية تستحق شيئًا من الحزم والحدّة والصرامة، أو كانت تستدعي اللين والتلطّف والرخاوة، فبالعلم تَبرز الحكمة في مراعاة الأسلوب المناسب للتخاطُب، تلك الحكمة التي يُدرَك بها أحوال المخاطَبين، وظروف الخِطاب. وهي الحكمة نفسها التي أسكتت الأثري في أخريات حياته حينما لم يجد بدًّا من النأي عن المعارك النقدية، مع بقائه مصلحًا باذلًا لأمته ما تجود به نفسه العظيمة من علم وفكر وأدب، عَبر ميادين أخرى رآها صارت أجدر بالاهتمام وصرف الجهد، علاوةً على ظروفه الخاصة.

ولقد خاض العلامة محمد بهجة الأثري معارك عديدة منذ بدايات كتاباته العلمية وإنشاءاته الأدبية واهتماماته التاريخية ونظراته السياسية وقناعاته العقائدية، وسأختصر الحديث في هذه المقالة عن بعض معاركه الأدبية والفكرية، التي تصلح أن تبرزَ مثالًا نستدلّ به على قيمة المطارحات التي كانت تجري في ميادين الصحافة العربية آنذاك، ونستدل به على النبوغ المبكر لهذا العلَم وحضوره بين عمالقة الأدب والفكر منذ أوائل شبابه، وبين يدَي شيوخه وأساتذته.

هَمُّ الإصلاح:

إنّ الدافع الأساس لجميع معارك الأثري هو دافع الإصلاح، فقد كان الأثري بفطرته يُعدُّ نفسه ليكون مصلحًا، حتى رُزق ذلك فصار مصلحًا اجتماعيًا، ومصلحًا أخلاقيًا، وكِلا هذَين الموضوعَين متَّصلَين بمجالات: الأدب والعلم والسياسة...

كان الأثري -كما روى عنه المطبعي- منذ فجره الأول يكتب أسئلة ويحاول الإجابة عنها:

مَن يُنقذ هذه الأمَّة؟

كيف غاب المصلحون ولم تغب روح الأمَّة؟

لمـاذا نتعلَّـم علم الأخـلاق ولا نطبّق شريعته في المجتمع؟

بل كان في المدرسة المرجانية الشهيرة ببغـداد وهو جالس بين يدي شـيخه علاء الديـن الآلوسـي في أثنـاء حديـثٍ بينهما عـن أوصـاف الأثـري التلميذ وشـأنه في المستقبل، يسأل الأثريُّ أستاذَه:

- هل العلم أداة تغيير؟

- نعم.

- إذن فلنبدأ بأنفسِنا.

ومـن لحظتئـذٍ عـزم علـى أن يكـون مصلحًـا، في كل مـا يدعـو إلـى الأفعـال الإنسانية والحضارية النبيلة.

ومَـن يسـتقرئ الأثـريَّ في كتبـه وفي أفكاره وفي أشعاره يجده يرتاد المقومات الأصيلة التي تجدد بنية الأمة وتحقق ذاتها بين الأمم القويـة، وتعيد إليها -بعد طول الضياع- مجدَها العريق وعزَّتها وسيادَتها وشأنَها الرياديَّ العظيم في إنشاء الحضارة الإنسـانية، وهذه المقومـات التي يرتادها وينتحيها دائمًا، تتشمل في عناصر ثلاثة:

١- عنصـر (اللغـة) وهي لسـان الأمة وجامعة الشمل وموحدته وموقدته.

٢- عنصـر (العقيـدة التوحيديـة) وما تنطوي عليه من المُثُل العليا، وفي طليعتها: مـكارم الاخـلاق، والأخـوة، والعدالـة، والمساواة في الحقوق والواجبات.

٣- عنصر (خصائـص الأمة العظيمة) التـي أُخرجـت للنـاس معلِّمـةً وهاديـةً، وليسـت جابيـةً أو مسـتغلِّةً ومسـتعلِيَة، فخرجـت بهذه الرسـالة العظمـى من بين الرمـال والصخـور إلـى أمـم الأرض، وكانت قلـة قليلة، لم يـزد عدها على مئة ألـف إنسـان إلا قليـلا، واسـتطاعت أن تبسـط عقيدتهـا مـا بين مشـرقٍ للشـمس ومَغيب، من بلاد الغال (فرنسا) إلى تخوم الصيـن خلال نحو ثلثي قـرن، وأن تؤول في العالـم أنبل حضـارة إنسـانية أخلاقية لا تـزال هـدف المفكّرين الإنسـانيين من جميع الأمم.

هذه هي محاور أفكار (الأثري) كما استقرأها حميد المطبعي، نجدها تفيض طموحًا وفكرًا سديدًا وسلوكًا مستقيمًا وعقيدة راسخة.

كان الأثري مطمئنًا إلى أنه يسلك السبيل الوحيد إلى التجديد والتطوير الحقيقي. ويقول: (نعم، أنا أعني التطوّر في الآراء والأفكار).

والتطور إلى الأعلى والأصلح والأنفع، هو هدف كل عالم مفكر مصلح، وهو غير التلاعب بالألفاظ وإكثار المَزاعم، وهو ذات التطور الذي يؤكد الأثري أنه: (يجب أن يكون من ضمير الأمة، ومن خاصّ طبيعتها وحاجتها في مختلف شؤون الحياة، بعيدًا عن الاجتلاب والتقليد تنفُّخًا باسْم الانفتاح والمعاصرة).

ومع هذا فإنَّ مِن الناس مَن يتّهم الأثري بالتعصب، فيردُّ عليهم بقوله: (نعم، أنا متعصب حقًّا عن بصيرةٍ وعلمٍ، ولكن للحق، وللخير، ولمقومات الأمة، وكلّ ما يعزّ الوطن وسيادته وكرامته، وما يسعد كلّ إنسان فيه حيثما عاش من أرضه الطيبة).

لهذا فإنّ الأثري لمَّا كتَب وتصدَّى لشعراء كبار أو مفكرين كبار، وناقش مقولاتهم ونظريّاتهم، كان يريد أن يصحح المفاهيم والدعوات النظرية بوعي المصلح الاجتماعيّ، لا بوعي الناقد الحِرَفيّ، فقد كان يبني نقده على منهج قائم على مبدأ الإصلاح، وكان الأثري إذا نقدَ يفتح معركة يُدخل فيها الخصوم والأصدقاء، ويجعلهم يتصادمون ويتناقضون، وتكون نتائج هذا التصادم هي الثمرة الروحية التي هي مبتغى الأثري، وتلك هي التي تُلبِّي غرائز المصلح مذ قام للمصلح تاريخٌ للنقد، وتكون المعركة التي يمهد الأثري لها في نقده هي معركة موازين، ليس فيها إلا قوّة العقل حينما يكون لهذا العقل عامل الإثبات القاطع والاحتجاج الصادق، وقوة القلب حينما يتنزه هذا القلب عن الضغائن والأحقاد وآفات الذات القاتلة؛ فمعاركه تُدار بأدبه الرفيع، بلسانٍ لا يخدش لسانًا آخر، وبمَوجةٍ من العواطف لا تورث إحساسًا بالدونية الآدمية، وبعينٍ بصيرة تعطي الحقَّ أو تأخذه، كما يراد للحق أن يعطى بحق، أو كما يراد للحق

أن يؤخذ بحق، هو إحساس رفيع، كان العرب القدامى من نقّادنا يسمونه (أدب المناظرة)، يتقابل فيه اثنان على قدر من الحجج العالية، وعلى قدر من الأبهة والعظمة والكبرياء، ولذلك نرى الأثري لا ينقد إلا أديبًا بقدره، ولا يشتبك إلا مع مَن صار اسمه تاريخًا أو منهجًا لجمهورٍ، أو جمهرةٍ، أو فئةٍ من مجتمَع القرّاء.

مع الزهاوي:

كان الأثري في الحادية والعشرين من عمره وكان حديث عهد بالدراسات العربية، حين نازلَ الشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي ونقدَ شِعرَه ورُؤاه.

لقد كان أول اتصال للأثري بالزهاوي في بداية عهد الاحتلال البريطاني لبغداد، وهو يافع، راه اول مرة في الدورة التعليمية التي استُحدثت لتخريج معلمين للمدارس الابتدائية، وكان الأثري قد دخلها مستمعًا لا يريد التوظف، فحضَر بعض دروس الزهاوي، فوجده يلقي على الطلاب مختارات من الشعر العربي بطريقته الخاصة من التفخيم والمطّ ورفع الصوت، مع القهقهة أحيانًا، ورنوّ عينيه من وراء النظّارة إلى الطلاب وقتًا ما، إظهارًا لاستحسانه الشعر الذي يتلوه عليهم، وقلّما وجده الأثري فسَّر شيئًا من غوامض ألفاظ هذا الشعر ومعانيه، ثم انصرف عنه ولم يعد إليه، ولا يَعرف سببًا لذلك.

وسألَ الأثريُّ والده عن الزهاوي، فاختصرَ له حياته بأنّه من أسرة عراقية محترمة، فيها رجال علم ودين ورجال أدب وشعر. ومِن أبنائها مَن برزوا بالإدارة ونالوا الدرجة الرفيعة في الدولة، وأثنى على والِد الزهاوي: الشيخ محمد فيضي أفندي الذي وَليَ إفتاء بغداد بعد شيخهِ الإمام المفسِّر أبي الثناء محمود شهاب الدين الآلوسي، كما أثنى على مَن عَرف من أبنائه، وذكَر منهم صديقه صالح أفندي، والذي أصبح ابنه الشاعر إبراهيم أدهم الزهاوي صديقًا للأثري من بعد، فقد كات تربه في السنّ، وقد عرف عن هذا الشاعر تقديسه للحق، ومن منطلقه هذا أخذ يفنّد كتاب عمه جميل صدقي الزهاوي: (المجمل مما أرى) في سلسلة مقالاتٍ نشرها في الصحف البغدادية أيام أخذ الأثريّ نفسَه بالانتصار لأحمد شوقي، وانتصب لتفنيد نقد الزهاوي لبعض شعره.

ودام اللقاء والنقاش بين الأثري والزهاوي بضع سنين، ثم تصافيا بعد لأيٍ، وأهدى الزهاوي مجموعة دواوينه إلى الأثري، وصار الأثري يلقى الزهاوي على الدوام في المكتبة العربية لصاحبها الحاج نعمان الأعظمي، وكانت ملتقى الشعراء والمتأدبين، ثم في مجلس الدفتري أيام الجمعات.

وقد تحدث الأثري عن طبيعة الزهاوي بشيء من النقد قائلًا:

"وجدته حفيًّا بنفسه ومعتدًّا بها وبشعره وفلسفته، يتحدث عنها في شبه حالة طفولية، ويغمز في أثناء أحاديثه الشعراء الكبار، كأنه يقول: أنا وحدي فارس الحلبة وسباقها، وشاعر العصر، وقريع أهل الأوان. ويُحب أن يُذكر دائمًا، فكان في كل يوم ينظم بيتين كيفما اتفقا له، وتنشرهما له جريدة العراق في مكانٍ عالٍ من الصفحة الأولى على حين كان الرصافي على النقيض". فقد ذكرَ الأثري أن الرصافي لم يعتد بنفسه في مجالس الأدب، ولا كان يروي شيئًا من شعره في هذه المجالس، وإن لحظ ذلك في أشعاره وهو يفخر بنفسه وبشعره فذلك شيء طبيعي قلّما سَلِم منه شاعر في زماننا ومنهم على وجه التخصيص أحمد شوقي وعبدالمحسن الكاظمي، وهما من عصر الرصافي والزهاوي.

وللأثري عدة مواقف أدبية نقدية خاضها مع الزهاوي، منها: أن إسماعيل صبري باشا -الشاعر المصري- كان قد توفي في آذار ١٩٢٣م، وآلمت وفاتُه صديقَه وصفيَّه وعشيرَه أميرَ الشعراء أحمد شوقي، فرثاه رثاءً حارًّا في قصيدة فائية من الشعر العذب، فسارت القصيدة في البلاد العربية مسير الشمس، ونشرتها الصحف العربية ومنها صحف العراق، فاستبدّت بإعجاب الناس كعادتهم في الإعجاب بشعر هذا الشاعر العظيم في تلك الحقبة، إلا أن الشاعر جميل صدقي الزهاوي -كما يقول الأثري- أبت عليه منافسته إلا أن يحاول إسقاطها من أعين الناس، مع أنه من المعجبين بها كذلك في باطنه، فنشر في جريدة العراق أربع مقالات في نقدها نقدًا نحويًّا ولغويًّا بتوقيع (ناقد!).



وسرعان ما اكتشف الأثري أن هذا الناقد هو الشاعر الزهاوي، وأيد الواقعُ أنه هو لا غيره، ثمّ قفّى على ذلك فنشرَ باسمه الصريح قصيدة على وزن قصيدة أحمد شوقي ورويها في رثاء إسماعيل صبري باشا هذا، على سبيل المباراة!

يقول فيها الأثري: "إنها دون قصيدة شوقي بمراحل، وفي حسبانه أنه جلّى عليه وتقدّمه، ولن تكون النائحة المستأجرة كالثكلى". ويؤيّد الأثري في هذا كثير من معاصريه.

قرأ الأثري مقالات الزهاوي الأربع، فوجد العلم والإنصاف قد جانبا كاتبها، وكان من المعجبين بروائع أحمد شوقي، فدفعه حب الحقيقة في شوقي إلى أن يفند هذا النقد الذي كتبه الزهاوي، دفاعًا عن الشعر الجميل وانتصافا لصاحبه من ظالمه والمفتئت عليه.

ودفع الأثري نقده إلى جريدة العراق نفسها، فنشرته في سلسلة متتابعة، أزعجت الزهاوي، فاستنصر على الأثري أحدَ أصحابه، فاندفع هذا -ولم يرغب الأثري في ذكر اسمه لأدبه الجم- يكتب في صخب، حتى زعم في محاولة منه لهزيمة الأثري وخذلانه أنّ ما يكتبه الأثري إنما هو من إملاء أستاذه محمود شكري الآلوسي، يقول الأثري: "فما زادني افتراؤه إلا ثقة بنفسي".

ثم يقول الأثري: "كان الزهاوي قد نشر فائيته الركيكة تلك، فانكفأت عليها بالتحليل والنقد وأبلغت النكاية به"، فثقل الأمر على الزهاوي، فتحامَل على نفسه إلى صاحب الجريدة بِحَجْب هذه السلسلة عن القرّاء، فرجا رزّوق غنّام من الأثري أن يرحم شيخوخة الزهاوي، فيقف في نقده حيث انتهى؛ فلم يجبه، وخرج بالصمت عن لا ونعم، وتابع الرد عليه في صحيفة العاصمة من الصحف السياسية اليومية، فوسّعت صدرها لما يكتبه الأثري، وطفقت تنشر له ما يكتبه في مناقضة الزهاوي تحت عنوان: (بين أديبين) قطعًا قصارًا؛ فاستشاط الزهاوي من هذا العنوان، اذ كان في نحو السبعين من عمره وقد ذاع صيته، فكيف يقارن بطالب ناشئ في الحادية والعشرين من العمر؟!

وقد بلغت مقالات الأثري في جريدتي العراق والعاصمة نحو ٢٩ مقالة، فيها

نبرة الحماسة والكبرياء، وفيها تنبأ الأثري بمستقبله، وفيها مهّد لأن يدخل الحلبة بجدارة اللقب.

وأما الموقف الثاني الذي اشتبك فيه الأثري مع الزهاوي، فهو نقده اقتراح الزهاوي تجريد القصائد من التزام القافية، أو ما أسموه بـ(الشعر المرسل). والقافية عند الأثري هي رنين الإيقاع في الفن الشعري. وحُجة الزهاوي في اقتراحه، أنّ القافية قيد يكبّل الشاعر عن الانطلاق، وكانت حجة الأثري أن آلافًا وآلافًا من الشعراء العرب ملؤوا الدنيا منذ مئات من السنين بآلاف لا تحصى من القصائد الطوال الرنانة التزموا فيها هذه القوافي التي هي رنين الإيقاع الذي ينتهي عنده البيت الشعري، فما قيّدتهم عن الانطلاق ولا شَكَوا منه ضيقًا ولا حرجًا. ثم حجة الأثري أن الزهاوي نفسه عاش عمره ينظم المقطوعات والمطولات المقفاة، ولم يكن بها ضيّقًا ولا عاجزًا.

وقد أرفق الزهاوي اقتراحه هذا بقصيدة (مرسَلة)، وهي في رأي الأثري: "باردة ما لبث الزهاوي نفسه أن ارتدّ عنها، شعورًا منه بتفاهتها". ونشر الزهاوي رأيه في صدر صحيفة المفيد لصاحبها الكاتب السياسي إبراهيم حلمي العمر، وقد طلب العمر من الأثري أن يبعث برأيه إليه في هذه المسألة، فكتب إليه الأثري، ومما كتبه قوله: "إن الشعر فن صعب، لا يقوى عليه إلا من رزقوا الحس الشعري المرهف، وملكوا آلته وأداته من اللغة الواسعة ومَلَكة البيان... وهو ككل الفنون له ضوابط تحكمه، منها القافية التي يراد التخلص منها، وهذه القيود أو الضوابط التي ميزت هذا الضرب من الكلام المتميز، والتي لا يقوى عليها الضعفاء في حبك الشعر أربعة أركان لا بد من توافرها في وقتٍ معًا، وهي: اللغة السليمة الصافية، والمعنى الكريم في الخيال الرفيع، والوزن الذي هو إيقاعٌ نفسيٌّ داخليٌّ يتنوّع بتنوّع الإحساس، والقافية التي هي رنين هذا الإيقاع الذي ينتهي بانتهاء البيت، أمّا اللفظ فهو جسم روحه المعنى، وارتباطه به ارتباط الروح بالجسم، فإذا اعتور أحدهما أقل اختلال، اختلّا كلاهما وخرّا صريعَين، وأما الوزن فهو أعظم أركان الشعر، وهو يستدعي القافية ويجلبها ضرورةً، وليست القافية



بالجالبة للمعنى، ولا المعنى بتابع للقافية كما يتوهَّم. فإذا عَري الكلام من أحد هذه الأركان المتلازمة، فلا يُعدّ من الشعر، ولا يكون له أقل وقْع في النفوس، وإن كابر المكابرون، وركبوا رؤوسهم في المماراة".

لكن هل سكتَ الزهاوي عن هذا الذي كتبه الأثري؟ وهل انقطع عن كتابة الشعر المرسل؟ يقول الأثري: "ولم يُثَنِّ الزهاوي على واحدَتِه الّتي قدّمها نموذجًا خديجًا، وسكتَ إلى أن مات".

ولكنني أرى -كما رأى حميد المطبعي من قبل- أنّ الزهاوي أو غيره من جيله أو من أجيال ماضية أو أجيال آتية لهم الحق في ابتكار ما يرون من شكلية شعرية تنسجم وأذواقهم وقوانينهم المرحلية، فإن نجحوا، فهو خير لتجربة الشعر العربي، وإن أخفقوا فهي تجربة، المهم أن يبقى الشعراء يدافعون عن حرياتهم الإبداعية. ولستُ في هذا القول مدافعًا عن الزهاوي وتجربته البتراء ودوافعه الغامضة.

وحدث موقف ثالث بين الأثري والزهاوي في سنة ١٩٢٧م حول مرثية الزهاوي للزعيم السياسي المصري المشهور سعد زغلول وهي من ١٤ مقطوعة، في كل مقطوعة سبعة أبيات على قافية غير قافية أخواتها، كان الزهاوي أنشدها في حفل التأبين الذي أقيم له ببغداد بعد أربعين يومًا مرّت على وفاته، ونشرتها له بعض الصحف اليومية. وقد وجد الأثري في هذه المرثية من عيوب الصناعة والفن ما يبتدئ بابتدائها ولا ينتهي إلا بانتهائها -على حد قوله-، فكتب في تحليلها مقالًا ونشره في جريدة العالَم العرَبي في ٢٢-١١-١٩٢٧م، ومما قاله في تحليله الذي أقام فيه الزهاوي وأقعده:

"قال الزهاوي في مطلع مرثيته:

مات سعدٌ، فما عسى أن تقولا

فيه حتى تهز جمعًا حفيلا؟

فقد نعى فيه سعدًا إلى الناس بعد أربعين يومًا مضت على وفاته! ولم يَبق مَن لم يبلغه نعيه ولو كان في مطلع الشمس أو مغربها، اللهم إلا مَن كان لا صِلة له بهذا العالَم... ثم اضطرب وتحيّر، لا يدري ماذا يقول فيه، فرضي لنفسه أن يصفها بالعجز والعيّ. ثم ذكر في الشطر الثاني أنّ غايته من رثاء سعد هي أن يهزّ الجمع الحفيل الذي يحتفل بتأبينه لا أن

يقوم بواجب الوطنية، وهذا كما ترى في منتهى السخف، وفيه من البرودة والفتور ما أربى بهما على بيت أبي العتاهية المضروب به المثل في البرودة، وهو قوله:

مات الخليفة أيها الثقلانِ
فكأنني أفطرت في رمضانِ!

وليته إذ وقع في هذه العيوب المعنوية سلِم من عيب آخَر فنّيّ يُسمّى التصريع المعلَّق؛ فإن البُلغاء يستحسنون أن يكون كل مصراع في التصريع مستقلًّا بنفسه في فهم معناه، غير محتاج إلى صاحبه الذي يليه، مع ذكر فاصلة بينهما دالة على انقطاعه عنه، ويستقبحون أن يكون على صفة بيت الشيخ الزهاوي معلّقًا فيه المصراع الثاني بالأول. وهو بعد كل هذا معجب كل الإعجاب بهذا المطلع، أو بالأحرى بالنعي الذي في أوله (مات سعد)، حتى لقد أعاده على المسامع سبع مرّات بلا انقطاع! كأن الناس صم لا يسمعون، أو كأنهم لم يبلغهم نعيه قبل أربعين يومًا من إنشاده هذه "المنظومة"، بل لقد عاد في المقطوعة الثانية فقال في أولها:

جعت مصر بالزعيم الجليل
بابي الشعب كله زغلولِ

وعاد في الثالثة فقال:

فوجئت مصر بالنعي، فكادت
أرضها من هول المصاب تمورُ

وفي الخامسة مرتين:

بين سعد ومصر جد الفراقُ
ليس هذا الفراق مما يطاقُ
مات سعد ولم يمت ذكر سعدٍ
فهو باق له القلوب رواقُ

وفي العاشرة:

استراح الرئيس بعد العراكِ
بعد ضرب صعب وطعن دراكِ

فكأنّ الرجل أصبح ناعية ينعي إلى الناس الأموات بالأُجرة. وقد سمع أن الشاعر في الجاهلية كان إعلانًا لقبيلته، فأحبّ هو أن يكون ناعية لأموات أمّته!

وقال بعد ذلك البيت:

بالرئيس الهمام بالمنقذ الأكـ
ـبر للشعب في الزمان الوبيلِ

ثم ناقضه فقال:

ما بلغت المني لمصر ولكن
كنت تمشي على سواء السبيلِ

وكرره أيضًا فقال:

أنت حررت مصر إلا قليلا
آه لو تم ذلك التحرير!

ثم أعاده للمرة الثالثة فقال:

عاقك الموت أن تحقق وعدكْ

غير نـزرٍ، وكنت تبـذل جهدكْ

فعلى هذا أنّ سعدًا لم ينقذ مصر بعد، بل لم يبلغ المنى لها؛ فأي المعنيين أحق بالاعتبار في نظر الناظم؟ وما وجه الإعجاب بهذا المعنى وإعادته ثلاث مرات؟".

إلى آخر النقد الذي عرّى فيه الأثري مرثية الزهاوي، ليس في شعر المرثية فحسب، وإنما في فكر الزهاوي في هذه المرثية، سياسيًّا واجتماعيًّا أيضًا.

ومن يقرأ تلك الصحافة يومئذٍ يجد معركة الأدباء حامية الوطيس، فيما بينهم وفيما بين أفكارهم، معركة ترتقي إلى مستوى تثبيت القيم النقدية، في كل شيء من هذه القيم، وفي كل شيء من هذه المبادئ التي تحرّض على الوعي الأخلاقي، ولا ريب في أنّ الأثري كان عنوانًا كبيرًا في هذه المعركة، لا يبالي بشيءٍ من قانون وضعي، ولا يثأر، ولا يُبغض ناقدَه أو منقودَه.

مع الرصافي:

من الرواد الذين تصدى لهم الأثري: الشاعرُ الكبير معروف الرصافي، حيث عنّفه بمقالة أو قصيدة أو حديث مجلس، وحيث أثار عليه قوم المَجالس الأدبية. لكن ما حقيقة قصة الصراع بين الأثري والرصافي؟ وكيف بدأت الفتنة بينهما؟

قبل أن نعرض لهذا الصراع يحسن أن نعود إلى بداية العلاقة بينهما؛ فأول صلة الأثري الأدبية بالشاعر معروف الرصافي نشأت عن طريق السمعة، فمنذ كان الأثري طالبًا في المدرسة السلطانية، آخر العهد العثماني، حَفِظ هو وطلاب السلطانية نشيدًا من شعره كانوا يرتلونه كلّ صباح، وما زال يتذكر منه قوله:

نحن خوّاضو غمار الموت كشافو المحنْ

ما لنا غير اكتساء العز أو لبس الكفن

وظلّ اسم الرصافي عالقًا في ذهن الأثري يتابع إنجازاته الأدبية، ولا سيما بعد أن علِمَ أنه خريج شيخه محمود شكري الآلوسي قديمًا.

ثم لمّا عاد الرصافي إلى وطنه سارعَ الأثري إلى التقرب منه والاحتفاء به، وكتب قصيدة في مدحه، ولكنه لم يستطع إنشادها في يوم تكريمه، بسبب ما كان من جفوة بين الرصافي وأستاذهما الآلوسي،

فآثر المحافظة على علاقته بأستاذه، فعَلِمَ الرصافي بالمر بعد ذلك، فقدّر شعورَه نحوه، وحرصه على علاقته بأستاذ الطرفين.

وفي وصف الرصافي يقول الأثري: "والحق أنّ الرصافي كان مع عنجهيّته سليم الطويّة، قلّما يحقد على إنسان، إلا من خصلتين: أن ينال من شاعريّته، وأن ينال من دينه فيرمى بالكفر والزندقة".

ثم حدثت المعركة بين الرصافي والأثري أول العهد في تعارف الأثري والرصافي أيام كانت تصدر باسْم الرصافي جريدة الأمل، وكان القوّام الحقيقي بكتاباتها إبراهيم حلمي العمر، وقد عاشت ثلاثة أشهر ثم احتجبت. وكان الأثري إلى هذا التاريخ سِلْمًا مع الرصافي، يقدّر شاعريته وبلاغة شعره. وإذ بالرصافي يرسل في قضية الحجاب كلامًا يراه الأثري مجافيًا للحقيقة والصواب، أثار عليه أناسًا، ولكنهم لم يسلكوا معه سبيل الحوار، فكفّره بعضهم، وشتمه بعض آخر، ووقف منه الأثري الموقف الذي يستدعيه منطق المحاورة العلمية، فكتب في المسألة مقالًا مسهبًا، وناقشه فيه نقاشًا معزّزًا بأدلة كما تقتضيها المحاورة العلمية، وبعثَ به إلى جريدة الاستقلال، فرحبت به وقدّرته فنشرته في موضع الافتتاحية؛ فبادر الرصافي فنشر في اليوم الثاني في جريدته كلمةً بدأها بما يشي بغضَبه، ولكنه لم ينسَ في سَورة هذا الغضب أن يشيد بالأثري، ويذكر: لُحمة الأدب الّتي تجمع بينهما، وما يتوقعه له من مستقبل زاهر. ومما قاله في هذه الكلمة أيضًا: "إن البحث في هذه القضية الحجاب والسفور قد أصبح مفروغًا منه، ولم يبقَ في قوس الجدال فيها منزع".

ولم يقتنع الأثري بهذا الرد، ويعلق عليه في حينها، ولكنه قال بعد مضي تلك الحقبة: "إن الرصافي كان مرهف الحس، وعاطفته أغلب عليه من عقله، ولو تساوَيا عنده في القوة وتوازَنا لكان رجلًا آخر أكبر شأنًا ومنزلة. وكان في أحيانٍ كثيرة ينطق عن الهوى، ولذلك ندّت منه شطحات جانبت السداد وحكمة العقل".

ويورد الأثري أمثلة عديدة في جدله مع الرصافي، فمرة نشر الرصافي مقطوعة في قضية المرأة، قال في مطلعها:



لـم أرَ في الأقـوام مـن مَظلمَـه
أحـق بالرحمـة مـن مسـلمَه
مـظـلـومـة حـتـى بـمـيـراثـهـا
محجوبـة حتـى عـن المكرمَه

فتصدى له (الأثـري) قائلًا: "أصحيح هـذا الذي بزعمه الرصافي من حال المرأة في التشـريع الإسـلامي، وهو الذي كرّمها وأعزّهـا وأغلاها وأعلى شـأنها، وجعلها القهرمانـة وعماد البيت والأسـرة، وصنو الرجل في الحقوق والواجبات؟".

وفي مكان آخر يقول الأثري: "والرصافي يعلـم حق العلـم أن السـيدة والدته، التي أقـضّ فراقـه لهـا مضجعَه، فأرسـل إليها حنينه في بعض شـعره الجميل، أنّها كانت تسـعد من أبيه بكثير من التوقير والتبجيل كما كانـت أمهاتنـا وجميع نسـائنا يلقين مثل ذلك مـن آبائنا في كل مـكان وزمان، وهـنّ مرعيّـات ومكفـولات علـى خيـر وجوه الكفالة، وكانت أمه من الصالحات كما ذكر لي أسـتاذه وأستاذي، ولعلها هي التـي ألهمته مـن كرامتها علـى زوجها أن يقول في شبابه قصيدته الخالدة:

هـي الأخـلاق تنبـت كالنباتِ
إذا سـقيت بمـاء المكرمـاتِ
تقـوم إذا تعتهدهـا المربّـي
علـى سـاق الفضيلـة مثمراتِ

فأيـن ظلت دعواه من هـذه الحقيقة في التربية العربية الإسلامية؟ إنه الهوى".

ويذهـب الأثـري إلـى أن منطلقه إلى نقـد الرصـافي لم يكـن منطلقًا شـخصيًّا، والرصافي قدْ بَلا ذلك من أخلاقه، ودفاعه كان دفـاع العقـل، فـلا داعـي للتقاطـع والجفـاء إن كان النقـد نقد مبـادئ، وهنا يستشهد بقول أحمد شوقي:

في الـرأي تضطغـن العقـو = لُ وليس تضطغن الصدورُ

مع الزيات:

جاء أحمد حسـن الزيـات إلى العراق سـنة ١٩٢٩م، عقـب رحلـة الأثـري مع الوفد الذي أوفده رئيس الوزراء في العهد الملكـي ياسـين الهاشـمي، فاسـتقدموا بعض الأساتذة من مصر إلى العراق، كان من بينهم الزيات، فدرّس في دار المعلمين العالية، وسرعان ما انتشر صوته وقلمه في صحافـة العراق، فكتب القصص المثيرة، ونظـم التعليقـات التاريخيـة في مشـاهير المؤرخيـن، وعقـد الصـلات مـع رواد

اليقظة الفكرية كطه الراوي، والزهاوي، والرصافي، والبصير، والشبيبي، وجلّ هؤلاء كان يحترم الزيات، لصناعته في الأسلوب البلاغي، ولأهمية قلمه في حركة النهضة الثقافية في الوطن العربي.

وفي كانون الثاني ١٩٣٠م كتب الزيات قصة تحت عنوان: "مأساة الشاعر وضّاح اليمن" ونشرَها في جريدة البلاد، فكان لهذه القصة وقع وصدى في منتديات الأدب والتاريخ في بغداد، وشغلت الأذهان، وعلّق عليها أساتذة وأكاديميون وباحثون، وبعضهم تصدى لهذه القصة، ففند فيها الحوادث، بل نفوا هذا الشاعر (وضاحًا) من الوجود، وكان في مقدمة الرادّين عليه العلامة محمد بهجة الأثري.

والقصة تدور حول دعوى علاقة شاعر يماني اسمه وضاح اليمن، بزوجة الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي امتدت في زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند فتركستان فأطراف الصين، وقتل الخليفة له حين بلغه نبأ ذلك. وتزعم القصة أن زوجة الخليفة كانت تعشق وضاحًا، وتجتمع به على غفلة منه تطارحه الغزل ثم يطرفها الخليفة بجوهر نفيس يحمله إليها خادم له ومعه كلمة رقيقة؛ فيمضي الخادم إليها، فلم يجدها، ثم يعلم أنها في بعض غرف القصر، فيدخل عليها فجأة، فتحسّ بخطاه دون الباب، فتبادر إلى إخفاء وضاح فتدخله في صندوق وتغلقه، وحينئذٍ يدخل الخادم فيرى أواخر جسم وضاح تغيب تحت الغطاء، فيؤدي إلى الملكة الرسالة ويدفع إليها الجوهر ثم يستوهبها بلهجة الخبيث الماكر حجرًا من هذا الجرهر، فتمتعض منه، فيتوارى؛ فيرتد إلى سيده الخليفة بجلية الأمر، فيأمر سيده به فتُوجأ عنقه، ثم يَلبس نعليه، ويدخل على زوجته فيجدها جالسة تمتشط في تلك الغرفة، فيجلس على ذلك الصندوق، وما يزال بها حتى يأخذه منها، ثم يأمر أن تُحفر بئر، فيقذف الصندوق فيها، وهو يقول: "إنه بلغنا شيء إن كان حقًا فقد كفّنّاك ودفنّا ذِكرك وقطعنا أثرك إلى آخر الدهر، وان كان باطلًا فقد دفنّا الخشب، وما أهون ذلك"!

وكان لقصة الزيات هذه -كما يقول الدكتور محمد رجب بيومي- بعد حين



في مجلة الثقافة المصرية، رنين في بلاد الرافدين، وكان الأستاذ الكبير محمد بهجة الأثري أحد الذين عارضوه، فقد ابتدأ نقده بإطراء رائع لبلاغة الزيات، وثناء مستطاب على بيانه، ثم عمد إلى اللباب فاستكثر على مثل الزيات أن يصدّق أراجيف الشعوبيين، وناقش رواة الحادث مناقشة من يراهم موضع الاتهام. ولكن أبلغ ما تَهَدّى إليه الأثري في نقده هو ما وُفق إليه من دفاع منطقي محكَم لا سبيل إلى نقضه نقضًا عقليًا.

وقد ردَّ الزيات على نقد الأثري فقال: "ولعلك أخذت عليّ ما أخذت لأنك حسبتني كتبتُ ترجمة تاريخية، أو حرّرت حادثة واقعية، ولم يدُر في خلَدي حين قصصت نبأ هذا الشاعر البائس إلا أنّ أصوّر الحياة البدوية والبيئة العربية في أقاصيص أنتزعها من الأساطير أو مما يشبه الأساطير، فأنا في هذه القصة، وفي ما نشرتُ من أمثالها، قَصصيٌّ لا مؤرِّخ، وبين القصص والتاريخ رحم جذّاء، وعداوة مستحكمة، لأن التاريخ يروي ولا يبتدع، ويحقق ولا ينسّق، ويصدق ولا يمين. أما القصة فإنها تختلق وتبالغ، وتؤثر بالصور الكلامية الخلابة، ثم ترتب الأحوال وتسوق الحوادث على حسب الخيال الممكن لا على حسب الأمر الواقع".

ثم عقّب الأثري بمقالة أخرى، كلّها كانت دفاعًا عن آرائه، فقال: "إن الحق الذي لا مرية فيه هو أن كثيرًا مما نجده في (الأغاني) وأشباه (الأغاني) من كتب الرواية والنقل، إنما هو سمَر وقصَص مكذوب منتحل، وليس مما يسوغ في دين العلم والنقد أن ينتزع من الأساطير المرقشة أقاصيص يراد منها تمثيل حال الأمة الروحية والخلقية، لأن الكذب الذي يوضع للهدم لا يمثّل الواقع الذي يقرّره العلم".

وقد سكت الزيات فلم يعقب، وتلك المساجلات التي دارت بين الأثري والزيات جمعت وطبعت في بغداد سنة ١٩٣٠م، في كتاب ذاع صيته في أقطار العرب.

وأعجب العلامة محمد كرد علي -رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ومؤسسه- بهذه الحجج العقلية التي حققها الأثري في هذا الكتاب، فأنشأ

كلمةً طريفة في تقريظ الردّ والثناء عليه، وبعث به إلى الزيات في القاهرة لينشره في مجلته الرسالة، فأغفله الزيات وأهمله، فكبر ذلك على العلامة محمد كرد علي، ووجد في صنيعه هذا مجافاةً لروح النقد والعلم، فكان ذلك بداية التجافي بينهما.

ثم كتب كثيرون ينتصرون للأثري ويدافعون عن معركته، وعلى الرغم من حدة أوار هذه المعركة، ظلّت العلاقات الروحية والفكرية تزدهر بين الأثري والزيات، ولا سيّما وقد أخذ الزيات ينشر للأثري قصائده في صدر مجلته الرسالة. ثم مما كان بعد من حوارهما في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، كل سنة، حوارًا ينمّ عن ألفةٍ ومودةٍ عميقةٍ وتبادلٍ في الأفكار.

مع الصحافة العربية:

خرج الأثري من السجن في أواسط الأربعينات، حيث سجن على خلفية الدعوة إلى تحرير العراق من المحتل مع عدد من أحرار الفكر والأدب والسياسة. خرج الأثري وكلّه محاضرة في استمرار المواقف المبدئية، بل زادها روحًا وثّابة في التحدّي، فأينما كان يحلّ ركبه نراه يحاضر في الوثبة الفكرية، وآيًّا كانت سمات محاضرته أو عنوانها، فإنه كان يمجّد حرية التجديد، مع أنه الأثريّ الذي ينزع إلى الأصالة واتباع آثار السلف الصالحين، وهذا لا يناقض التجديد في الحقيقة، لأن الدعوة إلى التجديد هي بحدّ ذاتها منهجٌ أثريٌّ، منهجٌ ربّانيٌّ إنسانيٌّ.

وفي محاضرة للأثري حاضَرَ بها في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٥١م، كان ممثلًا للعراق في هذا المؤتمر الذي عقدته الجامعة الأمريكية تحت عنوان: (مؤتمر الدراسات العربية)، كان عنوان محاضرة الأثري: (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) أصدرَها لاحقًا في كتاب بالعنوان نفسه.

وتدور محاضرة الأثري حول الأفكار التي ظهرت في القرنين الأخيرين في بقاع العالم الإسلامي من الساحل الأطلسي الى أرخبيل الملايو والصين. وقد أدى ذلك بأمانة وحرية وصدق، كما جاء على لسان الصحافة العربية آنئذٍ، فقد أشادت بالأثري ممثل مدرسة بغداد التراثية. على الرغم مما أَخذت عليه بعض الأقلام

الصحفيّة، أن الأثري جاء بأفكار متمّمة لما جاء به جمال الدين الأفغاني أيام السلطان العثماني عبد الحميد الثاني.

وعند عودة الأثري إلى بغداد قُوبل بالتحية من صحافة القِطر لما أبداه من تحدٍّ في الموقف المبدئي الذي أرادت الجامعة الأمريكية أن تشوِّهه وتضلِّله، وتجعل موقفها هو السائد في المؤتمر، وقد سألَ محرر جريدة الزمان العراقية العلامةَ الأثريَّ عمَّا نسبتْهُ بعضُ الصحف اللبنانية إليه من قيامه في ذلك المؤتمر بالدعوة إلى ترويج المبادئ الّتي دعا إليها الأفغاني، وعن اتهام صحيفة أخرى له بالترويج لبعض الآراء الأخَر، فأجاب: "إن هذا كان مثار استغرابي، لأن موضوعي كان موضوعًا تاريخيًّا خالِصًا، سجَّلتُ فيه الأفكار الإصلاحية والاتجاهات الجديدة في العالم الإسلامي الّتي ظهرت في القرنين الأخيرَين، لم أجعل منه موضوعًا للدعاية لأيّة فكرة، وإن كنت أبدو متحمِّسًا للإصلاح والتجديد والانبعاث. وليس من طبيعة البحث في مؤتمر علميٍّ بحْت أن يكون ميدانًا لما أرادتْ بعضُ هذه الصحف أن تنسبه إلى أغراضٍ قَصدَتْ إثارتَها على حِسابي".

وقد كان من شهود هذا المؤتمر من كُتّاب مصر وغيرها: الكاتب المشهور أنور الجنديّ، فأشارَ -في مقاله عن الأثريّ- إلى محاضرته هذه ومبلغ صراحته فيها؛ فقال: "هذا واحد من هذه المجموعة الّتي قاومَتْ الغزوَ الفكريّ والتغريبَ والشعوبيةَ دون توقُّف في حملاتها الضارية على اللّغة العربية والتاريخ الاسلامي والأدب العربي.. فإذا أردتُ أن أستحضرَهُ أمامي في كلماتٍ، قلتُ: الرجل الشجاع الذي دعته إحدى الدوائر الأجنبية للكلام، فلمّا ذهب إلى هناك، قال لهم كل شيء دون تهُّيب أو مجاملة، وتركَهم فاغِري الأفواه! هذا مفتاح شخصيته: كلمة الحق يقولها دون أن يخشى شيئًا".

هذا هو مثال العالِم الحق، بل مثال كل مصلح مخلص واعٍ يحمل همّ أمّته.



الشعر في صدر الإسلام وأثره في الدعوة الإسلامية

خالد مطر حرز

لا شك أن لكل أمة أو شعب فنًّا أو صنعة يفتخرون بها ويشتهرون بها ويعظمونها. وقد يشتهر القوم في البناء وروعته وعظمته كما في العصر الفرعوني والبابلي، وقد يشتهرون بالفلسفة كما عند الشعب الصيني القديم واليونان والرومان، فإنّ العرب القدماء اشتهروا بفنّ الأدب وخصوصًا الشعر، فكان الشعر ديوان العرب -كما قيل-، وبلغوا فيه مبلغ المفاخرة به لأنهم أتقنوه إتقانًا لا يجاريهم فيه أحد، حتى أنهم وصلوا مرحلة أن جعلوا له أسواقًا شعرية، وهي بلغة عصرنا مهرجانات شعرية، وهذا كله قبل الإسلام.

وهذه الأسواق كانت في الأصل أسواقًا تجارية أو اقتصادية تعرض فيها بضاعتهم وتجارتهم وتتناسب زمنيًا مع فترة الحج، وغالبًا ما تعقد تلك الأسواق في الأشهر الحرم حيث تضع الحرب أوزارها ويشعر التجار بالأمن والأمان على أنفسهم وأموالهم، وفي تلك الأسواق يعرضون بضاعتهم حضرًا وبدوًا وأعرابا، عربا وغير عرب من أحباش وفرس وروم ونبط، وكان مهرجانًا شعريًا يأتي إليه الشعراء من مختلف أنحاء الجزيرة والشام والعراق يلقون الشعر بلهجة قريش، وقد منحها

ذلك السيادة على القبائل العربية، وقد امتدت تلك السيادة إلى لهجة قريش في الإسلام عندما نزل القرآن الكريم بلهجتهم أو بلغتهم، كما كان المحكمون يأتون إليها من مختلف أنحاء الجزيرة للفصل بين المتنافسين في الشعر والأدب، ومن أشهرهم: النابغة الذبياني، ومن تلك الأسواق: سوق عكاظ جنوب مكة وكان العرب يرتادونه عشرون يومًا السنة في شهر ذي القعدة، وأيضا أسواق منى وذي المجنة وذي المجاز قرب منى وعرفات، وسوق بصرى في الشام، وأسواق حضرموت وصنعاء وعدن في اليمن وغيرها. وكان يعرض في تلك الأسواق الشعر الحَولي المحكّك الشعر الذي جوّده صاحبه حولًا كاملًا، إن ذلك الشعر هو مَن أسّس اللغة العربية فكرًا وأسلوبًا وإيقاعًا ونظمًا، وكان الشعراء وقتئذٍ يقطعون البِيد والأودية ويصيبهم الظمأ والنصب والمخمصة لينشدوا شعرًا مجلجلًا يحفظه الناس ويتمثلونه في أنديتهم، ويردده الرواة، فيرفعون به بيوتًا ويهدمون أُخَر على رؤوس أصحابها.

وكان من أشهر شعراء الجاهلية الذين كانت لهم مكانتهم في أقوامهم وكانت لهم مكانتهم الشعرية عند العرب بقصائدهم من جمال نظمها وفصاحتها وطولها حتى أن العرب اختاروا منها سابعًا ويُروى أنهم علقوها على أستار الكعبة ويسمون قائليها أصحاب المعلقات وهم: امرؤ القيس وطرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى ولبيد بن ربيعة وعنترة بن شداد العبسي وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة اليشكري والنابغة الذبياني وقيل إنهم أكثر من ذلك. لذا عاش كثير من أشعارهم إلى يومنا هذا لأن فيها إنسانية، ولغة، وصورًا، وإيقاعًا وتجددًا، وغرابة، وفكرًا، وحياة. فلا يظن ظان أن القرآن تحدّى غير الشعراء والبلغاء أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة واحدة من مثله. فقد كانوا هم المشتغلين بالشعر وصياغة الفكر بلغة بيانية مدهشة، الأمر الذي جعل القرآن من بعد ينفي عن الرسول ﷺ الشاعرية وعن القرآن الشعرية. ولم يكُ أكثر شعراء العرب آنذاك إلا سادة قبائلهم وفرسانها وكبارها.

والشعر هو بمثابة الإعلام في يومنا هذا وهو كذلك. فقام الشعر بدوره أيضًا في هجاء النبي ﷺ ودعوته، وفي المقابل حثّ أصحابه على هجاء شعراء المشركين الذين لم يؤمنوا بدعوته إلى الإسلام كعمل إعلامي مضاد للدعوة الإسلامية، فما كان من شعراء المسلمين إلا أن ينهضوا وينبروا لهذه المهمة بعدما استقرت الدعوة بمقرها الآمن وإقامة دولتها في المدينة المنورة المباركة وكان رسول الله ﷺ يعلم تأثير تلك الوسيلة الإعلامية في الوصول إلى الناس مشركهم ومسلمهم فكان يحض شعرائه ويقول لحسان مثلًا: «اهجهم وروح القدس معك»[(١)] ولذلك احتاجت الدعوة الإسلامية إلى شعراء يدافعون عن الدعوه الإسلامية ويذبون عن رئيس دولتها رسول الله ﷺ لأن العرب المشركين في ذلك لم يكونوا يعترفون بالقرآن أنه كلام الله لأنهم لم يصدقوا بنبوة رسول الله. فهاهنا الشعر الذي يفهمونه جيدا كان عاملا مهما في الرد على من يهجون الدعوة وقائدها ﷺ يفحمونهم ويردون عليهم ويشحذون همم المسلمين في المعارك والمناسبات وفي مدح رسول الله.

وأستطيع أن أقول إن أغراض الشعر في تلك المرحلة كانت تشتمل على:

١- أنه عملية إعلامية، واستخدام الشعر لإيصال فكرة الدعوة الإسلامية والذب عنها.

٢- الرد على المشركين وهجائهم للنبي ﷺ ومدحهم النبي. وذلك أن المشركين استخدموا الشعر استخداما قويا كوسيلة إعلام قوية ومؤثرة للصد عن سبيل الله ونبوة الرسول محمد ﷺ، ولذلك نرى ردة فعل الرسول على بعض الشعراء حيث قال: اقتلوه ولو وجدتموه معلقا على أستار الكعبة[(٢)].

٣- مدح الرسول ﷺ ودعوته ومدح صورته وصدقه وعدله ومزاياه، وشحذ الهمم في المناسبات المعارك.

ومن هؤلاء الشعراء الذين دافعوا عن الاسلام في صدره الأول: حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك.

(١) أخرجه البخاري (٤١٢٣)، ومسلم (٢٤٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤٤)، ومسلم (١٣٥٧).



الشعر في عصر الرسول ﷺ:

معروف أن قريشًا حادّت الله ورسوله حين بعث، مما اضطره إلى الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة، وسرعان ما نشبت بين البلدتين معركة حامية الوطيس تقف فيها قريش ومن معها من العرب من جانب ويقف الرسول ﷺ ومن هاجروا معه من مكة ومن التفوا حوله في المدينة في جانب آخر. وبمجرد أن اشتبكت السيوف أخذ الشعراء في الجانبين المتناقضين يسلّون ألسنتهم، ولم تكن مكة في الجاهلية تُعرف بشعر إلا بعض مقطوعات تُنسب إلى ورقة بن نوفل وغيره من المتحنّفين، ومقطوعات أخرى تنسب إلى بعض فتيانها مثل نبيه ومسافر، اللذين ترجم لهما أبو الفرج في أغانيه، فلما نشبت الحرب بينها وبين الرسول لمعت فيها أسماء شعراء كثيرين مثل أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن الزبعري وضرار بن الخطاب الفهري وأبي عزة الجمحي وهبيرة بن وهب المخزومي، وقد أخذوا يسددون سهام أشعارهم إلى رسول الله ﷺ والمهاجرين معه وأنصاره من المدينة. عز ذلك على رسول الله، لا لأنهم كانوا يهجونه فحسب، بل أيضا لأنهم كانوا يصدون عن سبيل الله بما يذيع من شعرهم في القبائل العربية. فقال للأنصار: «من يمنع القوم الذين نصروا الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟» فقال حسان: أنا لها، فأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء[1]. وانضم إليه كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، فاحتدم الهجاء بينهم وبين شعراء مكة[2].

فكان عقب كل موقعة حربية يقال فيها شعر، بعد بدر، وبعد أحد، والخندق، وفتح مكة.

ومن هذه الاحتدامات أو الصدامات الشعرية ما أثبت لابن الزبعري قصيدته التي قالها في أُحد وفيها يقول[3]:

ليت أشياخي ببدر شهدوا

ضجر الخزرج من وقع الأسل

---

(١) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب (ج١/ ص٣٤١).

(٢) يُنظر: الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، محمد عبد المنعم الخفاجي (ص٣٣٠).

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام (ج٢/ ص١٣٦).

حيـن ألقـت بقباء بركهـا
واسـتحر القتل في عبد الأشهل

فقتلنـا النصـف مـن سـادتهم
وعدلنـا ميـل بـدر فاعتـدل

وقال هبيرة ابن أبي وهب يحرض بني كنانة، وكان شديد العداوة لله ورسوله، وهو الذي قال في يوم أحد[1]:

قدنا كنانة مـن أكناف ذي يمنٍ
عرض البلاد على ما كان يزجيها

قالـت كنانـة أنـى تذهبـون بنا
قلنـا النخيل، فأموهـا وما فيها

وكان في الطرف المقابل حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة[2].

١ - حسان بن ثابت:

حسان هو أشعر الثلاثة، وهـو كثير الشعر جيده، كما قال ابن سلام[3]، وقيل إن أول ما جرى به لسانه حين سلّه على قريش هذه الأبيات يتحدى بها أبا سفيان بن الحارث[4]:

هجـوت محمـدًا فأجبـت عنه
وعـنـد الله في ذاك الـجـزاءُ

فـأن أبـي ووالـده وعرضـي
لعـرض محمـد منكـم وجـاءُ

أتهجـوه ولسـت لـه بكـفءٍ
فشـركما لخيركمـا الفـداءُ

وحسان هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، من قبيلة الـخزرج، التي هاجرت من اليمن إلى الحجاز، وأقامت في المدينة مع الأوس. ولـد في المدينة قبل مولد الرسول ﷺ بنحو ثماني سنين، فعاش في الجاهلية ستين سـنة، وفي الإسـلام ستين سنة أخـرى، وشب في بيت وجاهة وشرف، منصرفًا إلى اللهو والغزل. وهو من بني النجار أخوال عبد المطلب بن هاشم جد النبي محمد من قبيلة الخزرج، ويروى أن أباه ثابت بن المنذر الخزرجي كان من سادة قومه، ومن أشرفهم، وأما أمه فهي الفزيعة بنت خنيس وهي أيضًا خزرجية.

(١) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي (ج١/ ص٢٥٧).

(٢) يُنظَر: الشعر في صدر الاسلام، شوقي ضيف (ص٤٥-٤٨).

(٣) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، (ج١/ ص٢١٥).

(٤) ديوان حسان، (ص٢٠).

وكان حسان ينشد الشعر قبل الإسلام، وكان ممن يَفِدون على ملوك الغساسنة في الشام، وبعد إسلامه عُدّ شاعر النبي محمد ﷺ، وأهدى لهُ النبي جارية قبطية قد أهداها لهُ المقوقس ملك القبط واسمها سيرين بنت شمعون، فتزوجها حسان، وأنجبت منهُ ولدهُ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، وحسن إسلامها وهي أخت زوجة الرسول مارية القبطية. ولقد سجلت كتب الأدب والتاريخ الكثير من الأشعار التي ألقاها في هجاء الكفار ومعارضتهم، وكذلك في مدح المسلمين ورثاء شهدائهم وأمواتهم. وأصيب بالعمى قبل وفاته، ولم يشهد مع النبي مشهدًا لعلة أصابته، ويعدّ في طبقة المخضرمين من الشعراء لأنه أدرك الجاهلية والإسلام. وتوفي حسان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في أربعين من الهجرة وذلك في عهد علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد كان يبلغ من العمر مئة وعشرين سنة، وذلك بعد رحلة طويلة مليئة بالعطاء والإنجازات في سبيل قبيلته وفي سبيل الإسلام(١).

(١) يُنظَر: أسد الغابة، لابن الأثير (ج٢/ ص٦). والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (ج٢/ ص٥٥).

كانت المدينة المنورة قبل الإسلام ميدانًا للصراع بين الأوس والخزرج إذ كانت تكثر فيها الحروب ولذلك كان حسان هو لسان قومه في فترة الحروب، وبالتالي فإنه قد اكتسب شهرة واسعة وكبيرة في الجزيرة العربية، وبعد فترة تقوت فيها علاقته مع الغساسنة فقال فيهم القصائد والأشعار.

وقد اتسمت أشعاره بالألفاظ الفنية القوية، وكان يكثر من المدح أيام الجاهلية ومدح الغساسنة والنعمان بن المنذر وغيرهم، ثم مدح رسول الله ﷺ ويمكن اعتبار أشعاره من الأشعار القوية والبليغة، وأيضًا كان في شعره غزل قبل الإسلام، أما عندما دخل الإسلام فإنه أصبح يقتبس معظم معاني قصائده من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

وكان يدافع عن رسول الله ويذكر أخلاقه الحميدة والرفيعة، كما كان يدافع عن الصحابة والخلفاء بعد الرسول، ويوجد الكثير من الأشعار التي لاقت قبولًا واسعًا عند المسلمين. ونذكر منها(٢):

(٢) ديوان حسان (ص٥٤).

نَبـيٌّ أَتَانَـا بَعْـدَ يَـأسٍ وَفَتْـرَة
مِنَ الرسلِ، والأوثانِ في الأرضِ تعبدُ
فَأَمْسَى سِـرَاجًا مُسْتَنيرًا وَهَادِيًا
يَلُـوحُ كمـا لاحَ الصّقِيـلُ المُهَنَّدُ
وأنـذرنـا نــارًا، وبـشّـرَ جنةً
وعلَّمنـا الإسـلامَ، فـاللهَ نحمَـدُ
وأنتَ إلهَ الخلـقِ ربي وخالقي،
بذلـكَ ما عمرتُ في الناسِ أشـهدُ
تَعَالَيْتَ رَبَّ الناسِ عن قَوْلِ مَنْ دَعا
سِـوَاكَ إلهًا، أَنْـتَ أعْلَـى وَأَمْجَدُ

وقال حسان في يوم الفتح[١]:

وَجِـبْـرِيـلٌ أَمِـيـنُ اللهِ فِـينَـا
وَرُوحُ القُـدْسِ لَيْـسَ لَـهُ كِفَاءُ
وَقَـالَ اللهُ: قَـدْ أَرْسَـلْتُ عَبْـدًا
يقـولُ الحـقَّ إنْ نفـعَ البـلاءُ
شَـهِدْتُ بِـهِ، فَقُومُـوا صَدِّقُوهُ!
فقلتـمْ: لا نقـومُ ولا نشـاءُ
وَقَـالَ اللهُ: قَـدْ يَسّـرْتُ جُنْـدًا
همُ الأنصـارُ، عرضتهـا اللقاءُ
لـنـا في كـلّ يـومٍ مـنْ معدٍّ
سِـبابٌ، أو قِـتَـالٌ، أو هِجاءُ
فنحكـمُ بالقـوافي مـنْ هجانـا
ونضـربُ حينَ تختلـطُ الدماءُ

ألا أبـلـغْ أبـا سـفيـانَ عني
فـأنـتَ مـجـوفٌ نـخبٌ هـواءُ
وأن سيـوفنـا تـركـتك عبدا
وعـبـد الـدار سادتـهـا الإمـاء
كَأنّ سَـبِيئَةً مِـنْ بَيْـتِ رَأسٍ
تُعفيِّها الـرّوَامِـسُ والـسّمَـاءُ
هجـوتَ محمدًا، فأجبـتُ عنهُ
وعـنـدَ اللهِ في ذاكَ الـجـزاءُ
أَتَهْجُـوهُ، وَلَسْـتَ لَـهُ بكُـفْءٍ
فَشَرُّكُما لِخَيْـرِكُـمَا الـفِداءُ
هجـوتَ مبـاركًا، بـرًا، حنيفًـا
أمـيـنَ اللهِ، شـيـمتهُ الـوفـاءُ
فَمَـنْ يَهْجُـو رَسُـولَ اللهِ مِنْكُمْ
ويـمـدحـهُ، ويـنـصـرهُ سـواءُ
فَـإنّ أبـي وَوَالِـدَهُ وَعِرْضـي
لعـرضِ محمـدٍ منكـمْ وقـاءُ
فـإمـا تـثـقـفـنّ بـنـو لـؤي
جُـذَيْـمَـةَ، إنّ قَـتْـلَهُـمُ شِفَـاءُ
أولئـكَ معشـرٌ نصـروا علينـا
فـفـي أظـفـارنـا مـنـهـمْ دمـاءُ
وَحِلْفُ الحـارِثِ بْنِ أبي ضِرَارٍ
وَحِـلْـفُ قُـرَيْـظَـةٍ مِـنّـا بَـرَاءُ
لسـاني صـارمٌ لا عيـبَ فيـهِ
وَبَـحْـرِي لا تُـكَـدِّرُهُ الّـدلاءُ

(١) المصدر نفسه (ص ١٩-٢٠).

وقد قال ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «هجاهم حسان فشفى واشتفى»، وكان يُصنع له منبر يقوم عليه، فيهجو مَن هجا رسول الله ﷺ والمسلمين، من ذلك قوله[1]:

وَاللَهِ ما في قُرَيشٍ كُلِّها نَفَرٌ
أَكثَرُ شَيخا جَبانا فاحِشًا غُمُرا
أَزَبَّ أَصلَعَ سِفسيرًا لَهُ ذَأَبٌ
كَالقِردِ يَعجُمُ وَسطَ المَجلِسِ الحُمَرا
هُذرٌ مَشائيمُ مَحرومٌ ثَوِيُّهُمُ
إِذا تَروَّحَ مِنهُم زُوِّدَ القَمَرا
أَمّا ابنُ نابِغَةَ العَبدُ الهَجينُ فَقَد
أُنحي عَلَيهِ لِسانا صارِما ذَكَرا
ما بالُ أُمِّكَ راغَت عِندَ ذي شَرَفٍ
إِلى جَذيمَةَ لَمّا عَفَّتِ الأَثَرا
ظَلَّت ثَلاثا وَمِلحانٌ مُعانِقُها
عِندَ الحَجونِ فَما مَلّا وَما فَتَرا
يا آلَ سَهمٍ فَإِنّي قَد نَصَحتُ لَكُ
ملا أَبعَثَنَّ عَلى الأَحياءِ مِن قُبِرا
أَلا تَرَونَ بِأَنّي قَد ظُلِمتُ إِذا
كانَ الزِبَعرى لِنَعلي ثابِتٍ خَطَرا
كَم مِن كَريمٍ يَعَضُّ الكَلبُ مِئزَرَهُ
ثُمَّ يَفِرُّ إِذا أَلقَمتَهُ الحَجَرا

(١) ديوان حسان (ص١٣٥).

قَولي لَكُم آلَ شِجعٍ سُمُّ مُطرِقَةٍ
صَمّاءُ تَطحَرُ عَن أَنيابِها القَذَرا
أَمّا هِشامٌ فَرِجلا قَيئَةٍ مَجِنَت
باتَت تُغَمِّزُ وَسطَ السامِرِ الكَمَرا
لَولا النَبِيُّ وَقَولُ الحَقِّ مَغضَبَةٌ
لَما تَرَكتُ لَكُم أُنثى وَلا ذَكَرا

٢- كعب بن مالك

هو كعب بن مالك بن عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة، الأنصاريّ الخزرجيّ العقبيّ الأحديّ، كان يُكنّى في الجاهليّة بأبي بشير، شهد بيعة العقبة مع النبيّ ﷺ، وآخى النبيّ بينه وبين طلحة بن عبيد الله بعد الهجرة، وقيل آخى بينه وبين الزبير، روى ابن مالك عن النبي ثلاثين حديثًا، انفرد منها البخاريّ بحديثٍ واحدٍ، والإمام مسلم بحديثين. روى عنه بنوه: عبد الله، وعبيد الله، وعبد الرحمن، ومحمد، ومعبد؛ وروى عنه: جابر، وابن عباس، وأبو أمامة، وعمر بن الحكم، وعمر بن كثير بن أفلح، وحفيده عبد الرحمن بن عبد الله. وقال ابن أبي حاتم: كان كعب من أهل الصفة. وذهب بصره في خلافة معاوية.وقد ذكره عروة

في السبعين الذين شهدوا العقبة. قيل إنّ كعبًا مات سنة أربعين، وقيل مات سنة خمسين. وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الثلاثة الذين خُلّفوا ثم تاب الله عليهم وأنزل في توبتهم قرآنًا يُتلى إلى يوم الدين[١].

وهو القائل -ويقال إنه أفخر بيت قالته العرب-[٢]:

وببئر بدرٍ إذ يردّ وجوههم
جبريلُ تحت لوائنا ومحمدُ

ومن شعره يومَ بدر[٣]:

لعمر أبيكما يا بني لؤي
على زهو لديكم وانتخاءِ

لما حامت فوارسكم ببدر
ولا صبروا به عند اللقاءِ

وردناه بنور الله يجلو
دجى الظلماء عنا والغطاءِ

رسول الله يقدمنا بأمر
من أمر الله أحكم بالقضاءِ

فما ظفرت فوارسكم ببدر
وما رجعوا إليكم بالسواءِ

فلا تعجل أبا سفيان وارقب
جياد الخيل تطلع من كداءِ

بنصر الله روح القدس فيها
وميكال فيا طيب الملاءِ

وعن كعب قال: لما انكشفنا يوم أحد، كنت أول من عرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبشرت به المؤمنين حيًا سويًا، وأنا في الشعب. فدعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كعبًا بلأمته، وكانت صفراء، فلبسها كعب، وقاتل يومئذ قتالا شديدا، حتى جُرح سبعة عشر جرحا. قال كعب في رثاء حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله الذي استشهد في أحد[٤]:

ولقد هددت لفقد حمزة هدةً
ظلّت بنات الجوف منها ترعدُ

ولوَ انه فجعت حراء بمثله
لرأيت رأسي صخرها يتبددُ

قرم تمكَّنَ في ذؤابة هاشمٍ
حيث النبوة والندى والسؤددُ

والعاقر الكوم الجلاد إذا غدت
ريح يكاد الماء منها يجمدُ

والتارك القرن الكمي مجدلا
يوم الكريهة والقنا يتقصدُ

(١) يُنظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (ج٢/ ص٥٢٤).
(٢) معجم الشعراء، المرزباني (ج١/ ص٣٤٢).
(٣) ديوان كعب بن مالك، شرح وتحقيق مجيد طراد، (ص٢٠-٢١).
(٤) المصدر السابق نفسه (ص٣٥-٣٧).

وتـراه يرفـل في الحديـد كأنـه
ذو لبـدة شـئن البراثـن أربـدُ
عـم النبـي محمـد وصفيـه
ورد الحمام فطاب ذاك الموردُ
وأتـى المنيـة معلمًـا في أسـرة
نصروا النبي ومنهم المستشهدُ

وعن كعب، قال: يا رسول الله، قد أنزل الله في الشعراء ما أنزل. قال: «إن المجاهد، مجاهد بسيفه ولسانه؛ والذي نفسي بيده لكأنما ترمونهم به نضح النبل»[(١)].

قال ابن سيرين: أما كعب، فكان يذكر الحرب، يقول: فعلنا ونفعل، ويتهددهم. وأما حسان، فكان يذكر عيوبهم وأيامهم. وأما ابن رواحة، فكان يعيرهم بالكفر[(٢)].

وقد أسلمت دوس فرَقًا من بيتٍ قاله كعب في قصيدة له[(٣)]:

نخيرهـا ولـو نطقـت لقالـت
قـواطـعـهـنّ دوسًـا أو ثقيفا

عن ابن المنكدر، عن جابر: أن رسول الله ﷺ قال لكعب بن مالك: «ما نسيَ ربك لك وما كان ربك نسيًا بيتًا قلته». قال: ما هو؟ قال: أنشده يا أبا بكر، فقال[(٤)]:

زعمت سخينة أن ستغلب ربّها
ولـيُـغـلَـبـنّ مُـغـالِـب الـغـلّاب

وقد أنشد كعب عليا قوله في عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم[(٥)]:

فكـف يديـه ثـم أغلـق بابـه
وأيـقـن أن الله لـيـس بغافلِ
وقـال لمـن في داره لا تقاتلـوا
عفا الله عـن كل امرئ لم يقاتلِ
فكيـف رأيت الله صـب عليهمُ
العداوة والبغضاء بعد التواصلِ
وكيف رأيـت الخير أدبر عنهمُ
وولى كإدبـار النعـام الجوافلِ

٣- عبد الله بن رواحة:

هـو عبـد الله بن رواحـة بـن ثعلبة بن امـرئ القيـس الأنصـاري الخزرجي أبو محمـد، ويقـال أبـو رواحـة، ويقـال أبو عمرو، المدني، شـهد بدرًا، وبيعة العقبة، وهـو أحد النقباء، وأحـد الأمراء في غزوة

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي (ج٢/ ص٥٢٥).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) المصدر السابق (ص٥٢٦).
(٥) ديوان كعب بن مالك، شرح وتحقيق مجيد طراد، (ص٩١-٩٢).

مؤتة، واستخلفه رسول الله على المدينة في إحدى غزواته، وبعثه إلى خيبر خارصًا. وكان عظيم القدر في الجاهلية والإسلام، وكان شاعر النبي ﷺ، وأخا أبي الدرداء لأمه، وهو خال النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ[(١)].

وقد أكرمه الله بالشهادة يوم مؤتة سنة ثمان من الهجرة، مع زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فنعاهم النبي ﷺ إلى أصحابه قبل أن يأتيهم خبرهم وعيناه تذرفان[(٢)].

وعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ، يَمْشِي وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ
اليَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي حَرَمِ اللهِ تَقُولُ الشِّعْرَ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: (خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ)[(٣)].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَمَا مِنَّا أَحَدٌ صَائِمٌ، إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ)[(٤)].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال -وَهُوَ يَقُصُّ فِي قَصَصِهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ-: «إِنَّ أَخًا لَكُمْ لاَ يَقُولُ الرَّفَثَ» يَعْنِي بِذَلِكَ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ[(٥)]:

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ
إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الفَجْرِ سَاطِعُ
أَرَانَا الهُدَى بَعْدَ العَمَى فَقُلُوبُنَا
بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ
إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ المَضَاجِعُ

(١) يُنظَر: الطبقات الكبرى، ابن سعد (ج٣/ ص٣٩٨). البداية والنهاية، ابن كثير (ج٦/ ص٤٥٦). وسير أعلام النبلاء، الذهبي (ج٢/ ص٩٠). والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (ج٤/ ص٧٥).

(٢) رواه البخاري (٢٧٩٨).

(٣) رواه الترمذي (٢٨٤٧) وصححه.

(٤) رواه البخاري (١٩٤٥) ومسلم (١١٢٢).

(٥) رواه البخاري (١١٥٥).

قال الحافظ ابن حجر[١]: «مَعْنَاهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ذِكْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاسْتَطْرَدَ إلى حِكَايَةِ مَا قِيلَ فِي وَصْفِهِ فَذَكَرَ كَلَامَ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ بِمَا وُصِفَ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ».

وأنشد في غزوة الخندق[٢]:

يا رب لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا

فأنزلن سكينة علينا ... وثبِّت الأقدام إن لاقينا

إن الكفار قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

ومن شعره في مدح النبي[٣]:

إني تفرست فيك الخير أعرفه ... والله يعلم أن ما خانني البصر

أنت النبي ومن يحرم شفاعته ... يوم الحساب فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حسن ... تثبيت موسى ونصرًا كالذي نصروا

وأنشد في غزوة مؤتة فقال[٤]:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... طائعة أو لا لتكرهنه

فطالما قد كنت مطمئنه ... ما لي أراك تكرهين الجنة

هل أنت إلا نطفة في شنة ... قد أجلب الناس وشدوا الرنة

وقال[٥]:

لَكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً ... وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا

أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً ... بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا

حَتَّى يَقُولُوا إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي ... أَرْشَدَكَ اللهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا

رضي الله عن شعراء النبي ﷺ وعن سائر صحابته، وعن كل مَن سار على منوالهم في نصرة الدين واتباع نهج سيد المرسلين.

(١) فتح الباري (ج٣/ ص٤١).

(٢) الرحيق المختوم، للمباركفوري، طبعة دار الوفاء ٢٠٠٧، (ص٢٦٩).

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام، (ج٢/ ص٣٧٤).

(٤) الرحيق المختوم، للمباركفوري، طبعة دار الوفاء ٢٠٠٧، (ص٣٣٦).

(٥) السيرة النبوية، لابن هشام، (ج٢ ص ٣٧٤).





مَرَاقِصُ المَرَاقِس

أو القِرَاءَةُ الثَّانية التَّأثِيلِيَّة لِحَيَاةِ المَلِك امرئِ القَيْس الكِنْدِيّ وشِعْرِهِ

مولاي المهدي الإدريسي

تقديم ومدخل عام:

– هذه محاضرة تأصيليّة ماتعة في تأثيل أحداث حياة الملك الضِّلّيل امرئ القيس؛ جاءت استجابةً لنداء الروح والعقل والقلب لخدمة الأمة الإسلامية المجيدة التي تعيش لحظات صعبة وظروفا عصيبة كان وراءها طاعون كورونا الذي نقرؤه من منظور قوله تعالى ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١]. وانطلاقًا من مقاصد هذه الآية الكريمة رفعتُ القلم لخطّ هذه المحاضرة العلمية في صورة مدخل عام لدراسة الأدب العربي، وفق تصوّر عميق واستقراء لأهم ما يتصل بموضوع الشاعر، أهديه لطلبة كلية اللغة العربية بمراكش خاصة ولكل طلبتنا في ربوع المملكة والعالم العربي عامة.

من أجل ذلك، واستجابةً لاقتراح عميد كلية اللغة بمراكش، الحفيل الدكتور أحمد قادم حفظه الله، وسيرًا على منهج مؤسستنا العالمية الرائدة ابن تاشفين للدراسات والبحوث والإبداع برئاسة إمامها المفوّه الحصيف الفحيل فضيلة الدكتور عادل رفوش بارك الله لنا فيه، والذي يحرص أن يخرج هذا العمل وغيره على أكمل وجه وأتمّ صورة. جيّشتُ طاقاتي واستدعيتُ جهودي العلميّة ليسيل يراع كتابتي اليوم

عن شاعرٍ قيل فيه الكثير وكُتِب عنه الكثير وسالت أمداد في شرح شعره وفَسْرِ قصائده وتأصيل وقائع أحداث حياته، وذلك بمنهج جديد وأسلوب علميّ قشيب يمازج بين الرَّصانة المعرفية وتوخِّي الدقة من غير تطويل مُمِل ولا اختصار مُخِل.

ولقد حرصت جهد الحريص على منهج الاجتباء في الكتابة؛ أقرأ العديد من الكتب والمقالات والأقوال العلمية عن الشاعر، أختصر إشكالاتها اختصارا، وأعتصر قضاياها اعتصارا، وأقدّم للقارئ والطالب الكريم زُبدة ما يجب عليه أن يعرفه في المسألة، حتى إذا ضمّ إلى معرفته التي اكتسبها فهما وتحليلا مقصدِيًّا لكل أبواب وفصول المحاضرة، يكون بذلك حصّل من عُمَدِها علما غزيرا ليس فقط فيما يخص الشاعر وما يدور في فلكه، بل في ضبط الأعلام التي يلحن في قراءتها الكثيرون.

ولقد خصّصنا لذلك ملاحظ تقويميّة ذات منهج معياريّ في الكشف عن مكمن الداء وبيان موطن الدّواء. كما قمنا بسوق أُمّات الكتب التي يجب ألا تخلو منها خزانة طالب علم، سواء الطَّريف منها والتَّليد، وفي التّحميضات المفيدة على منهج الكتابات الكُشكولية مما له وثيق الصلة بالموضوع المُناقَش، مما يتفكَّهُ به القارئ الكريم وينشرحُ له فؤاده، ويمكِّنُه من أن يفتحَ صُوًى تكون له بمنزلة معالم للطريق في طلبه للعلم حتى لا يتيه هدفه ولا يضل سعيه في متاهات البحث ومزالقه، وكُوًى في شكل نوافذ تفتحها له تلكم القضايا الإشكالية المطروحة لسبر معالم قضايا أخرى ذات الوشيجة المتَّصلة بالموضوع.

كما سيجد القارئ الكريم استدراكاتي على بعض العلماء والمُحقّقين في بعض شروحهم، توخَّيت فيهابحِسٍّ نقدي، بما وسِعه جهدي، منهجَ الاستقراء للمادة العلميّة، فتكونَ للدّارس تلكم الوقفات وأخواتها من استدراكات موَفِّقات للمنهج السليم في دراسة الأدب العربي مُؤَصَّلا ومُؤَثَّلا.

ولقد قسّمت هذا العمل الفني إلى أبواب وفصول، تحت كل باب أو فصل ملحظ توثيقي هو سندهما المعرفي، يرجى النظر فيه من أجل التوسع أكثر.

وأمّا عن عنوان المحاضرة «مراقِصُ المراقس»؛ فالأصل المَراقِسة، جمع مَرْقَسيّ، منسوب إلى امرئ القيس، وهي من باب النحت، ومثله عبشمي، نسبة إلى عبد شمس، فقد حَذَفْتُ تاء الجمع تغليبًا لقانون الإتباع في اللغة حتى تتواءم مع المراقص بدونها ويكتمل الجناس على صورة واحدة حسنة. وقد اتبعت في هذا المذهب إمامين لغويين مُتَّبَعَين:

الأول هو: الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش ابن بَرِّي المصري (ت ٥٨٢هـ) في رده على ابن الخشّاب البغدادي المنتقد لمقامات الحريري في رسالة له بعنوان «اللُّبَاب في الرد على ابن الخشّاب».

والثاني هو: الإمام عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني (ت ٣٢٧هـ) في «الألفاظ الكتابية».

وأما فيما يخص معنى «المراقص والمراقس» فهذا مما سأغضُّ عنه طرف النظر فيه تشويقًا للقارئ الكريم ليستنبط المعنى بنفسه في ثنايا المحاضرة.

هذا وإني قد استفدت كثيرًا من كتب علمائنا قديمًا وحديثًا مما سطّروه حول هذا الموضوع في وضعيات مختلفة ومناهج متباينة، لكني وأنا أقرأ لشيخنا المحقق فضيلة الدكتور مصطفى عليّان محقق كتاب «موائد الحَيْس في فوائد امرئ القيس»، وجدته في مقدمة تحقيقه للكتاب يذكر أن الوحيد من فرَّد امرأ القيس من الأقدمين بالتَّناول والدِّراسة هو إمامنا الأصولي البلاغي الناقد الفقيه نجم الدّين الطوفي (ت ٧١٦هـ) مؤلّف الكتاب السّالف الذِّكر. ألفيتُ الأستاذ، عفا الله عنا وعنه، قد وقع في وهمٍ ولَبْسٍ مردُّه الإغفال والتسرّع؛ إذِ الذين تفرّدوا قبل الإمام الطُّوفي بقرون وبعده من القدماء بشرح ديوان امرئ القيس واستكناه معادن جودة شعره وبيان مواطن عبقريّة نظمه كثيرون. لذا رأيت من واجبي استدراكا على الأستاذ المحقق وخدمةً للعلم وطلبته أن أسوقفي باكورة هذا المدخل ما اكتحلت به العينُ من الكتب العتيقة منها والحديثة ذات الصلة بالموضوع الأساس خدمةً للأمة العربية ووفاءً منّا للأمانة العلمية. أيضا فمن الأقدمين(مرتبة ترتيبًا زمنيًا):

شرح ديوان امرئ القيس لأبي جعفر النّحّاس(ت ٢٣٨هـ)، قرأه ووضع فهارسه وعلّق عليه الدكتور: عمر لفجاوي. وهذا أعتبره أقدم شرح وصلنا فيما نعلم. يليه:

ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكّري(ت ٢٧٥هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور: أنور عليان أبو سليم والدكتور محمد علي الشّوابكة.

أشعار الشعراء الستة الجاهليين للأعلم الشَّنْتَمَرِيّ (ت ٤٧٦هـ)، تحقيق:محمد عبد المنعم خفاجي، وضمنهم شعر امرئ القيس.

شرح ديوان رئيس الشعراء أبي الحارث الشهير بامرئ القيس للوزير أبي بكرعاصم بن أيّوب البَطَلْيُوسِي «، هكذا ضَبْطُه الصحيح، (ت ٤٩٤هـ) اعتنى به محمد السيّد عثمان.

ديوان امرئ القيس بشرح محمد بن إبراهيم بن محمد الحَضْرميّ (ت ٦٠٩هـ)، قدّم له وحقّقه الدكتور: أنور أبو سويلم والدكتور علي الهم وساعد في تحقيقه الدكتور علي الشومالي.

أما المعاصرون فمشاركاتهم تترى ومتنوعة من شروح ودراساتوأطاريح جامعية ومسارح وأهمّها ما يلي:

- الشروح المعاصرة:

«ديوان امرئ القيس» اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المطاوي.

«ديوان امرئ القيس» شرحه وضبطه الدكتور عمر فاروق.

«أخبار المراقسة وأشعارهم وأخبار النوابغ وأخبارهم في الجاهلية وصدر الإسلام» جمعها وقدّم لهاوحقَّقها: الدكتور حسن السندوبي. راجعها وشرحها: أسامة صلاح الدّين منيمنة.

«ديوان امرئ القيس». ضبطه وصحّحه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، ولقد اعتمد في تحقيقه على النسخة التي شرحها الدكتور: حسن السندوبي.

«امرؤ القيس حياته وشعره» للدكتور الطاهر أحمد مكّي.

«ديوان امرئ القيس» الصّادر عن ذخائر العرب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

«ديـوان امـرئ القيس» كتـب هوامشـه وشـرحه جماعـة مـن الأدبـاء بإشـراف الناشر.

طّرة العلّامة محمد الأمين بن الحسن الشـنقيطي على دواوين الستة الجاهليين

– شعر امرئ القيس بن حجر الكندي.

– الأطاريح الأكاديمية والرسائل الجامعية:

«الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس» رسـالة دكتوراه تقدّم بهاالباحث العراقي: صباح عباس سـالم الخفاجي، بإشـراف الدكتور: محمود فهمي حجازي، وتمت مناقشتها بجامعة القاهرة بمصر.

«تأثير امرئ القيس في الخطاب الأدبي والنّقدي الأندلسي» إعداد الباحث: عمر فارس الكفاوين، بإشـراف الدكتور سمير الدروبي عن جامعة مؤتة بالأردنّ.

– الدراسات المعاصرة:

«امـرؤ القيـس ومعجمـه اللغـوي» للدكتورة سهام عبد الوهاب الفريج.

«قضايـا الخـلاف النحـوي في معلقة امـرئ القيـس» للدكتـور عبـد المقصود محمد عبد المقصود.

«امرؤ القيس بين القدماء والمحدثين» للدكتورديب السيّد محمد.

«امـرؤ القيـس مـع السـيرة والأقوال والنوادر» إعداد محمد عبد الرحيم.

«امرؤ القيس.. ليس امرأ القيس» قصة امرئ القيس الكندي شاعر العربية الأول، للشاعر والباحث عز الدين المناصرة.

– المسرحيات:

«امرؤ القيس ملكًا» مسـرحية تاريخية في خمسة فصول، تأليف: أحمد عكّاش.

«امـرؤ القيس في باريس» للدكتور عبد الكريم برشيد.

واللّهَ نسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يكون مَدْعَاةً للكشف عن عظمة اللغة العربيّة وقدسيّتها وشرفها، مَلِكةً متوّجـةً بين اللغات مهيبـةَ الجانب. فحرّاسها ولله الحمد كُثُر يحِنُّون عليها حَنَّة الجفن على العين، ويهفون لخدمتها خدمة الأمِّ الظئور لولدهـا، حتى إذا ديس عَرِينها حزنـوا لها حزن مـن ذُبِح ابنهـا الوحيد في حجرها، فيجيّشـون لها جيـوش التأليف، ويسـتدعون لنصرتهـا كلّ الطاقات، خدمةً لها لأنها قبل وبعد كلّ شيء لغةُ الكتاب.



بـابٌ في تحقيـقِ اسـمِ الشـاعر ضَبْطًـا واشتقاقًا ومَعنًى:

هـو امـرؤ القيـس جُنْـدُح بـن حُجْـر الكِنْـدِي. جُنْـدُح هكـذا بضـمّ الجيم مع الدال وإسكان النون،هكذا ضَبَطَتِ اسمَه أمّاتُ كتب النقد والأدب.

ملحظ توثيقي:

- لينظـر علـى سـبيل المثـال «موائـد الحيس» للإمام الكبير نجم الدّين الطوفي الحنبلـي، و«شـرح حماسـة أبـي تمّـام للمعرّي».

ملحظ واستدراك في الباب:

أمّا عن معنى جُنْدُح، فألاحظ إحجامًا كامـلًا لـدى المعاجـم العربيـة التـي بين أيدينا عن تفسير الكلمة معنى أو اشتقاقًا.

ولكنّي وبعد طول عناء وجدت المتفرِّدَ الوحيـد في شـرحها العلّامة الوزيـر أبا بكر عاصم بن أيوب البَطَلْيُوسِـي الأندلسي من علماء القرن الخامس الهجري (ت ٤٩٤هـ) في مقدمة شرحه لديوان امرئ القيس حيث قال: «واسـم امرئ القيـس جُنْدُح، وجُنْدُح في اللغة رملة طيبة تنبت ألوانًا».

والـذي أراه، والله أعلـم، أن الوزيـر العالم وقـع في لَبس، أو أن اللَّبس والوهم وقعـا مـن الناسـخ؛ لأن هـذا الإغفـال المعجمـي مـن كبـار قواميـس اللغـة في شـرح الكلمة يجعلنا نتشـكّك في أمر هذا الشّـرح الوزيري، خاصـة وأن «الحُنْدُج» هو المـادّة اللغويـة التي تولّـت المعاجم تفسـيرها لا «الجُنْدح»، فهـي «رملةٌ طيِّبَةٌ تنبت ألوانا» كما في القاموس، كما سنرى بعد قليل بحول الله تعالى. وعلى كلّ حال فقد كان لزاما على المحقّق الأستاذ محمد السيّد عثمان أن ينبِّه إلى هذا صونا لحرمة التحقيق العلميّ الرّصين والله المستعان.

وممّـن تسـمّوْا قريبـا مـن جـذر هـذه الكلمـة الصَّحابـي الجليل: «جُنَـادِح بن ميمـون»، بضـمّ الجيم وكسـر الدال وهو صحابي شهد فتح مصر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ملحظ توثيقي:

- انظر القاموس المحيط.

- شرح ديوان رئيس الشعراء أبي الحارث الشـهير بامرئ القيـس، للوزير أبي بكر عاصم بن أيـوب البَطَلْيُوسِـي اعتنى به محمد السيّد عثمان.

رواية ثانية في اسم الشاعر:

قـد رُوِيَ أيضًا في اسـمه حُنْـدُج على شهرة الرّواية الأولى دون الثانية.

وأمـا الحُنْـدُج بضـم الحـاء والـدال وإسـكان النـون كمـا أسـلفنا فيشـرحها القامـوس بأنها»رملـة طيبـة تنبـت ألوانا» وقد شـرحها فيلسـوف الشـعراء المعري في شـرح الحماسـة لأبـي تمـام بقولـه: «والحُنْـدُجُ كثيبٌ أصفرُ مـن النَّقا» وذلك في الحماسة التي يقول فيها الشاعر:

لا تعذلـي في حُنْـدُجٍ إنَّ حُندُجَا
وليـثُ عِفِرِّيـنَ لَـدَيَّ سَـوَاءُ

وقولـه من «النّقـا»، النَّقـا في المعاجم اللغوية تعني الكثيب مـن الرِّمال، ولكني حرت حيرةَ الرامي إلـى التدقيق فيما قاله «رهين المحبسين»، وكلنا يحفظ بيت ابن دريد في قصيدته «الملعونة» المقصورة:

يـا ظبيـةً أشـبهَ شـيءٍ بالمَهَـا
ترعى الخُزَامى بين أشجارِ النَّقَا

فهـل يكـون النّقـا كما شـرحه شـراح المقصـورة كابن هشـام اللَّخمِي السـبتي والخطيب التِّبريزي بكونه كثيبا من الرمال فقطلأن ما حذانا لهذا التأثيل هو السـؤال الإشـكالي التالـي: كيف يكـون الحُنْدُج كثيبـا رمليـا أصفـر مـن كثيـب رملي هو أصالةً ذو اصفرار ملازمٍ له ثمّ هل الصفرة إلا للكثبـان من الرمال؟!أليس هذا عجيبا وغريبـا؟! إذْ أنّ كِلَا الكثيبيـن يكو متّصفا بالصُّفرة فكيـف يقول من لانت اللغة بين فكيه وسـالت البلاغة بين لحييه ما لا تقره معاجم اللغة؟!

الحقيقـة أني قلّبـت باهتمـام بالـغ صفحـات اللغةلعلـي أروي غُلّتـي مـن أقـوال العلماء، لعلّي أجـد ضالّتي وأقف على مُنيتِيإلى أن هداني الله تعالى بألطافه، فوجـدت في المعجم العربي قـولا ارتاح له بالي وهـدأت فيه بلابل صدري؛ حيث إنّمن الكلمات الدائرة في فلك النَّقا مفردة النّقاة من الرمل وتعني «الكثيب المجتمع الأبيض الذي لا ينبت شـيئا»، ولعلّ ذلك مـن ابيضـاض جزيئـات رمله، وهـو أمر مشـاهد ومعايـن وبهذا نكـون وقفنا على مراد الإمـام المعري من قولـه: «الحُندُجُ كثيب أصفر مـن النقا أي كثيب أصفر من كثيب أبيض» فتأمّل.

وأمّـا جمع حُنـدج فحَنَادِيج ومفردها أيضـا حُنْدُجَـة وأمـا الحَنَـادِج بـدون ياء فالعِظام من الإبل.

ملحظ توثيقي:

- لينظر القاموس مادة حُنْدُج.
- ولينظر شـرح حماسة أبي تمام لأبي العـلاء المعـري بتحقيـق الدكتـور حسن محمد نقشة.
- لسان العرب لابن منظور الإفريقيّ.

سؤال إشكالي:

هـل هناك مـن خالف هـذا الضبط من العلماء؟

والجـواب عنـه بالسَّـلب؛ حيث هناك إجمـاع علـى هـذا الضبـط ولـم يخالفه أحد من العلمـاء المعتبرين، وإن كان من اختلاف فيسير لا يعتد به.

أمـا أبوه فهو حُجْر (هكـذا بضم الحاء وإسـكان الجيـم) بالاتفـاق، ويضيـف الإمام نجـم الدين الطـوفي: «أن أوس بن حَجَر فبفتحتين وهو شـاعر مضر وفحلها في الجاهلية».

ملحظ توثيقي:

- لينظر المصادر السابقة.

أما عن معنى امرئ القيس، فتعني امْرَأَ الشِدّة.

وأمّـا امْرُؤ: فهـو مذكّر امـرأة، كما أنّ المَرْء هو مذكّر مَرْأَة.

ورد في المعجـم الوسـيط وغيـره أن «القَيْسَ» بفتـح القـاف وسـكون اليـاء: الشـدّة. ويضيـف شـيخنا الطـوفي: «أن القَيْـس هـو مـن الاسـتدلال والاعتبـار وأخذ أحكام الأشـياء بعضهـا من بعض، ومنـه قول عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لأبي موسـى الأشـعري: «قِسِ الأمور برأيك، واعـرف الأشـباه والنظائـر». وإيـاك أيها القارئ العزيز كسر قافها، فالقِيس بالكسر القَـدْر. يُقال قِيسُ كـذا أي قَدْره من طول وعرض ووزن.

ويعلّل الإمام الطوفي سرّ تسميته بامرئ القيس فيقول: «لأن رأيه ومعرفته بالأمور كان جيِّدا وقد دلّ على ذلك جودة شعره».

أما الإمام ابن دريد في «اشتقاقه» فيرى أن الشاعر امرأ القيس إنما هو نسبة لقيس كمـا تَقُـول: رجل بنـي فلان وهـو رجل القيس وأدخل الألف واللام على قيس.

ملحظ توثيقي:

- لينظر المعجم الوسيط.
- موائد الحيس للإمام الطوفي مع حواشي المحقق جزاه الله خيرا.

سؤال إشكاليّ:

هل امرؤ القيس واحد أم المَرَاقِسَة كثر؟

يُجْمَع امرؤ القيس على مَرَاقِسة وهم كثر، ذكر عشرا منهم الأستاذ محمد السيّد عثمان محقق شرح ديوان رئيس الشعراء للوزير البَطَلْيُوسِي الأندلسي، منهم أربعة كلهم شعراء جاهليون من كندة قبيلة شاعرنا وهم:

- امرؤ القيس بن حُجْر صاحب المعلقة وهو كما مَرَّ معنا جاهلي من كِندة.
- امرؤ القيس بن عابس بن المنذر الكندي شاعر مخضرم أدرك الإسلام.
- امرؤ القيس بن بَكْر الكندي الجاهلي المعروف بلقب «الذَّائد».
- امرؤ القيس بن عمرو بن الحارث الكندي.

في حين أوصلهم «الأستاذ حسن السَّندوبي» في ملحق شرحه لديوان امرئ القيس إلى ثمانية وعشرين شاعرًا كلٌّ من هؤلاء سُمِّيَ بامرئ القيس، وقد أسمى ملحقه «المَرَاقسة أخبارهم وأشعارهم»؛ وذلك لأن كثيرا من الرواة ممن ينسب شعر امرئ القيس صاحب المعلقة إلى من هو شريك له في الاسم، أو أن يلحق بالشاعر قيد الدِّراسة قريضا ليس من نظمه للعلة نفسها. يقول الأستاذ حسن في الموضوع: «وقد يكون فيهم المُكَرّر لاختلاف النسب إلى الآباء تارة وإلى الأجداد أخرى مما يختلط فيه الرواة».

فصل الكتابة المتمرّدة في قراءة حياة امرئ القيس، والرأي المخالف والشاذّ اعتبارا لتعدُّد المراقسة:

صدر للشاعر الدارس المتمرّد عز الدين المناصرة كتابا بعنوان» امرؤ القيس.. ليس امرأ القيس، قصة امرئ القيس الكندي شاعر العربية الأول»، يذهب فيه برأيه الشّاذّ المخالف لكل الروايات التاريخية التي بين أيدينا إلى أنّ امرأ القيس الشاعر ليس هو الذي زار ملك الروم في القسطنطينية، وإنما الذي زاره هو امرؤ القيس ملك فلسطين الثالثة. معتبرا أن المراقسة كما مرّ معنا كُثُر يصل عددهم إلى حد الثمانية والعشرين، مما جعل المؤرخين في رأيه يقعون في حَيْص بَيْص.

الكتابة المتمرّدة:

- لقد تمرّد الأستاذ عز الدين المناصرة على عدد من موافقات المؤرخين فيما سردوه تاريخا بشأن وقائع حياة امرئ القيس، فهو لم يكتف بتفنيد لقاء الشاعر بملك الروم، بل نفى جملة وتفصيلا ما أجمع عليه تقريبا كل أدباء ومؤرخي حياة الشاعر. فهو يرى أن السَّموأل كان مرابيا ولم يك قطُّ وفيا، بل ولا عرف الوفاء له باب دار نهائيا، وأن الذي «فَبْـرَك» بإتقان قصة وفائه المزعومة والمتداولة هو حفيده «دارم بن عقال».

- وأما الحقيقة المستورة عن الدارسين، في نظر المناصرة، هي أنمقتل امرئ القيس جاء على يد ملك الروم بعد أن وشى به السموأل إليالملك «الحارث الغسّاني»،الذي كان من المفترض أن يوصل الشاعر إلى الملك الروميّ ليسانده في الثأر لأبيه واسترداد ملكه الضائع؛ لذا فقد أرسل إليه السموألُ «الربيع الفزاري»، وهو صديق مشترك بينهما، ليوصله الملك الغساني إلى قَيْصَر الروم، لا ليمدّ له اليد البيضاء بل ليقتله ويقضي عليه.

ملحظ توثيقي:

- لينظر شرح ديوان امرئ القيس مع ملحقه:
- أخبار المراقسة وأشعارهم وأخبار النَّوابغوأخبارهم للأستاذ حسن السّندوبي، راجعه الأستاذ أسامة صلاح الدين منيمنة.
- مقدّمة محقِّق شرح ديوان رئيس الشعراء للوزير البطليوسي الأستاذ محمد السيّد عثمان.
- امرؤ القيس.. ليس امرأ القيس للشاعر عز الدين المناصرة.

ملحظ تقويميّ معياريّ:

باب فيما بين الإمامين أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشّيباني بالولاء ونجم الدين الطوفي في التعبير عن اسم امرئ القيس في التداوليات اليومية الشفهية أو الكتابية:

يخطئ الكثير من طلبتنا، حفظهم الله ورعاهم، ومعهم بعض المهتمين والدارسين في طريقة التعبير عن اسم امرئ القيس في الكتابة الإملائية. فكيف

إذايمكن للطالب والدارس وغيرهما أن يعبّر عن اسم امرئ القيس دون أدنى خطأ؛إذِ السرُّ يكمن في شقِّ اسم الشاعر الأوّل امرئ.

فصل في صعوبة التعبير عن كلمة امرئ إعرابا وإملاءً وتيسيرها:

معلوم أن الهمزة المُتطرِّفة، كما قال علماء الإملاء والهجاء قديما وحديثا، تكتب على صورة حركة الحرف الذي قبلها؛ فإذا كان ما قبلها ضَمٌّ تكتب على الواو لتناسب الضَّمِّ مع الواو نحو: لُؤْلُؤ.

فإذا كان ما قبلها فتح كتبت الهمزة على الألف لتناسب الفتحة مع الألف مثل: «مُبْتَدَأ».

فإذا كان ما قبلها كسر كُتبت على صورة الياء لتناسب الياء مع الكسرة نحو: «مُبْتَدِئ».

لكن، هل هذه القاعدة تجري اطِّرادا مع كلمة امرئ؟!!

تعالوا لنعرف الجواب بالتفصيل الدقيق من خلال هذا الشرح والتفسير التأثيلي:

من خلال مَا أقرّه الإمام ثعلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مذهبه يمكن أن نؤكد أن كلمة «امرؤ» هي المفردة الوحيدة المهموزة الآخر الواقعة همزتها طرفا، أي في آخر الكلمة في العربية فيما نعلم بعد سنوات مضنيات من البحث في الباب. يتأثّر الحرف ما قبل همزتها المتطرفة بحركتها الإعرابية؛ فإذا كانت الكلمة مرفوعة مثلا بالفاعلية ضُمَّتِ الهمزةُ، فإذا ضُمَّت ضُمَّ الحرف قبلها، فإذا ضُّم أعطى للهمزة صورة كتابتها وهي الواو لتناسب الضمة مع الواو.

بتعبير آخر يعني أن الهمزة الحاملة لحركات الإعراب نصبا وجرا ورفعا الواقعة طرفا في مفردة «امرؤ» تُؤَثِّر حركة إعرابها فيما قبلها، فإذا ضُمت الهمزة رفعَ إعرابٍ أثّرت في الحرف قبلها وهو الراء فضُّمَّ، فإذا ضُمَّ أَثَّر في صورة الهمز فأعطاها صورة كتابتها موافقة لجنس حركته. وهذه الكلمة كما أسلفنا هي كلمة «امرئ» الجزء الأول من اسم الشاعر الكبير «امرئ القيس».

لذا تقول في حالة رفعها بالضمة، قال ٱمْرُؤُ القَيْس في قصيدته كذا وكذا.

وفي حالة النصب بالفتحة تقول: إن ٱمْرَأَ القَيْس في هذه القصيدة كان متألِّقا مثلا.

وفي حالة الجر بالكسرة تقول: في قصيدة ٱمْرِئِ القَيْس يؤكد الشاعر كِيت وكِيت..

هنا نلاحظ أن همزة «امرئ» في المثال الأول جاءت مضمومة لكونها فاعلا للفعل قال، فلما ضمت الهمزة متأثرة بعامل الإعراب» الفاعلية «تأثر ما قبلها وهو الراء فضُمَّ هو الآخر، فلما ضُمّ أثّر في صورة الهمزة، حيث كتبت على الواو لتناسب الضَّمّ مع الواو كما هو معلوم في قاعدة التطرّف في الهمز.

ولله درّ شيخنا الإمام الطوفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقد اختصر هذا كله بكلمات مُوجزات المبنى مُنجزات المعنى بقوله: «وامرؤ القيس لقب وإعرابه من موضعين: الرَّاءُ والهمزةُ».

ملحظ توثيقي:

- للتَّوَسُّع فلينظر كتاب: «مشكلة الهمزة العربية» لشيخنا العلامة اللغوي المحقق الكبير رمضان عبد التواب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- موائد الحيس.

تحقيق وضبط نسب الشاعر العائلي:

هو امرؤ القيس الكِنْدِيُّ اليمنيّ، بكسر الكاف وتسكين النون. وكِنْدَة في الأصل قحطانيون، تتجذّر شجرة أصولهم في أرض اليمن، لذلك لُقِّبَ شاعرنا بكونه كِنْدِيًّا يَمَنِيًّا، وفي ذلك يقول الشاعر السّموأل، مضرب المثل في الوفاء، في حادثة وفائه بأمانة امرئ القيس:

وَفَيتُ بِأَدْرُعِ الكِنْدِيِّ
إنّي إذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ

ولذلك وجدنا من الدارسين من يقول: «بدأ الشِّعرُ بالكِنْدِيّ وانتهى بالكِنْدِيّ»؛ فيقصدون بالأوّل امرَأ القيس وبالكندي الثاني أبا الطيب المتنبي، فإنه أيضا من كِنْدَة. في حين ردّ عليهم بعضهم بقوله: «إنما بدأ الشعر بملك وانتهى بملك»، فيقصدون بالملك الأوّل شاعرنا امرأ القيس، وبالملك الثاني الأمير أبا فراس الحارث بنَ سعيد الحمْداني، ابنَ عمِّ سيف الدولة أمير حلب.

وكما ترى أيها القارئ الكريم وإن اختلفت الأقوال في إثبات المكانة الشعرية لأحد من الشّعراء فلا يختلف واضعوها في تمكينها لإمامهم وأميرهم امرئ القيس.

ملحظ توثيقي:

- انظر للتوسع: حاشية تحقيق العلامة الدكتور عبد الحميد هنداوي والأستاذ إبراهيم محمد حسن الجمل لكتاب «المرقصات والمطربات» للعلامة الناقد ابن سعد المغربي الأندلسي بشأن الشاعر امرئ القيس.
- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون للإمام ابن نُباتة المصري.

سؤال إشكاليّ:

والآن هيّا بنا على أجنحة المحبة الصادقة وطير الأشواق للولوج إلى عالم أسرة الشاعر الجاهلي الكبير، وأوّل سؤال يعترضنا هو: هل هذا الفحل الكبير كان شاعرا مُعْرِقًا؟

باب في تعريف وحَدِّ الشاعر المُعْرِق والشاعر الثُّنْيَان بين المعجم اللّغوي والناقدين الأديبين الكبيرين ابن رشيق وأبي منصور عبد الملك الثعالبي وما تفرّع عن ذلك:

المُعْرِقُ، بضم الميم وإسكان العين وكسر الراء، مشتق من العِرْق كما في معجم لسان العرب والقاموس والتاج وغيرها من معاجم اللغة المعروفة. والعِرْق هو الأصل، يقال رجل مُعْرِق في الكرم أي أنه وُلِد في أصل كريم،ومن هذا الأصل وفدت علينا كلمة المُعْرِق.

المُعْرِق أدبيًا حدّدها ابن رشيق في كتابه «العمدة» في ثلاثة شروط وهي: أن يكون الرجل شاعرا وكذا أبوه وجدّه فما فوق. فإن اقتصر على كونه شاعرا وأباه سمي ثُنْيَانًا بالضم، وهو في الأصل المعجمي يعني الذي يأتي ثانيا في السِّيادة. ويعني أيضا الشاعر الذي يُسْتَثْنَى لرفعته بين القوم، فلا يشبهه أحد لمكانته فُحولةً وجودًا وكرمًا،يقول النابغة زياد بن معاوية الذُّبياني:

يَصُدُّ الشَّاعِرُ الثُّنْيَانُ
عَنِّيصُدُودَ البِكْرِ عَنْ قَرْمٍ هِجَانِ

ومن هؤلاء نذكر كعب بن زهير بن أبي سلمى، فهو شاعر ثُنيان من جهة نسبه بأبيه، لأنه شاعر ابن شاعر؛فأبوه شاعر فحل من فحول الجاهلية من أصحاب المعلقات وتفرّد بالحوليات.

أما الأصمعي عبد الملك بن قُرَيْب فيرى أن الثنيان مشتق ممن تثنى عليه الخناصر لأنه الأول.



وهنا لأوَضِّح للقارئ الكريم هذه المسألة لا بد من استحضار تأصيلها بنصوص فريدة وتأثيلها بشواهد نضيدة.

فصل في بيان الصلة بين التعبير الرياضي والتعبير اللغوي. أيُّ علاقة؟!

إذا طوّفنا الأحداق في حدائق أئمة البلاغة ورياض رؤسائها، فإننا سنؤوب حتما إلى جنّة المدرسة الزمخشرية؛ حيث سنستلُّ من خزانتها العامرة الباهرة «كتاب المقامات»، ولَنفتحِ الأوراق على «مقامة الخمول» التي يعظ فيها إمامنا جار الله نفسه بنفسه حتّى يتحلّى بغطاء الخمول ويَتلفَّعَ به بين الناس فيبدؤها بقوله: «أبا القاسم، يا أسفي على ما أمضيْتَ من عُمُرِكَ في طلبِ أن يُشادَ بذكركَ وَيُشارَ إليْكَ بأصابعِ بَني عَصْرِكَ... وما أدراك يا غافل ما الكامل؟ الكامل هو العامل الخامل الذي هو في الأرض مَنْكُور وهو عند الله مَذْكُور.... ليس له ظهير ولا ناصرولَا تُثْنَى به أَبَاهيمُ ولا خناصر».

فقوله: «ولَا تُثْنَى به أباهيم ولا خناصر» كناية عن عدم أوليته وأنه دون القوم فضلا، ذلك لأن العرب كانت تعقد حسابها بالخنصر؛ لأنه يوافق المعدود الضعيف بين الأعداد وهو الوحدات الموائمفي صفتها ضعف الخنصر بين الأصابع، فناسب عدّهم بالضعيف من العدد عقدهم بالخنصر الضعيف بين الأصابع.

ومن ذلك في العد يبدؤون بالصغير وهو الوحدات ثم ينتقلونللعشرات وللمئات فما فوق فيقرؤون العدد (١٨٩٣) هكذا: ثلاثة وتسعون وثمانمئة وألف، وهكذا انتقلت هذه القراءة الرياضية للقراءة اللغوية؛ ففي أوصافهم أيضا يبدؤون بالقوي فما فوقه فيقولون كما في فقه اللغة للثعالبي: «عالم نِحْرِير، وشاعر مُفْلِق، وخطيب مِصْقَع، ودليل خِرِّيت، وفيلسوف نِقْرِيس». فكل نحرير عالم وما كل عالم نحرير فتأمّل.

هذه الصورة نجدها أيضًا في نظم العلامة الأديب ابن سنان الخفاجي تلميذ المعري في قوله:

عَدَّ الزَّمانُ لِئَامَهُ فَاسْتَوقَفَتْ
تِلكَ الخِلَالُ عليه عَقْدَ الخِنْصِرِ

أما أبو عمرو الشيباني فيرى أن الشاعر «الثُّنْيَان» مشتق من الاستثناء عندما يقول

القائل: ما في القوم أشعر من فلان إلا فلان، فالمستثنى هو الشاعر الثُّنْيَان.

إلا أنَّ الثُّنيان يعني أيضا الرجل الإمّعة الذي لا رأي له، وهو رأي ابن هشام وأبي علي القالي غير أن القالي يُضيف أنه يطلق على الرفيع أيضا.

أما الشاعر المعرق عند الإمام الثعالبي كما جاء في كتابه «لطائف المعارف» فهو الذي يكون شاعرا أصالةً وله فروع من عرقه كلُّهم شعراء، ولا يشترط ما اشترطه ابن رشيق في عمدته. ومن هؤلاء ذكر الثعالبيشاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت المؤيد بروح القدس، هذه زيادة ابن سعيد الاندلسي في «المرقصات والمطربات»، والحافظ الإمام عبد الحي الكتاني الفاسي في «الإفادات والإنشادات «.

فحسان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ابناه عبد الرحمن وليلى شاعران، وأختاه خولة وفارعة كانتا شاعرتين، بالإضافة أيضا إلى أمه الفريعة بنت خالد الخزرجية زوجة ثابت بن المنذر كانت أيضا شاعرة.

وعلى مذهب الثعالبي يمكن القول بأن المعرق هو الشاعر الذي عاش في كنف أسرة شاعرة، يمتح منها شاعريته ويهذّبها ويروي قريحته ويصقلها بين أفرادها.

وأكبر شاعر في نظري أعتبرُه أكثرَ الشعراء إعراقًا فيما توصلت إليه من مباحث هو وصيف امرئ القيس في المعلقات طرفة بن العبد؛ فقد كان عمه «المرقِّش الأصغر» شاعرا، وعم عمه «المرقش الأكبر» كان شاعرا أيضا، وجده الأعلى شاعر، وخاله «المتلمس جرير بن عبد المسيح» شاعر أيضا، وأخته من أمه وردة شاعرة واسمها «الخِرْنِق بنت بدر بن هفَّان»، ولها ديوان رواه الإمام أبو عمرو بن العلاء البِصْرِيُّ وهو مطبوع متداول حقّقه العلامة حسين نصّار وأعاد تحقيقه الأستاذ يسري عبد الغني عبد الله.

ملحظ توثيقي:

- للتوسّع ينظر: العمدة لابن رشيق.
- لطائف المعارف لأبي منصور الثعالبي.
- المرقصات المطربات لابن سعيد المغربي الأندلسي.
- الإفادات والإنشادات للحافظ الإمام محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الفاسي.

- المُفَضَّلِيات للمُفَضَّل الضَّبِّي تحقيق وشرح العلامة أحمد محمد شاكر والعلامة عبد السلام هارون.
- ديوان ابن سِنان الخفاجي تحقيق الدكتور عبد الرزّاق حسين.
- مقدمة شرح ديوان رئيس الشعراء للوزير أبي بكر عاصم البطليوسي اعتنى به الأستاذ محمد السيّد عثّمان.

سؤال إشكالي:

هل كان امرؤ القيس كوصيفه طرفة في الإعراق؟!

بالبحث في عرق امرئ القيس مليًّا وتصفح شجرة نسبه وجدنا أنه شاعر معرق من ثلاث جهات:

الجهة الأولى: جهة خاله الشاعر الجاهلي الكبير المُهَلْهِل بن ربيعة التَّغلِبي الملقّب بالزِّير، ويرجع لقبه بالزير إلى أخيه الشقيق كُلَيْب. فأمّ امرئ القيس، واسمها فاطمة بنت ربيعة التَّغلبية، هي أخت الزير المهلهل بن ربيعة وبهذا يكون الزير خالا للشاعر.

الجهة الثانية: خاله الثاني كُلَيْب أخ المهلهل الشقيق هو شاعر أيضا، وهو صاحب الأبيات الشهيرة الحكيمة كما في رواية «سرح العيون» وغيرها:

يَالَـكِ مـن قُبَّـرَةٍ بِمَعْمَرِ خَـلا
لَـكِ الجَـوُّ فَبِيضِـي وَاصْفُـرِي
قـد رُفِـع الفَـخُّ فَمَـاذَا تَحْذَرِي
وَنقِّـري مـا شِـئت أن تُنَقِّـرِي
قد ذهبَ عنكِ الصَّيّادُ فأبشِـرِي
لاَ بُـدَّ يوما أَن تُصَادي فَاْحْذَرِي

الجهة الثالثة: حفيد جده المهلهل كان شاعرا، وهو الشاعر الفحل الكبير عمرو بن كلثوم التغلبي؛ فقد زوّج المهلهل بن ربيعة خال امرئ القيس ابنتَه الكبيرة ليلى، والذي بها يُكَنّى لكُلْثُوم بن مالك التغلبي، فأنجبت له فارسا من كبار فرسان العرب ومفخرة من مفاخر الشعر العربي اسمه عمرو بن كُلثوم التغلبي صاحب المعلقة المشهورة التي مطلعها:

أَلَا هبّـي بصَحنِـكِ فاصبَحِينَـا
وَلا تبقي خُمورَ الأَنْدَرِينَا

ملحظ توثيقي:

- للتوسع فلينظر: فصول قيّمة جدا في حياة هؤلاء الشعراء من كتاب ماتع مفيد اسمه «سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون»

للعلامة الناقد الأديب الكبير جمال الدين ابن نُبَاتَة المِصْرِي المتوفى سنة ٧٦٨ للهجرة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

ملحظٌ تقويميٌّ معياريٌّ:

- سمعت ذات مرّة من يدرّس الأدب الجاهلي للطلبة يلحن في ضبط كُلْثُوم اسم والد الشاعر عمرو، وهذا والله من أوّل ما يجب على الأستاذ ضبطه ضبطا كاملا!! والصواب المتّفق عليه معجميا هو ضمّ كاف «كُلْثُوم» هكذا، ويعني في معاجم اللغة كاللسان وغيره: الوجه الممتلئ الخدين باللحم، ويُطلق على الرجل والمرأة على السّواء، ومنه اشتقت «الكَلْثَمَة» بفتح الكاف على وِزان «فَعْلَلَة».

بـاب في إضافة طريفة ونكتة لطيفة بعنوان «ومن النَّقد مَا فَصَل»:

لم يكن امرؤ القيس شاعرا منتسبا لعائلة شاعرة فقط بل إن زوجته «أمّ جُنْدُب» كانت على ذوق عال في التعامل مع القصيد والحكم عليه بالجودة والرداءة.

لذلك عدّها الدكتور الأديب أحمد الحوفي في أطروحته الماتعة للدكتوراه نموذجا للمرأة الجاهليّة الناقدة للشعر.

فصل في قِصَّة الفحلين والنّاقدَة وأبعَادُها الفَائدَة:

تروي كتب الأدب القديمة «كالأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني و«المُوشّح» للمرزُباني وغيرهما من مصادر أن امرأ القيس نَاظر علقمة بن عَبَدة الفحل مناظرة فنية تزيّت في شكل مايصطلح عليه أدبًا بالمطارحات الشعرية والمنافرات الفخرية الأدبية في أيّهما أشعر من الآخر، فاحتكما إلى زوجة امرئ القيس أمِّ جُندب التي استمعت لعريضة المناظرة، فأفتت أن يركب كلاهما فرسا ويصف كلٌّ منهما طريقة جريه ويصوّر بريشته التَّصويريّة أسلوب التعامل معه ركوبًا وأداءً، على أن يكون التعبير عن ذلك كله شعرا على نفس القافية والروي.

وبعد أن رأت واستمعت لهما حكمت لصالح علقمة بدعوى أن مُناظِرَه أجهد فرسه، فطلَّقها امرؤ القيس ليتزوّجها علقمة، وبذلك لُقِّب بالفحل في أحد القولين المعتبرين في المسألة.

تحميضات: طريفة مُستَملحَة:

من الطريف أني وجدت «أم جندب» في «معجم اللغة العربية المعاصر» تعني:

الداهية والغدر والظلم، يقال ركب أمَّ جُنْدُب ووقع بأمِّ جُنْدُب أي ظلم، فكانت كاسمها لها من كنيتها أوفر نصيب داهية مصيبة نزلت على امرئ القيس، لكن هل كانت غادرة ظالمة له بحكمها لصالح نزيله في اللقاء؟!

فصل القصة في ميزان عميد الأدب العربي:

هذه القصة التقطتها الأذن النّاقدة المرهفة لعميد الأدب العربي طه حسين ليجعلها دليلا قاطعا في الذهاب «إلى أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبًا جاهليًا، ليست من الجاهلية في شيء..»،كما يقول هو بالحرف في كتابه «في الشعر الجاهلي». والسر في ذلك كما يقول الدكتور أحمد الحوفي في رسالته الأكاديميّة المتميزة «المرأة في الشعر الجاهلي» أن مصطلحات القافية والروي التي جاءت على لسان الزوجة كفيلة بإسقاط القصة روايةً وسندًا، لأنها مصطلحات لم تظهر إلا في العصر الأموي في المائة الثانية عند رائد العروض ومكتشفه ومقنّنِه الإمام الخليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكيف يظهر المفعول قبل فاعله.

ملحظ توثيقي:

- للتوسع يرجى النظر في: المرأة في الشعر الجاهلي للدكتور الأديب أحمد الحوفي.
- المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب للعلامة الأديب المؤرخ محمد نجيب البهبيتي.

باب امرؤ القيس هل هو في النّار؟! نظرة على الأحاديث الواردة في ذلك وأبعادها:

لا يحدد مصير الإنسان إلا الله سبحانه، فبيده كل شيء ولا ندري على أيّ حال سيختم للعبد، لكننا كما سنرى بتفصيل بعد قليل، بحول الله تعالى، أن الراجح أن امرأ القيس كان وثنيامسرفا على نفسه بإغراقها في الشهوات، يسير معها حيث سارت ويدور معها حيث دارت، متهتّكا خليعا ماجنا. إلا أن الذي يهمنا هنافي هذا المقام هو تحقيق الأحاديث التي تدور على الألسنة وتكتبها الأقلام محتِّمة النارية على الشاعر، وبعضهم يتلذّذ مما لا علم له بسوقها تشفيّا في شاعر كبير، فما درجة صحتها من ضعفها؟ وما أبعادها الأدبية والنقدية؟!

بادئ الأمر سنجد أن جميع الأحاديث المتحدثة عن الشاعر كلها تدور في فلك الضعيف، وقد تتبعت هذه الأحاديث كلها في كتب الحديث المعتمدة، وسأضعها بين يديك أيها القارئ الكريم مع تخريجها وبيان درجة الحديث:

- حديث: «امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار يوم القيامة».

- رواه ابن حبان في المجروحين وفيه محمد بن الضوء بن الصلصال، روى عن أبيه المناكير، لا يجوز الاحتجاج به.

- حديث: «امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار».

- أخرجه أحمد في «المسند» والبزار في «مجمع الزوائد» للهيثمي وحكم الألباني في «السلسلة الضعيفة» بأنه حديث منكر. وحكم شعيب الأرنؤوط في تخريج المستدرك بأن إسناده ضعيف جدا.

- حديث: «امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار يوم القيامة لأنه أوّل من أحكم قوافيها».

- مُنكر بهذا الإسناد، وقد أخرجه أحمد في مسنده والبزّار في مجمع الزوائد للهيثمي.

- ورُوِي أيضا بلفظ: «امرؤ القيس صاحب لواء». وهو في «العلل المتناهية» لابن الجوزي لا يصح.

- كما رُوِي بلفظ: «امرؤ القيس قائد لواء الشعراء إلى النار» أخرجه شعيب الأرنؤوط في تخريج «سير أعلام النبلاء» للذَّهبي وفيه أبو الجهم قال عنه أبو زرعة الرازي واهٍ.

فصل في أبعاد الأحاديث:

- على الرغم من ضعف هذه الأحاديث كما رأينا فقد استنبط منها الإمام نجم الدين الطوفي في «موائد الحيس» لطيفة نقدية غميسة، وهي أنه ما دام حُكِمَ لامرئ القيس بأخذ لواء الشعراء فهذا دليل على تقدّمه لأنه لا يأخذ اللواء إلا المتقدّم من الناس.

فصلٌ في بيان ما نُسب إلى كونه حديثا في الباب وإنما هو من كلام العلماء:

يزعم الإمام الطُّوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ من الأحاديث المبرِزَة لمكانة امرئ القيس في

مسألة سماع قصيدة «قفا نبكي» حديث: «قاتله الله أوّل من وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مِصْرَاع واحد».

والحقيقة بعد إلقاء أضواء البيان الكاشفة على الحديث أنه من كلام الإمام أبي عمرو ابن العلاء البِصْرِيّ فيما نبّه إليه المحقق الدكتور مصطفى عليان معتمدا على مصدرين اثنين:

- «حلية المحاضرة» لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتميّ (ت ٣٨٨هـ).
- و«إعجاز القرآن» للباقلّانيّ(ت ٤٠٢هـ).

ملحظ تقويميّ معياريّ:

- الإمام المقرئ أبو عمرو ابن العلاء البِصْرِيّ، هو بكسر باء نسبته إلى البَصْرة المدينة العراقية المعروفة، وكسر الباء في النسبة إليها هو الأفصح، وهو مذهب شيخنا الإمام مولاي أحمد أبي عبيدة المحرز سيبويه العصر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه؛ وعلّته في ذلك بارك الله لنا فيه أن فتح باء النسبة إلى البَصرة يدل على النسبة إلى الحجارة البيضاء التي تسمى لغةً بالبَصرة. جاء في اللسان: «البَصْر والبِصْر والبَصْرَةالحَجَر الأبيض الرِّخْو.. وقال الجوهري وبه سمّيت البصرة». لذلك يقع اللَّبس في من فتح باء النِّسبة للبَصرة، أَهو من البَصْرَة: الحَجر الأبيض أو النسبة للمدينة؟! لذلك اختار شيخنا حفظه الله لغة الكسر رفعًا لكل لَبس أو وَهم، وهو اختيار طيّبيحترم مقاصد اللغة وأبعادها.

باب في المقامات القيسية في الشرائع الدينية بين المزدكية والوثنية وغيرها:

فصل في تحقيق ديانة امرئ القيس:

يرى بعض الباحثين في الحقل الديني أن امرأ القيس كان على دين المسيح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو أمر نادى به الشيخ اللغوي الأب لويس شيخو ودافع عنه بصلابة وبقوّة فيكتابه عن «شعراء الجاهلية الذين كانوا على دين المسيح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ»، مستدلا أن كِندة اليمنية كانت تدين بهذا الدين.

لكن منهم من رأى خلاف ذلك وهو أنه كان وثنيا كما في رأي الشاعر عز الدين المناصرة، إلّا أنّ وثنيته لم تكن مكشوفة

ظاهرة. وبعض الكَتَبَة البَحَثَة يرى أنه كان مزدكيا على دين «مزدك الفارسي» الذي أغرق الفرس في الانحلال الأخلاقي والظُّلم السُّلوكي.

ملحظ توثيقي:

- ليراجع هنا: الملل والنحل للشهرستاني.
- وتاريخ الطَّبري.
- ومجلة المقتبس العدد (١٥) ففيه مناقشة رصينة في الرد على العلامة اللغوي الأب لويس شيخو فيما ذهب إليه بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة.
- امرؤ القيس.. ليس امرأ القيس، للشاعر الباحث عز الدين المناصرة.

باب في طرائف المقامات الدينية، أو ماذا لو أسلم أصحاب المعلّقات؟!

تحدّث الإمام أبو إسحاق الزجاجي في «أماليه الصغرى» فيما وقفت عليه أن الحنيفية كانت في عرب الجاهلية، ويشترط فيمن اتسم بها أن يكون نابذا لعبادة الأصنام راغبا عن شرب الخمر متطهرا طائفابالبيت.

هذه الشروط الذي ذكرها الإمام الزجاجي نجدها سمة بعض الشعراء في الجاهلية قبل أن يسلموا كالنابغة الجعدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقبل أن يسلم أُثِر عنه ابتعاده الكامل عن الأصنام وشرب الخمر والميتة.

إلا أن المجمع عليه أن جميع شعراء المعلقات في الجاهلية لم يكونوا مسلمين ولم يسلم منهم بالاتفاق سوى لبيد بن ربيعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، مع اختلاف في أمر أعشى بكر ميمون بن قيس، والراجح أنه مات على غير دين الإسلام في القصة المعروفة.

لكن الطريف في الأمر أن من الدارسين من حمله الشوق الفنّيإلى معرفة حال هؤلاء الفحول من شعراء المُذهَّبات في حال إسلامهم كيف ستكون معلقاتهم بطابعها الإيماني؟!

نجد الجواب عن هذا السؤالالعجيب الغريب في كتاب طريف في الباب للأستاذ «يوسف العظم» رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث ألّف ديوانه وهو بعنوان: «لو أسلمت المعلقات: نظرات في المعلقات الجاهلية ومعارضتها بسبع إسلاميات».

فصل في المعلقة المسلمة، أو ماذا لو كان عمرو بن كُلْثُوم التَّغْلِبِيّ مسلمًا؟!!

تخيّل الشاعر العظيم يوسف العظم بمِخياله الأدبي المُرهَف ماذا لو كان عمرو بن كُلثوم التغلبيّ مسلما موحِّدا، فبدل أن يقول مفتخرا بخمرياته وغزواته الفروسية:

ألا هُبِّي بصحنِك فاصْبَحِينَا
ولا تبقي خمور الأندرينا
مُشَعْشَعَةً كأنَّ الحُصَّ فيها
إذا ما الماءُ خَالطَها سَخِينَا
أبا هند فلا تعجل علينا
وأنْظرنا نُخَبِّرْكَ اليقينا
بأنّا نوردُ الرَّايَاتِ بيضًا
ونُصْدرهنَّ حُمْرًا قد رَوِينَا

سينظم معلقته في حال كونه مسلما على الشكل التالي:

أَلا هُبّي بربِّك نبِّهينا
فَنُورُ الفجر أَوشَك أن يَبِينَا
لِنَسْجُدَ للمُهيمنِ في خُشُوع
وَنرْكَعَ لِلَّذِي فَطَر الجَنِينَا
أَخَا الأوثان لَا تعجل عَلَينَا
وَلَا تحمل لِواءَ المَارِقينَا
لعلَّ اللهَ يَشْرَحُ مِنْكَ صَدْرًا
فَتمضِي في دُروبِ الصَّالِحِينَا

فصل في المُعلَّقة المسلمة، أو ماذا لو كان امرؤ القيس مسلما؟!

ماذا قال صاحبنا معارضا شاعرنا الفحل امرأ القيس في معلقته التي يقول فيها:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ
بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ
فَتوضِحَ فَالمِقراةِ لَم يَعفُ رَسمُها
لِما نَسَجَتها مِن جَنوبٍ وَشَمأَلِ
تَرى بَعَرَ الآرامِ في عَرَصاتِها
وَقيعانِها كَأَنَّهُ حَبُّ فُلفُلِ
كَأَنّي غَداةَ البَينِ يَومَ تَحَمَّلوا
لَدى سَمُراتِ الحَيِّ ناقِفُ حَنظَلِ

هاكم المعلقة القيسيّة المسلمة فلنستمعْ جميعا:

قِفَا نبكِ من ذِكْرٍ تَحَدَّرَ من عَلِ
وقَوْلٍ من الرّحمن والحَقُّ مُنْزَلِ
يرِقُّ به قلبي وتسمُو خَواطري
وتَصفُو به نفسي وَينْفَكُّ مُعْضَلِي
كتابٌ من الأحكام والبِرّ آيُهُ
وفَيْضٌ من الإلهامِ والنُورِ يَنْجَلِي
تَسَامَى بنا في مَوْكَبِ المجدِ والعُلى
وأَرسَى لنا رُكْنًا مِنَ الحُكْمِ فَيْصَلِ

يَتِيهُ على الأكوانِ قَولاً وحكمةً
ويُحيِي لنا الآمال غَيْرَ مُخَذّلِ
كتابٌ ودستورٌ وشِرْعَةُ أُمّةٍ
ونورٌ من الإيمانِ والمنطقِ الجَلِي

باب في تحقيق الألقاب القيسية وتدقيقها:

شُهِر امرؤ القيس بلقبين شهيرين يحفظهما الصغير قبل الكبير وهما «ذو القروح» و«الملك الضِّلِّيل» فما تحقيق كُلٍّ منهما؟

ذو القروح: أي صاحب الجراح التي خلَّفتها الحُلَّة المسمومة التي أرسلها له القيصر الروماني «يُوسْتَنْيَانُوس» انتقاما منه بعد أن بلغه أمر علاقته بابنته الأميرة ليموت سنة (٥٦٠ للميلاد) متأثِّرا بقروحه، وقد روي غير ذلك بشأن مقتله وهذه أشهرُها وأرجحُها.

ملحظ توثيقي:

- للتوسّع ينظر: «سرح العيون» و«الأغاني» و«المُوشّح» وكل كتب الأدب الجاهلي القديمة.

الملك الضِّلِّيل على وزان فِعِّيل لكثرة ضلاله وفجوره ووثنيّته وإسرافه على نفسه خمرًا ولذَّةً وتشبيبًا بالنساء، حتى إن أباه طرده من البيت وآلى ألا يعود إليه، ومع ذلك أكمل طريقه المنحرف وانصرف إلى الفسق والمجون ومعاقرة المُدامَة.

فصل: رأي آخر لشيخ العربية وإمامها أبي فهر:

يرى شيخنا الإمام أبو فهر محمود محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حاشية من حواشيه على تحقيق كتاب «فحول الشعراء لابن سلّام الجُمَحِي» أنه لقّب أيضا بالملك المُضَلَّل –اسم مفعول من الفعل الرُّباعي ضَلَّل– وهو الذي لا يوفق لأيّ خير لما كان من حيرته في الثأر لأبيه وطلب ملكه وإخفاقه بعد الجهد.

ملحظ توثيقي:

- يُرجى للتوسع النظر في حواشي تحقيق الدكتور مصطفى عليان لموائد الحيس.

أمّا عن كونه وُصِف بالملك فلأنّه وَرِث الملك عن أبيه الذي كان ملكا على بني أسد؛ حيث نشأ في بيت ملك واسع

الجاه في نجد وسط قوم عدنانيين، وعندما قتل بنو أسد أباه ثارت نفسه وفارت وأزال عنه لباس الخلاعة طلبا للثأر وقال مقولته القيسية التي صارت مسيرة النيّرات ومضرب الأمثال: «... لَا صَحْوَ، اليومَ خَمْرٌ وَغَدًا أَمْرٌ».

ملحظ توثيقي:

- انظر مجمع الأمثال للميداني المثل رقم: ٤٦٨٤.

باب الشاعر بين المقامات الشعرية:

فصل في مقام امرئ القيس عند الصحابي الجليل الشاعر المخضرم لبيد بن ربيعة صاحب المعلقة:

تنقل لنا كتب الأدب ككتاب «موائد الحيس» للطوفيو» طبقات فحول الشّعراء» للجمحي و«الشّعر والشّعراء» لابن قُتَيْبة شهادة لبيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في امرئ القيس تُظهر المكانة الكبيرة لهذا الشاعر في قلب لبيد، فعندما سُئِل عن أشعر الناس قال: «الملك الضِّلّيل -ويقصد به امرأ القيس- ثمّ الشّاب القَتِيل -ويقصد به طرفة- ثمّ الشيخ أبو عَقِيل» ويقصد به نفسه.

فصل في مقام امرئ القيس عند الشّاعر غالب بن همام بن صعصعة المعروف بالفرزدق الأموي:

عندما افتخر الفرزدق بشاعريته ذكر ثُلَّةً من جِلَّة كبار الشعراء الذين يفخر أنهم وهبوه الشعر وورثه عنهم فقال:

وَهَبَ القَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ إِذْ مَضَوْا
وَأبو يَزِيدَ وذُو القُرُوحِ وَجرْوَلُ

إضاءة أدبية:

- يقصد بقوله و«أبو يزيد» الشاعر المخضرم الفحل المُخَبَّل السَّعْدِي أو القريعي من قبيلة أنف الناقة.
- و«ذو القروح» هو لقب شاعرنا امرئ القيس كما مرَّ معنا.
- و«جَرْوَل» هو الحطيئة واسمه جَرْوَلُ بن أَوْس أبو مُلَيْكَة الشاعر المُخَضْرَم.

فصل في الاستدراكات المهديّة على شرَّاح القصائد الفرزدقيّة

للأمانة العلمية واحتراما للبحث الأكاديمي نطرح سؤالا إشكاليا كالتالي: ما المقصود بالنوابغ حقيقةً؟! هل النوابغ هم الثلاثي المعروف لدى القاصي

والداني الـذي جرى بهم القلـم الأدبي في شـرح البيت وهم: النّابغة زِياد بن معاوية الذبيـاني الجاهلي،والنابغة حَبَّان بن قيس الجَعدي المخضرم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والنّابغة عبد الله بن المخارق الشَّـيْبَانِي الأموي؟ أم أن هناك شعراءَ نوابغَ آخرين لقِّبوا بهذا اللَّقب وأغفلتهميراعة شُرّاح ديوان الشاعر الذي قد يكون قصدهم من باب خَفِيّ.

الحقيقـة أن مـن ذهب من الدارسـين والناقديـن، وهم كثر، إلـى أن النوابغ هم الثلاثة المذكورة أسـماؤهم آنفا فقط فقد ظلم النوابغ الذي يصل عددهم إلى ثمانية أو عشرة نوابغ، أغلبهم شعراء متمكنون، منهـم مـن عـاش في الجاهليـة ومنهم من عـاش في صـدر الإسـلام، وقـد جمعهم الأستاذ حسن السـندوبي مشكورا مقتفيا آثارهـم في كتابـه الباتـع المفيـد: «أخبار النوابـغ وآثارهـم في الجاهليـة وصـدر الإسـلام»، ونسـتدرك علـى الأسـتاذ أن منهـم من عـاش في ظـلِّ الدَّولـة الأموية كالنابغة الشيباني، وسنقصر الحديث فقط علـى ذكر تمام الثمانية مـن الثلاثِ الأُوَل وهم خمسٌ كالتالي:

النابغـة الحَارِثِي وهو يزيد بن أبان قال عنه الآمدي شاعر محسن.

النابغة العُـدْوَاني من بني وابش بن زيد بن عدوان.

النابغـة العُدْوَانِـي من يَرْبُـوع بن لقيط ينتهي نسبه إلى مسـعد ذبيان ولذا يقال له النابغة.

النابغةالذُّبْيَانِي وهو غير النابغة الذبياني زيـاد بن معاوية صاحب المعلقة ويقال له أيضا نابغة بني قتال.

والنابغـة الغَنَـوِي بـن لأي بـن مطيـع ينتهي نسبه إلى غني.

والنابغـة التَّغْلِبِـي هـو الحـارث بـن عدوانينتهي نسبه إلى غنم بن تغلب.

ملحظ توثيقي:

- للتوسـع فلينظـر: ديوان امـرئ القيس، أخبـار المراقسـة وأشـعارهم وأخبـار النوابـغ وأخبارهـم في الجاهلية وصدر الإسـلام. جمعها وقـدّم لهـا وحقّقها: حسـن السـندوبي. راجعها وشـرحها: أسامة صلاح الدّين منيمنة.

باب في المقامات القيسيّة في الكتابات الأدبية والنقدية

من أوائل دهاقنة العلمو أساطينه الذين اهتمّوا بشعر امرئ القيس شرحا ونقدا وتنقيدا واستكناها لِغَوْر بديع فرائده والوقوف على رفيع شرائده الإمام الكبير الأصولي الفقيه المفسر نجم العلماء ومجرة المحققين نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الحنبلي رضي الله عنه وأرضاه (ت ٧١٦هـ).

فصل عن «موائد الحَيْس في فوائد امرئ القَيْس»:

هذا الكتاب البديع الصنع العميق الغور يُعتبر من أهمّ وأجلّ المصادر النقدية التي وصلتنا عن الطوفي الإمام حول جمالية شعر امرئ القيس صاحب المعلقة.

والقارئ لمقدمة هذا الناقد الفِطَحْل في كتابه يجد مدى إعجابه الكبير الكامل بامرئ القيس، ليس لأنه شاعر فحل وإمام في بابه فقط، وإنما لأن إعجابه به ورثه من إعجاب سيّد البلغاء في زمانه الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذي القروح.

وأرجع شخصيا هذا إلى حبه الشديد لآل البيت وللسُّدَّة العلوية حتى إنّه ٱتُّهم بالتشيّع كما هو معلوم عند من ترجمه أو كتب عنه وعلى رأسهم محقق هذا الكتاب «الدكتور مصطفى عليّان» الذي أتقن تحقيق الكتاب وتدقيقه على منهج علميّ أكاديميّ رزين ومتين ومناقشة فكر وفنّ الإمام الطوفي حذو القُذَّة بالقذّة.

لقد ألقى الطوفي العلّامة الأضواء النّقدية الكاشفة لمكامن حسن الملك الضِّليل في تصاويره الشاعرة وإبداعاته النادرة، ولئن كان الشاعر أول من وقف واستوقف فقد كان الطوفي أيضا يستوقف القارئ كثيرا عند أبيات المعلقة المجيدة مبرزا عبقرية الشاعر في ابتكار المعاني عن طريق النظرة النقدية الفاحصة تارة، والتحليل تارة أخرى والبحث عن متشابه الأبيات فيما بينها تارة أخرى. أما منهج الموازنة فقد رغب عنه الطوفي لأنه لا يعدل بامرئ القيس أحدا من الشعراء كما قال المحقق في مقدمة تحقيقه.

فصل في وقوف الكبار بالإجلال والانبهار لبيت قيسيّ لنظم مثله عصيّ:

الإمام الأصولي الناقد الطوفي وعلامتا الأندلس أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي وناقد الأندلس ابن سعيد المغربي نموذجا:

كأنّ قلوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويابسًا

لَدَى وَكْرِها العُنَّابُ وَالحَشَفُ البَالِي

هذا البيت الفريد اليتيم بحثنا جهد الحريص عن أخ له بين عشرات الدواوين فلم نجد له مثيلا. فقد اعتبره العلامة ابن سعيد المغربي من الأشعار «المُرْقِصَات»، ودرجة «المرقصات» عند هذا الناقد الخبير هي أرقى وأسمى درجات الجودة الشعرية، وجعل البيت المقتطف من مطلع قصيدته الفريدة التي يقول فيها:

ألا ٱنعَمْ صباحًا أيُّها الطَّلَلُ البَالي

أوّلَ مُرقصات الشاعر المُقدَّمة عن مرقصات معلقته الشهيرة، وقال أوّل ما قال في حقه مدبّجا وموشّيا: «من محاسن شعراء الجاهلية وإمامُهم وحاملُ لوائهم امرؤ القيس».

كما أنّ الطوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ اعتبر هذا البيت بالذّات من فريد وبديع الشعر العربي.

أما الإمام الشريشي شارح مقامات أبي محمد القاسم بن عليّ الحريري فاعتبره إعجازا لنُظَّام القريض بعد امرئ القيس، وساق قصة إمام الشعراء المُحدثين بشار بن برد مع البيت حيث أتعب فكرهفي أن يأتي بمثله فكبا جَواده وخبا زِناده.

ومن أسرار جمالية البيت أن ٱمرأ القيس الشاعر يشبه شيئين بشيئن في تشبيه واحد بارع البلاغة قلما يصل الإبداعُ البشري لمرتبته.

ملحظ توثيقي:

- فلينظر: موائد الحيس في فوائد امرئ القيس للإمام نجم الدين الطوفي تحقيق الدكتورمصطفى عليان.
- شرح مقامات الحريري للإمام لأبي العباس الشريشي تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل.
- المُرْقِصَات المُطْرِبَات للعلاّمة النّاقد ابن سعيد المغربي، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي والأستاذ إبراهيم أبو الفضل.

باب في موضوع: امرؤ القيس الجنّيّ، هاجسُ شِعر أم هاجسُ مَدح:

يـؤرِّخ أهـل الأدب لظاهـرة الهواجـس التـي ظهـرت في الجاهليـة وعـزوا أمرهـا لمخلوقات نارية اسمها الجن، فلكل شاعر نابـغ في نظـم القريـض هاجسُـه مـن الجنّ يقول الشـعر على لسـانه، وجعلـوا لهؤلاء الجـن موضعا يؤوبـون إليه وفيه مسـكنهم وقطينهم يسمى «وادي عبقر». وقد اختلف المؤرِّخون بصدده، أيوجد في الحجاز قرب مكـة المكرمـة أم في اليمـن؟! إلا أن هـذا المـكان العجيب مازال إلـى عصرنا محط إلهام شـعراء في الكتابة الشـعرية، فأميرهم «أحمد شـوقي» وظّف اسـم وادي عبقر في أبيات له في «مسـرحية قيـس وليلى»، وكذا الشـاعر الكبير «شـفيق المعلوف»، الشاعر المهجـري أخو الشـاعر المعـروف فوزي المعلوف الذي يعتبر من مؤسسي «العُصْبَة الأَنْدَلُسِيّة» بالبرازيل، أسمى ديوانه: «عَبْقَر» على اسم هذا الوادي العجيب الغريب.

هذا الوادي على شـهرته فقـد اخْتُلِف بشأنه جُغْرَافِيًّا، فانتقلت عدوى الاختلاف إلـى حـدّ الإبطـال أصالـةً بشـأن تواجد هواجسَ جنيَّةٍ حقيقيةٍ تبسـط زرابي النَّظم العبقري على مِقْوَلِ الشـاعر فيتوشَّـى بها قصيدُه.

في هذا الباب يقول الأعشى مرجعا سر نبوغه لهاجسـه من الجن واسمه «مسحل السكران بن جندل أو مسحل بن أثاثة»:

فما كنتُ ذا شِعر ولكن حسبتَني
إذا (مِسْحَلٌ) يُسدي ليَ القولَ أَنْطِقُ
شَـريكانِ فيمـا بيننا من هَـوادَةٍ
صَفِيّـانِ: إنسـيٌّ وجِـنٌّ موفَّـقُ
يقـولُ فـلا أَعْيَـا بشـيءٍ يقولُه
كفـانيَ لا أَعْيَـا ولا هـو أَخْـرَقُ

وقال آخر:

إني وإنْ كنـتُ صغيـر السـنِّ
وكـان في العـين نُبـوٌّ عنّي
فـإنّ شيـطاني أمـيرُ الجـنِّ
يذهـبُ بـي في الشِّـعر كل فـنِّ

فصـل في روايـة الجاحـظ ومقاصدها الدلاليّة والفنيّة:

يقول شاعر تغلب وفارسها:

وقـد هَـرَّت كِلَابُ الحـيِّ مِنَّـا
وشـذَّبْنـا قَـتَـادَةَ مَـنْ يَلِينَا

الـجَـاحِـظُ يـروي الـبيـت في كتابه «الحيوان» كالتّالي:

وقـد هَـرَّت كِلَابُ الجـنِّ مِنَّـا

وشـذَّبْـنَـا قَـتَـادَةَ مَـنْ يَلِينا

فقـد أسـمى هـذه الهواجس الشـعرية بالكلاب، وهو لا يقصد في نظرنا بالكلاب هنا الكلب المعـروف بنباحه، إنما يقصد بها الأسـود لأن من أسماء الأسد الكَلْب. جـاء في لسـان العرب:الكلـب كُلُّ سَبُعٍ عَقُـورٍ. وفي الحديـث: «أَمَـا تخـافُ أَنْ يأْكُلَكَ كَلْبُ اللّهِ؟ فجاءَ الأَسدُ ليلاً فاقْتَلَعَ هامَتَه من بيـن أَصحابه». وقد جعله أيضا صاحب القاموس من أسماء الأسد.

أما عن الفعل المضعّف الثلاثي اللازم هَـرّ في البيـت وإن كان خاصًّـا بالفصيلـة الكلبيـة، يقـال هَـرّ الكلـب إذا صوَّت في صـدره وكشَّـر عـن أنيابـه. فإنّـه بعـد أن تأمّلنا أسـرةَ هذا الفعل اشـتقاقا وجدنا أنّ «الهَرْهَرَة» هي صوت جري الأسد كما في اللسـان،والهُرّ بضمّ الهاء الأسد، فهو من أسمائه مما يُؤَكِّد احتمال تأويلنا السَّابق.

وبهـذا نكون قـد خالفنا شـرّاح الديوان لنؤكـد أن معنـى البيـت برواية الجاحـظ يمكـن تفسـيره بكـون أن الشـاعر يفخـر بشـاعريته الفذّة التي اهتـزت لها هواجسُ الجـن، ملـوك القافيـة، مرعوبـةً مُصـدِرَةً صوتَ هروبِها من الشاعر وشاعريته صوتا يشـبه إلى معنى قريب «الهَرْهَـرَة» كما بيَّنَّا. وهذا يعني من جهة أخرى فرار من يملكون نواصي القوافي أمام فحولة الشاعر.

فصـل في هواجـس الجـنِّ، أسـماءٌ أم أمداحٌ؟

يذكـر أبـو زيـد القرشـي في «جمهـرة أشـعار العـرب» جملة من أسـماء هؤلاء الهواجس الشيطانية التي تدلّ في معانيها، بعـد أن سـلَّطنا عليهـا الأضـواء البيانيـة الكاشـفة، مِدْحَـة خفيَّة عُرِفَ بها الشـاعر وأُثِرَت عنه:

فشـيطان النّابغة هو «الهـادر بن ماهر»، والهَـادِر: صفـة تـدور في فلـك الجمـال والقـوة والرفعـة. والهديرُ: صوت الأسـد وصـوت الحمـام في حناجرهـا وصـوت الفحل، ويُقـال صوتٌ هـدّار أي مُجَلْجِل قـويّ. وكلها معـان، كما يلاحـظ القارئ الكريم، تُتَرْجِمُ مكانة وقوّة النابغة الشعرية وما عرف عنه من جزالةٍ في النظم كالأسـد



الزائر، وفحولـةٍفي التصوير كالفحـل المِعطـاء، ورِقـة في اسـتعمال الألفـاظ كصـوت هدير الحمام المُبكـي. فكلّها إذاً صفات تنمُّ عن مهارة راقية في تملّك أدوات النظم والمُكْنَـة الفائقة في صوغ العبارات، ممـا حذا بالعرب أن يختاروا اسـم الماهر بأبعاده الفنية أبا للهادر، وكلها معانٍ تصبّ في قوّة الشاعر وتمكّنه في النّظم.

الشـيء نفسـه مع هاجس شـاعرنا قيد التحليل والدراسـة، فهاجسه يترجم مدى قوة ألفاظه وجزالتهـا ودقةكلماتهوعمقها الدلالـي والفنـي، وكـذا قـوة ملاحظتـه التصويريّة. الشـيء الذي دفـع العرب أن تختار لشـيطانه اسـما يتواءَمُ وهـذه القيمَ الشعرية وأبعادها وهو «لافظ بن لاحظ».

هذا الملحظ البياني النّقدي من العرب ظهـر أيضـا في تمييزهـم بيـن الشـيطان المُجيـد والشـيطان الـرَّديء؛ فالشـيطان المُجيد الذي يبلغ معه الشـاعر حد النبوغ الشـعري والفحولـة يسـمونه «الهوبـر»، ولهذا الاسـم أبعادٌ تداوليّـة عندهم تدور في فلـك الخيـر الكثير والجمـال والقوة. فـ«الهَوْبَـر والأَوْبَـرُ» كماجاء في اللسـان: «الإبل الكثيرة الوبر»، والهوبر الفهد وهو أيضًـا السَّوْسَـن. وكلهـا معـان تصبُّ في جماليـة وقوة وفحولة الشـاعر «المُهَوْبَر» إن صحَّ التعبير بذلك.

وأما الثاني ممن هو دون الأول فيسمّونه «بالهَوْجَـل»، وهو اسـم يـدور في فلكيات الخِسّـة والوَضاعة. فالهَوْجَـل هو الرجل الأحمق المجنون كما في اللسان، والهَوْجَل أيضـا الأرض لا نبـات فيهـا، والفعل منه هَجَّـل، يقال هجّلتَ الرَّجـلَ وبالرجلِ أي أسـمعتَه القبيح وهجوتَه، وهجّلتِ المرأة الرجلَ أدارت عينها لتغمزه.

وكما هـو ملاحظ من مادتـه فهو مدار كل شـر وخسـة، وهـذا سـر تسـميتهم لشيطان الرداءة بهذا الاسم خاصة.

فصل في الجـنُّ تعتـرف بفحولة امرئ القيس وتقدّمِه على سائر الشعراء:

في روايـةٍ لأبـي زيـد في جمهرته يسـوق قصـةً تلخيصُهـا أن أحدَهم التقـى بجنيٍّ في الطريـق فسـأله عن أشـعر العـرب، فقال له هـاذر -وهو هاجـس النابغة كما مـرّ- وقد ورد اسمه بالذال المعجمة هنا، حيث يقول:

ذَهب ابن حُجْرٍ بالقريضِ وقَوْلِهِ
ولقـد أجـادَ فمـا يعـاب زيـاد

فسأله عن هاذر من يكون؟! فأجابه إنه صاحب زياد الذبياني يعني به النابغة.

وهذا على فرض صحة الرواية من عدمها فإن مَسَاق الدَّليل يبرز بقوة مكانة امرئ القيس التي فرضت على هاجس النابغة أن يعترف بتفوُّقه على صاحبه، وهذه قمة في الموضوعية التي قد لا نجدها في بعض النَّقَدَة والكَتَبَة اليوم، ها نحن قد وجدناها عند بعض الجِنَّة من رواة الأشعار.

ملحظ توثيقي:

- ينظر: ديوان عمرو بن كُلثوم صنعة الدكتور علي أبو زيد.
- كتاب الحيوان للجاحظ بتحقيق عبد السلام هارون.
- كتاب جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، لأبي زيد محمد بن أبي الخطّاب القُرشي.

باب في المعلّقة القيسية والمتشابه الداخلي:

أوّل من نبّه لمتشابه المعلقة، فيما نعلم،العلامة الإمام نجم الدين الطُّوفي في كتابه السالف الذكر «موائد الحيس في فوائد امرئ القيس».

فمن متشابهها ما أنشده امرؤ القيس في مواضع له شعرية قد تغفل عن عقول بعض الباحثين أو النابهين من طلبتنا، كقوله في البيت الشهير من المعلّقة يصف فرسه:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا
كجُلمودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

شبيهه في نظمه من قصيدة له نونية على نفس البحر يقول في أحد أبياتها واصفا فرسه:

مِخَشٍّ مِجَشٍّ مُقْبلٍ مُدْبِرٍ معًا
كَتَيْسِ ظِبَاءِ الحُلَّبِ العَدَوَانِ

إضاءة لغوية:

مِخَشٍّ: الفرس المقدّم.

مِجَشٍّ: الفرس الذي في صوته بَحَّة.

وفي باكورة قصيدة له تشبه مطلع المعلّقة يقول:

قِفانَبْكِ من ذِكْرَى حَبِيبٍ وعِرْفَانِ
وَرَسْمٍ عَفَتْ آياتُه مُنذُ أَزْمَانِ

باب في عالمية المعلقة وشهرتها ومدى اهتمام المغاربة بها:

فصل مدخليّ في تمكّن المغاربة من ناصية علوم اللغة واهتمامهم بها:

من أبدع ما وصلنا في تهمّم المغاربة بالدرس اللغوي والتعلّق الحميمي بإشكالاته وقضاياه ما رواه صاحب «الذيل والتّكملة» بشأن زيارة العلامة الإمام «أبي علي الشلوبين» لمراكش ودخوله لمسجد باب دكالة العريق وسماعه الطلبة يدندنون حول قواعد اللغة وأصولها ما جعله مندهشا محبِّذا الدخول إلى بُهْرَة الحلقة، حتى إذا جاء «الشيخ أبو موسى الجزولي المغربي الأمازيغي تلميذ الإمام ابن برّي المصري» أنصتوا له فسمع الإمام الأندلسي ما لا قبل له به. وقال: «إذا كان مثل هذا الموضع الخامل الذي يكاد لا يؤبه له، ولا يعد من كبار مجالس العلم، لكونه في أخريات البلد، ينتصب للتدريس فيه مثل هذا البربري البعيد في بادي الرأي عن التكلم فضلا عن مثل هذا الاستبحار في النحو، فما الظن بالمجالس المحتفلة، والمساجد المشهورة التي يعتنى بها وبمدرسيها ولاة الأمر، ويعظم فيها الحفل، ويجتمع إليها أكابر طلبة العلم، هذا بلد لا أسود فيه بعلمي، فانكفأ للحين من ذلك الموضع، ولم يحل بمراكش، ولا حضر مجلسا من مجالس أساتيذها، وعاد إلى بلده إشبيلية مقضيًا العجب مما شاهده» انتهى.

نضيف إلى هذا حادثة طريفة جرت للشيخ الأديب اللغوي الشهير المراكشي أحمد الشرقاوي إقبال صاحب «معجم المعاجم» مع عالم سوس وشاعرها وأديبها المختار السوسي وزير التاج آنذاك حول كلمة «الغِرْقِيء» التي شرحها العبقري الصغير آنذاك من «كتاب الكامل» للمبرّد أمام ذهول الحاضرين، وكنتُ قد استفدت من سنَدها التوثيقيّ من مقال ماتع كتبه العالم الجليل صديقنا الشيخ الدكتور عباس ارحيلة حفظه الله، حيث أسند الحادثة للشرقاوي في مراسلة بينه وبين الشيخ المختار السوسي، تقديم وتعليق: أحمد متفكر، حوليات كلية اللغة العربية، العدد الثامن الصادر سنة: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

إضاءة لغوية:

- في لسان العرب: والغِرْقِئُ: القشرة المُلْتزقة ببياض البيض. وفيه أيضًا: الغِرْقِيء القشرة القِيقيّة.

كما أنّ علماء سوس العالمة فيما أخبرني به شيخي «العلامة أبو الحسن محمد السوسي» حفظه الله يُحفّظون لطلبتهم «المقامات الحريريّة» طلبًا للذّلاَقة وانطلاق اللسان وكان عموم المدارس العتيقة من زوايا ومعاهد تليدة تدرّس منظومة ابن عاشر التي تقول في بعض أبياتها:

أوّلُ واجِبٍ على مَنْ كُلِّفا
مُمَكَّنا من نَظَرٍ أنْ يَعْرِفَا
اللّهَ والرُّسُلَ بالصِّفاتِ
ممِّا عَليه نَصَبَ الآياتِ

فلربما حوّروا البيت الأوّل لمكانة معلقة امرئ القيس في درسهم فأنشدوه لطلبتهم على الشكل التالي:

أوّلُ واجِبٍ على مَنْ كُلِّفا
أن يَعْرِفَ الله ويَعْرِفَ «قِفا»

ولننظر برفق وبصيرةٍ معنى البيت في مجمله من مصطلحات أصولية شرعية كالواجب والتّكليف مع معرفة الله تعالى، وهي أعظم المعارف المقرونة بمعرفة المعلقة، فإننا ولا غروى سنقف على نفاسة المعلَّقة وعزازتها في الدرس اللغوي في المغرب.

سؤال إشكالي:

كيف دخل شعر امرئ القيس للأندلس ثم بعده إلى المغرب؟!

تحكي الرواية التاريخية أن العلامة أبا علي القالي صاحب الأمالي هو أول من أدخل شعر امرئ القيس للأندلس في منتصف القرن الرابع الهجري في عهد الخليفة عبد الرحمن النّاصر الأموي الأندلسي، فنشره بين تلامذته الذين بثوه بين أهل العلم، فانكبّ عليه الطلبة حفظا وشرحا حتى اشتهر في الأندلس كله.

وكان من عظيم نَتاج هذا العمل الجليل أن وقع شعر امرئ القيس في يد أحد كبار علماء الأندلس وأدبائها الأعلمُ الشَّنْتَمَرِيّ (ت ٤٧٦ هـ) فانبرى في تأليف مؤلفه الجليل: «أشعار الشعراء السّتة الجاهليين» وقد طُبع بتحقيق الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي.

إضاءة أدبية:

يقصد الأعلم الشنتمري بالشعراء الستة في كتابه ستّةً من فحول الشعر الجاهلي، خمسةٌ منهم من أصحاب المعلقات وهم: امرؤ القيس وطرفة بن العبد وزهير بن أبي سُلمى وعنترة بن شداد والنابغة الذّبياني. وسادسهمعلقمة بن عَبَدَة الفحل.

ملحظ توثيقي:

- ينظر: «الذّيل والتّكملة لكتابي: الموصول والصِّلة» لأبي عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي المراكشي (ت ٧٠٣هـ). تحقيق الدّكاترة الأفاضل إحسان عباس ومحمد بنشريفة وبشار عوّاد.
- «تأثير امرئ القيس في الخطاب الأدبي والنقدي الأندلسي» رسالة دكتوراه تقدّم بها الباحث عمر فارس الكفاوين تحت إشراف الدكتور سمير الدّروبي عن جامعة مؤتة الأردنّ.
- أشعار الشعراء الستة الجاهليين للأعلم الشَّنْتَمَرِي (ت ٤٧٦هـ)، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي.

بابٌ في إبداعات المعلّقة وتفرّدها الفنيّ في السّرد القصصيّ الشعري والأَنْسَنَة:

علاقتنا بمعلقة امرئ القيس ترجعُ إلى العشرين سنة مضت تقريبا حيث حفظناها حفظا متقنا،وكنا نتلذّذ بعرضها غيبا، ونفتح كتاب الدكتور بدوي طبّانة لقراءتها منه. ولكنّي كنت ألاحظ،خاصة بعد اكتمال الأدوات النقدية واختمار الوسائل الفنية في دواخلي،سرَّ اللّذة الشعرية التي كانت تنتابني وتَتَملَّكُني منذ عهود لم تكن مجانية إنما كان مردُّها» براعة توظيف فنّ الحكي القصصي الشعري» أو بمعنى آخر «فنّ القصة المسرودة شعرا»؛ فامرؤ القيس كان يسرد علينا ببراعة نادرة قصته مع الجواري اللاّئي قصدن دارة جلجل للاستحمام، وكان بينهم عُنَيْزَة حبيبته،وكيف عقر لهن بعيره، وكيف ارتمت العذارى على اللحم، وما صاحب ذلك من أحداث دراميّة كانت سببا في نظم المعلّقة.

كل هذا كان بمنزلة لقطة مشهدية قصصية، يمكن بفعل المونتاج الفني إذا ألصقناها بقصة ذهابه إلى حبيبته إلى

خدرها وكيف أخرجها من بين قومها إلى الصحراء الفسيحة الواسعة، حيث سيصف شعرها بوصف يقصر الوصف ذاته عن الرقيّ إلى تلك الدقة الجمالية التي بلغها الشاعر،أن نجد قصة كاملة المعنى قائمة المبنى. وعليه يمكن أن نؤكد أن امرأ القيس هو المؤسس الحقيقيّ لما أسميه اجتهادًا مني «فنّ القِصّة الشِّعري»، وهذا ما يجده الدارس عند الحُطَيْئة في «قصيدته القصصية السردية» التي مطلعها:

وطَاوِي ثَلاَثٍ عَاصِبِ البَطْنِ مُرْمِلٍ
بِتَيْهَاءَ لم يعرف بها ساكنٌ رَسْمَا

إن الدارس للقصيدتين: المعلقة والقصيدة الحُطيئيّة بإمعانٍ لَيجدُ بجلاءٍ فنَّ القصة بارزًا واضح المعالم، حيث الشخوص تتحرّك وتتحاور وتتفاعلفي قالب دراميّ متحرك تَحرُّكَ لقطاتِ الفيلم الوثائقي الذي يؤرِّخ لمرحلة عُمْرِيّةٍ معيّنةٍ عاشها الشاعران كلاهما.

أما «الأَنْسَنَة» فيشرحها معجم المصطلحات الفنية للدكتور العلامة إميل يعقوب مع مجموعة من الباحثين بأنها إضفاء صفات الإنسان على الطبيعة. وهذا ما نجده بجلاء في المعلّقة، فالشاعر يحاور الليل بوجدانيّة فيّاضة مستعملًا أدوات التصوير البيانية، مشبهًا إياه بإنسان يسمع ويتحدث ويتأثّر، علّه يحسّ بلواعج ذاته وبآهات نفسه الصَّبَّة الحارقة:

ألاَ أيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ ألاَ انْجَلِي
بِصُبْحٍ، وَمَا الإِصْبَاحُ مِنكَ بِأَمْثَلِ
فيَا لَكَ مَنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ
بكل مُغار الفتل شُدّت بيَذبلِ

ولنَنْظُر جيّدًا كيفَ أنّ الشاعر لقدسية هذا الحوار بينه وبين الليل استعمل أرقى بلاغات البديع في الخطاب ليدل على جِدِّيَّة هذا الحوار «الإِنْسَلَيْلِيّ» المعتمد على تنوع الضمير المسمى بـ«الالتفات»، حيث خاطبه في البيت الأول بالضمير المُخَاطَب «وما الإصباح منكَ»، وفي البيت الثاني استعمل ضمير الغيبة «فيَا لك لَيلًا كأنّ نجومَه» ليعطي دلالة واضحةً على أن الليل رفض طلبه والتفت بوجهه عنه معرضا، لأنه في الأخير يعلم أن هذا الليل البهيم لا يمكنه أن يسمع آهاته أو أن يتكلم معه محاولا تخفيفها عنه، ولكنها

شدة الأشواق وتباريح آلام العشق تجعل الثابت مُتَحَوِّلًا والمُتَحَوِّل ثابتًا.

ملحظ توثيقي:

- لينظر: معلّقات العرب دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهليّ للدكتور بدوي طبّانة.
- قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية «عربي - إنجليزي - فرنسي» للدكتور إميل يعقوب وبسام بركة والأستاذ شيخاني.

بابٌ في بلاغات المعلقة بين توارد وحشيّها وبلاغة تنافر غريبها:

يقول امرؤ القيس في معلقته:

فلمّا أجزْنا ساحة الحيِّ وانتحى
بنا بطنُ خَبْتٍ ذي حِقَافٍ عَقَنْقَلِ

وَفَـرْعٍ يَزينُ المَتنَ أَسـوَدَ فاحِمٍ
أَثيـثٍ كَقِنـوِ النَخلَـةِ المُتَعَثْكِلِ

غَدائِرُها مُستَشزِراتٌ إِلى العُلا
تَضِلُّ العِقاصُ في مُثَنّىً وَمُرسَلِ

وكشحٍ لطيفٍ كالجَدِيلِ مُخَصَّرٍ
وسـاقٍ كأنبوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّلِ

وَيَعْطو برخصٍ غيرِ شَـثْنٍ كأنَّهُ
أَساريعُ ظبيٍ أو مساويكُ إسْحِلِ

يقول الشـاعر الكبيـر والناقد الأديب صفي الديـن الحِلِّي العراقـي منتقدًا هذه اللغة ذاكرًا بعضًا مما ورَد فيها بقوله:

إنّمـا الحَيزَبـونُ والدّردَبيسُ
والطَّخَـا والنُّقـاخُ والعَطْلَبِيسُ

والسَّبَنْتي والحَقصُ والهِيقُ والْـ
ـهِجْرِسُ والطرقسانُ والعسطوسُ

لـغـةٌ تـنـفرُ الـمسـامـعُ منها
حينَ تُـروى وتَشـمَئزّ النّفوسُ

وقبيـحٌ أن يذكـرَ النافـرُ الوحـ
ـشـيُّ منهـا ويتـركَ المأنـوسُ

أيـنَ قَولـي هـذا كثيـبٌ قَديـمٌ
ومَـقـالـي عَـقَـنقَـلٌ قَـدمُـوسُ

لـم نجـدْ شـاديًا يغني قفـا نبـ
ـكِ على العُودِ إذ تُدارُ الكؤوسُ

لا ولا مَن شَـدا أقيمُـوا بَني أُمْـ
ـمَتي إذا ما أُديـرَتِ الخَندَريسُ

أتُـراني إن قُلـتُ للحِبّ يـا عِلْـ
ـقُ درَى أنـهُ العزيـزُ النفيـسُ

أو إذا قلـتُ للقِيـامِ جُلـوسٌ
علمَ الناسُ ما يكـونُ الجلوسُ

خَـلِّ للأصمَعيّ جَـوبَ الفَيافي
في نَشـافٍ تَخِفّ فيـهِ الرّؤوسُ

وسؤالُ الأعرابِ عن ضيعةِ اللَّفـ
ظِ إذا أُشـكِلَتْ علَيهِ الأُسُوسُ
دَرَسَـتْ تِلكُمُ اللّغاتُ وأمسَـى
مَذهَبُ النّـاسِ ما يَقولُ الرّئيسُ
إنّـما هــذِهِ القُـلـوبُ حَـديدٌ
ولَـذيـذُ الألـفـاظِ مِغناطيسُ

نعم إنَّ سحر الألفاظ ووقعها لا يخفى رنينه في القلب الهافي إليها، ولذلك جاءت مرحلة هَلْهَلَة الشعر وترقيقه في زمان كان مثل هذه الكلمات جارية في خطاب اللغة التداولي اليومي، لذلك نجد ناقدنا الحِلّي العراقي يشنّ هجومًا على استخدام الوحشيّ من الكلام ومثّل له بالمعلقة لما تحويه من ضَرْبِه الكثير.

فصل في بيان مكانة المحظرة البلاغية في مؤسسة ابن تاشفين للأبحاث والإبداع:

كنا قد أبنّا عن فلسفة استعمال الغريب والوحشي من الألفاظ في الشعر العربي في محظرتنا المُتَخَصِّصَة في التأسيس والتجديد لخطاب بلاغي متفرّد في العالم العربي، جعلنا له شرح نظم الأخضري للجوهر المكنون عنوانًا له، لقِي ولله الحمد والمِنّة شهرة وقبولًا وطنيًا ودوليًا بارزًا لدى أساتذة البلاغة العربية ودكاترة الأدب العربي وطلبته. فليرجع إليه في صفحة مؤسستنا الرائدة الإلكترونية ابن تاشفين للدراسات والأبحاث والإبداع.

لكن الذي راعني كثيرًا هو تمثيل كتب النقد والأدب لتنافر الحروف بكلمة «مُسْتَشْزِرَات» الواقعة في الأبيات السابقة، وتنافرها أمر لا يسَعنا إنكاره بالقطع، لكن ماذا أراد أن يقول امرؤ القيس خلف هذا التنافر الذي ذمّه الكل؟ وما المعنى الغميس وراء تنافر حروف كلمة «مُسْتَشْزِرَات»؟!

لقد اجتهدتُ فوجدتُ أن وراء تنافر حروف الكلمة الثقيلة على الآذان «مستشزرات»أي عاليات، وهي الدلالة المعجمية الواقعة صفة لعقائص حبيبته أي ضفائرها، معنى جميلا وخفيًّا؛ ذلك أن الشاعر وقد انفرد بحبيبته «عُنيْزة أو فاطِمة» في الصحراء بعد أن أخرجها من خدرها، رأى أن الرِّيح يرقص بشعرها المنسدل على كتفيها، فشاهده في صورة متنافرة. فتارة عاليًا وتارة هابطًا، في تموّجات راقصة تتناغم وحركةَ الرِّياح



الصحراوية القوية ليلًا. وهذه الصورة انطبعت في عقل الشاعر على صورتين:

- صورة معجمية لعلوّ عقائص حبيبته، دَلّت عليها دلالة الكلمة «مستشزرات».

- صورة صوتية دالة على تنافر شعر الحبيبة الذي يراه كذلك أمامه بفعل رقص الرياح به، وقد تمّت من خلال صورة تنافر حروف الكلمة.

ختامًا:

هذه هدية من عاشق محبّ للغة العربية وأهلِها، لفَفْنَاها بثَوب الكرامة والحُبّ، ووضعنا فيها أغلى ما نملك وأحسن ما نقدر عليه منهجًا وأسلوبًا وتوثيقًا وطريقةَ عرض.

وهذا جُهْد المُقِل، لعلّه يفي بالغرض ويكون فيما قدمناه غُنية وكِفاية لكل طلبتنا والدارسين الباحثين في المجال الأدبي واللغوي حتى يهتدوا إلى التّأصيل العلمي بأيسر الطرق مهيعًا وأوضحها مسلكًا، لأنّ «من سَلَك الجَدَد أمِن العِثَار».







التعليم في العراق

(أَسبَابُ تَصدُّعِ صُروحِهِ.. وَانْتِكَاسُ طُلَّابِهِ)

بكر آل مهدي

إِنَّ الناظِرَ إِلى واقِعِ التَّعليمِ - في العِراقِ! - مِنْ بَعْدِ (الاحتِلالِ!) - عام ٢٠٠٣م وإلى الآن! -؛ سَيَشعُرُ بِخَيبَةِ أَملٍ؛ لِعَظيمِ الأَلَمِ، ويَتَعاظَمُ وَقْعُ هَذهِ الخَيبَةِ على نُفوسِ (المُخلِصينَ) مِنَ التَّربَويِّينَ - كِبارًا، وَصِغارًا -؛ فَقَدْ رَأَوا ما لا صَبْرَ لَهُم على احْتِمالِهِ!

وَلَو تأَمَّلْنا - مَلِيًّا -؛ لَظَهَرَتْ لَنا - جَلِيًّا - أَسبابُ تِلكَ (الانْتِكاساتِ!) الَّتي تكالَبَتْ على (العَمَلِيَّةِ التَّربَوِيَّةِ)، حَتَّى نَخَرَتْها كَـ(السُّوس)، فَلَمْ يَبْقَ - مِنْها - إِلَّا آثارُ اسْمٍ مُتَهالِكٍ، لَيسَ لَهُ مِنْ ذاكَ الاسْمِ نَصيبٌ!!

وَلِأَجْلِ ذَلِكَ:

لَا بُدَّ أَنْ نُسَلِّطَ الضَّوْءَ على أَهَمِّ تِلْكَ الأَسبابِ، نَسْتَلُّهَا - اسْتِلَالًا - مِنْ وَاقِعِ ما نَراهُ وَنَعيشُهُ - بِوَصْفِنا (تَرْبَوِيِّيْنَ) -، بِعَدْلٍ وَإِنْصافٍ.. بِلَا تَعَدٍّ، وَلَا إِجْحافٍ؛ فَأَقولُ:

إِنَّ مَنْشَأَ التَّرَدِّي العِلْمِيِّ الحَاصِلِ فِي (العَمَلِيَّةِ التَّرْبَوِيَّةِ) - بِكُلِّ تَفَرُّعَاتِها - هُوَ:

١ - عَدَمُ الكَفاءَةِ العِلْمِيَّةِ عِنْدَ (بَعْضِ!) المُدَرِّسِينَ -فِي مَجَالَاتِ تَخَصُّصِهِم-: وَمِنْ بَابِ الإِنْصافِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الحَالَاتِ لَيْسَتْ كَثِيْرَةً وَلَا قَلِيْلَةً، بَلْ: (نَادِرَةً).. أَقولُ هَذَا لَيْسَ (تَهْوِيْنًا) - لِلْمُعْضِلَةِ - أَوْ

(تَوْهِينًا) لَـهَا، وَفِي المُقَابِلِ: لَا نَـرْتَضِي أَنْ تكونَ (تَـهْوِيْلًا) -كَمَا يُصَوِّرُه بَعْضُهُم!-؛ فَيَتَّخِذونَهَـا ذَرِيْعَـةً وَمُسَـوِّغًا لِلإِسَـاءَةِ لِلتَّرْبَوِيِّيـنَ، وَالطَّعْنِ فِيْهِـم؛ فَيَحُطُّونَ مِنْ قَدْرِهِمْ -جُمْلَةً، وَتَفْصِيْلًا!-، وَيَصِفُونَهُم بِأَلفَـاظٍ نَابِيَةٍ، بَعِيدَةٍ عَنْ الأَدَبِ وَاللِّيَاقَةِ -بِكُلِّ أَسَفٍ!-.

وَالَّذِي يَنْبَغِي: هُوَ تَشْـخِيصُ الدَّاءِ، بِلَا (إِفْرَاطٍ)، وَلَا (تَفْرِيْطٍ)، وَمَتَى مَا كَانَ النَّقْدُ مُنْضَبِطًـا، وَمَبْنِيًّا عَلى (الإِنْصَافِ)، وَخَالِيًا مِـنَ (الإِجْحَـافِ)؛ آتَـى ثِمَـارَهُ الطَّيِّبَـةَ المُسْتَسَـاغَةَ، وَمَتَـى مَا كَانَ النَّقْـدُ لِأَجْلِ النَّقْـدِ - فَحَسْـب-!، وَلإِشْـبَاعِ النُّفُـوسِ العَلِيْلَةِ؛ فَإِنَّهُ سَيَتَلَاشَـى، وَلَا يَبْقَى -مِنْهُ- إِلَّا (سَوْءَةٌ) لِقَائِلِهِ -تُلَاحِقُهُ، وَتُلَاصِقُهُ-.

٢- غِيَـابُ (القُدْوَةِ): كُنَّا نَسْـمَعُ -وَلَا زِلْنَـا-: (أَنَّ المُعَلِّـمَ هُـوَ القُدْوَةُ الحَسَـنَةُ لِطُلَّابِـهِ)، وَلَا زِلْنَـا نَسْـمَعُ -أَيْضًـا-: أَنَّ كَثِيْرًا مِنَ الطُّلَّابِ يَتَأَثَّرُونَ -تَأَثُّرًا إِيجَابِيًّا- بِعَـدَدٍ مِـنَ المُعَلِّمِيـنَ، وَرُبَّما تَكـونُ لَـهُمْ كَلِمَةٌ مَسْـمُوعَةٌ وَمَقْبولَةٌ أَكْثَرُ مِنْ آبائِهِم!، وَهَـذَا لَمْ يَأْتِ مِنْ فَرَاغٍ -البَتَّةَ-، وَسَـبَبُهُ: هُوَ بُرُوزُ الجَوَانِبِ (الدِّيْنِيَّةِ، وَالأَخْلَاقِيَّةِ، وَالمِهَنِيَّـةِ) لِـهَـذا المُرَبـي؛ أَدَّى إِلَـى (انْجِـذَابِ الطُّـلَّابِ إِلَيْهِ.. وَتَأَسِّـيْهِمْ بِهِ.. وَالإِقْبَالِ عَلَيْهِ).

وَفِي هَذَا الجَانِبِ: نَرَى لَهُ وَجْهًا آخَرَ، وَهُوَ أَنَّ هُنَـاكَ عَدَدًا -لَا يُسْـتَهَانُ بِهِ- مِنَ (المُعَلِّمِيْنَ) هَدَمُوا صَرْحَ رِسَالَتِهِم النَّبِيْلَةِ بِأَخْلَاقِهِـم غَيْرِ النَّبِيْلَةِ!، وَلَم يَعُدْ لَـهُم ثِقْلٌ فِـي مَوَازِيـنِ (حُسْـنِ الأَخْلَاقِ، وَشَـرَفِ المُهِمَّةِ)، فَانْهارَتْ قِيَـمُ الأَخْلَاقِ لَدَيْهِم، وَسَـقَطُوا صَرْعَـى لِكُلِّ مَا يَشِـيْنُ (الدِّيْنَ، وَالخُلُقَ)، مُتَنَاسِيْنَ أَنَّ إِسْلَامَهُم يَأْمُرُ بِكُلِّ فَضِيْلَةٍ، وَيَنْهَى عَنْ كُلِّ رَذِيْلَةٍ.. وَبِهَذَا زَهِدَ الطُّلَّابُ فِـي عِلْمِهِم، وَأَصْبَحوا أُضْحُوكَةً لِطُلَّابِهِـم -قَبْلَ غَيْرِهِم-!!، وَلَمْ تَعُدْ لَـهُم (هَيْبَـةُ المُعَلِّـمِ، وَالمُرَبِّـي) -لِلأَسَـفِ-، وَهَذَا مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ تَرَدِّي التَّعْلِيْمِ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

وَهُنَـا لَا بُـدَّ مِنْ الإِشَـارَةِ إِلَـى أَمْرَيْنِ هَامَّيْنِ -**تَأْصِيْلًا، وَبَرِيْدًا**-:

فَأَمَّا التَّأْصِيْلُ: فَإِنَّ مِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِ المُجْتَمَعاتِ: تَأَسِّيهُم بِـ (القُدْوَاتِ)..

وَسِمَاتُ (القُدْوَةِ النَّاجِحِ): أَنْ يَكونَ (صَالِحًا، مُخْلِصًا، ذَا خُلُقٍ، صَادِقًا، صَابِرًا، حَكِيْمًا، رَفِيْقًا).. وَخَيْرُ القُدْوَاتِ: هُوَ (المَعْصُومُ) رَسُولُ اللهِ ﷺ، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ..﴾ [الأحزاب: ٢١]، ثُمَّ مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ إِلى يَوْمِ الدِّيْنِ.. وَقَدْ يَعْتَرِيْ القُدْوَةَ (التَّقْصِيرُ اليَسِيرُ) -لِضَعْفِهِ البَشَرِيِّ، وَانْتِفَاءِ العِصْمَةِ عَنْهُ-؛ فَـ(لَا يُرَدُّ كَثِيرُ خَيْرِهِ بِنُدْرَةِ ظَاهِرِ خَطَئِهِ).. وَلِيَعْلَمَ الأُسْوَةُ: (أَنَّ النَّاسَ تَقْتَدِي بِأَفْعَالِهِ قَبْلَ أَقْوَالِهِ).

قُلْتُ هَذَا؛ حَتَّى لَا يَتَعَكَّزَ (ضِعَافُ الدِّيَانَةِ!) عَلَى (بَعْضِ السَّقَطَاتِ) -غَيْرِ المَقْصُودَةِ - مِنْ (بَعْضِ) المُرَبِّيْنَ؛ لِيَجْعَلُوهَا ذَرِيْعَةً لِلطَّعْنِ فِي (دِيْنِهِم، وَأَخْلَاقِهِم، وَعِلْمِهِم)!!، وَحَتَّى نُمَيِّزَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ مَنِ ارْتَضَى لِنَفْسِهِ الانْحِدَارَ - مُفْتَخِرًا بِهِ!! -، وَشَتَّانَ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ.

وَأَمَّا البَرِيْدُ: فَهُوَ بِمَثَابَةِ رِسَالَةٍ عَاجِلَةٍ إِلَى (وَزَارَةِ التَّرْبِيَةِ العِرَاقِيَّةِ)، لَعَلَّ أَنْ تَجِدَ لِآذَانِهِم - ثُمَّ لِقُلُوبِهِم! - مَسْلَكًا، وَحَسْبِيَ أَنِّي قَدْ بَلَّغْتُ.. فَأَقُولُ:

إِلَى وَزَارَةِ التَّرْبِيَةِ: أَلَيْسَت سَلَامَةُ أَجْيَالِنَا - (دِينِيًّا، وَأَخْلَاقِيًّا، وَعِلْمِيًّا) - مُنَاطَةً بِالمُعَلِّمِ (القُدوَةِ)؟!؛ فَكَيفَ تَتَحَقَّقُ إِذَا كَانَ (بَعْضُ) المُعَلِّمِينَ عِنْدَهُم (وَفْرَةٌ!) فِي (التَّدَنِّي الدِّينِيِّ!، وَالسُّقوطِ الأَخلاقِيِّ!، وَالضَّحالَةِ العِلْمِيَّةِ!)؟!، أَلَا يَجِبُ مُعاقَبَةُ هَؤلَاءِ (المُفسِدِيْنَ!)؛ لِلحِفَاظِ عَلى مَا بَقِيَ مِنْ هَذِهِ الأَجْيَالِ المُنهَزِمَةِ؟!، فَقَدْ قِيْلَ - قَدِيمًا -: (لَا يَستَقِيمُ الظِّلُّ وَالعُودُ أَعوَجُ).

٣ - الضَّحَالَةُ العِلْمِيَّةُ فِي كَثِيرٍ مِنَ المَنَاهِجِ الدِّرَاسِيَّةِ: وَهَذِهِ مِنْ أَشَدِّ النَّكَبَاتِ القَاسِيَةِ التِي طَرَأَتْ عَلَى التَّعْلِيْمِ - مُؤَخَّرًا! -؛ فَالمَنَاهِجُ الدِّرَاسِيَّةُ المُقَرَّرَةُ هِيَ - فِي العُمُومِ - مَنَاهِجُ (هَزِيْلَةٌ!) - لِلأَسَفِ الشَّدِيْدِ! -، وَلَا تَرْتَقِي لِلمُسْتَوى المَطْلُوبِ (ثَقَافِيًّا، وَعَقْلِيًّا، وَعِلْمِيًّا).

وَقَدْ بَدَأَتْ (مُدِيرِيَّةُ المَنَاهِجِ العَامَّةِ) بِالتَّغْيِّيْرِ (التَدْرِيجِيِّ) -لِكَثِيْرٍ مِنَ المُقَرَّرَاتِ الدِّرَاسِيَّةِ- فِي كُلِّ طَبْعَةٍ سَنَوِيَّةٍ!؛ فَظَهَرَتْ لَنَا مُقَرَّرَاتٌ عِلْمِيَّةٌ تَفوقُ عُقُولَ النَّشْءِ الجَدِيْدِ!، وَأُخرَى تَفْتَقِرُ إِلى الرَّأْيِّ السَّدِيْدِ!!، وَالقَوْلِ الرَّشِيْدِ!!.

وَأَرَادُوا -بِهَذِهِ الخُطُواتِ (المُمَنْهَجَةِ!)- التَّغْيِّيرَ لِلأَفْضَلِ - زَعَمُوا -!!.. فَكَانَ حَالُهُم كَمَنْ (أَرَادَ أَنْ يُطِبَّ زُكَامًا؛ فَأَحْدَثَ جُذَامًا)!!.

وَها هُنا (وَقْفَةٌ مُؤْلِمَةٌ) يَحْسُنُ الوُقُوفُ عِنْدَهَا؛ فَـ (أَقولُهَا للهِ، ثُمَّ لِلتَّأْرِيْخِ)!!..

اسْتِشْعَارًا مِنِّي لِشَرَفِ المُهِمَّةِ، وَلِعَظِيْمِ المَسْؤولِيَّةِ المُنَاطَةِ بِي - بِصِفَتِي مُدَرِّسٌ لِمَادَّةِ: (التَّرْبِيَةِ الإِسْلَامِيَّةِ) -؛ قُمْتُ بِعَمَلِ (دِرَاسَةٍ مُفَصَّلَةٍ) لِكُتُبِ مَادَّةِ: (التَّرْبِيَةِ الإِسْلَامِيَّةِ) - لِمَرَاحِلِ الثَّانَوِيَّةِ السِّتَّةِ -، وَاسْتَمَرَّتْ - هَذِهِ الدِّرَاسَةُ - قُرَابَةَ (ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ!!)؛ حَيْثُ قُمْتُ بِالقِرَاءَةِ (الحَرْفِيَّةِ!.. الحِرَفِيَّةِ!) لِكُلِّ الكُتُبِ المُقَرَّرَةِ، وَشَخَّصْتُ الأَخْطَاءَ (العِلْمِيَّةِ، وَاللُّغَوِيَّةِ، وَالمَنْهَجِيَّةِ، وَالتَّنْضِيْدِيَّةِ) - بِالفِقْرَةِ، وَالسَّطْرِ، وَالكَلِمَةِ!! -، وَكَتَبْتُ صَوَابَ كُلِّ خَطَأٍ مَعَهُ، فَتَمَّتْ فِي (ثَلَاثٍ وَخَمْسِيْنَ) صَفْحَةٍ!، مَطْبُوعَةً بِتَرْتِيبٍ (عِلْمِيٍّ)، وَبِتَنْسِيقٍ (مُتَمَيِّزٍ)، مَعَ عَدَدٍ مِنَ الاقْتِرَاحَاتِ المَنْهَجِيَّةِ المُهِمَّةِ.

ثُمَّ أَرْسَلْتُهَا - فِي عَامِ (٢٠١٥) - إِلى كُلِّ مَفَاصِلِ (وِزَارَةِ التَّرْبِيَةِ) - الَّتِي لَهَا عَلَاقَةٌ بِالمَنَاهِجِ الدِّرَاسِيَّةِ -، ابْتِدَاءً مِنْ (وَزِيْرِ التَّرْبِيَةِ)، ثُمَّ (مُدِيْرِيَّةِ المَنَاهِجِ العَامَّةِ) - وَالدَّائِرَةِ التَّابِعَةِ لَهَا -، وَانْتِهَاءً بِمُدِيْرِيَّةِ التَّرْبِيَةِ، وَالإِشْرَافِ.

وَتَوَالَتِ الطَّبَعَاتُ لِكُتُبِ مَادَّةِ: (التَّرْبِيَةِ الإِسْلَامِيَّةِ) - بَعْدَ ذَلِكَ -، وَلَكِنْ: (لَمْ يُصَحَّحْ مِنْهَا شَيْءٌ)!؛ فَكَرَّرْتُ الإِرْسَالَ مَرَّةً ثَانِيَةً - فِي الأَعْوَامِ التَّالِيَةِ -؛ وَتَكَرَّرَتْ مَعَهَا الخَيْبَةُ - نَفْسُهَا! -.. وَكَانَتْ المَرَّةُ الثَّالِثَةُ فِي بِدَايَةِ هَذَا العَامِ -(٢٠٢١)-؛ حِيْنَمَا زَارَ (وَزِيْرُ التَّرْبِيَةِ) مَدْرَسَتَنَا، وَأَعْطَيْتُهُ ذَاتَ الدِّرَاسَةِ - يَدًا بِيَدٍ! -.

وَكُلُّ هَذَا مِنْ بَابِ قَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -عَلى لِسَانِ (مُصْلِحِي أَصْحَابِ السَّبْتِ)-: ﴿...مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأَعْرَافِ: ١٦٤].

وَلِأَجْلِ هَذَا: كَانَ (التَّغْيِّيرُ السَّلْبِيُّ) - لِلمَنَاهِجِ - أَثَرُهُ البَالِغَ فِي (اعْوِجَاجِ الأَفْهَامِ!، وَانْكِسَارِ الأَقْلَامِ!).

٤ - قِلَّةُ عَدَدِ المَدارِسِ: وَهذِهِ مُشْكِلَةٌ خَطِيرَةٌ!؛ فَالطُّلَّابُ فِي ازْدِيادٍ مُسْتَمِرٍّ - عامًا بَعْدَ عامٍ! -، وَهَذَا الازْدِيادُ وَلَّدَ لَنا مُشْكِلَةَ (اكْتِظاظِ الصُّفُوفِ بِالطُّلَّابِ بِشَكْلٍ لَا يَقْبَلُهُ عَقْلٌ، وَلَا يَتَقَبَّلُهُ وَاقِعٌ)، وَلَا يَخْفَى -عَلَى الجَمِيعِ- الأَثَرُ السَّلْبِيُّ (السَّيِّءُ!) -عَلَى الطُّلَّابِ، وَالمُدَرِّسِينَ- فِي عَدَمِ اسْتِيْعَابِ الطُّلَّابِ الدُّرُوسَ فِي ظِلِّ هَذَا (الاكْتِظَاظِ)، وَفِي ظِلِّ (عَدَمِ وُجودِ وَسَائِلِ الرَّاحَةِ دَاخِلَ الصُّفوفِ)؛ فَالطَّالِبُ يَزْهَدُ فِي الدَّرْسِ -خُصُوصًا فِي فَصْلِ الصَّيْفِ-، وَيَتَمَنَّى أَنْ لَا يَدْخُلَ الصَّفَّ - أَصْلًا -، وَيَعِيْشُ - فِي الصَّفِّ - شَارِدَ الذِّهْنِ، مُتَلَهِّفًا لِسَماعِ (جَرَسِ الفُرْصَةِ)!!، فَضْلًا عَنْ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ يُؤَثِّرُ -ذَاتَ التَّأْثِيرِ السَّلْبِيِّ- عَلَى (المُدَرِّسِ) -أَيضًا-.

أَلَا يُعَدُّ هَذَا العَامِلُ سَبَبًا رَئِيْسًا لِنُفْرَةِ الطُّلَّابِ مِنَ التَّعْلِيْمِ؟!، حَتَّى أَنَّ الكَثِيْرَ مِنَ الطُّلَّابِ لَجَؤوا إِلَى التَّسْجِيْلِ فِي (المَدَارِسِ الأَهْلِيَّةِ!)، مُتَحَمِّلِيْنَ الأَعْبَاءَ المَالِيَّةَ العَالِيَةَ؛ لِأَجْلِ أَنَّ هَذِهِ المَدَارِسَ تُوَفِّرُ لَهُم (وَسَائِلَ الرَّاحَةِ) اللَّازِمَةَ، فِي حِيْنَ قَصَّرَتْ (الحُكُومَاتُ المُتَعَاقِبَةُ!) فِي تَوْفِيرِهَا لِمَدَارِسِهَا الرَّسْمِيَّةِ.

٥- انْشِغَالُ الطُّلَّابِ بِالمُلْهِيَاتِ: فَقَدْ حَادَ - الكَثِيرُ مِنْهُم - عَنْ طَرِيْقِ (التَّمَيُّزِ، وَالتَّفَوُّقِ)، بِمَا يَظُنُّهُ سَبِيْلًا لِذَلِكَ -كَالإِنْتَرْنِت، وَالجَوَّالَاتِ-، وَلَا يَخْفَى -عَلَى ذِي بَصَرٍ، وَبَصِيْرَةٍ- مَا لِهَذِهِ الوَسَائِلِ مِنْ تَأْثِيرٍ سَلْبِيٍّ خَطِيْرٍ لِـ (مَنْ لَا يُحْسِنُ اسْتِخْدَامَهَا).. و(الوَاقِعُ الأَلِيْمُ) خَيْرُ شَاهِدٍ عَلَى ذَلِكَ.

وَلَو عَقَدْنَا مُقَارَنَةً -يَسِيْرَةً- بَيْنَ (الأَجْيَالِ القَدِيْمَةِ) -مِنْ جِهَةٍ-، وَبَيْنَ (الأَجْيَالِ المُتَأَخِّرَةِ) -مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى-؛ لَرَأَيْنَا أَنَّ (طُلَّابَ الأَجيالِ السَّابِقَةِ) كانوا يَتَمَيَّزُونَ بِـ (قُوَّةِ الشَّخصِيَّةِ، وَالكَفَاءَةِ العِلْمِيَّةِ، وَالنَّبَاهَةِ الذِّهنِيَّةِ، وَالأَخلاقِ العَلِيَّةِ، وَالنَّفْسِ الأَبِيَّةِ، وَالتَّربِيَةِ الأُسَرِيَّةِ.. يَتَطَلَّعونَ لِلقِمَمِ، بِعَالِي الهِمَمِ)، أَمَّا (طُلَّابُ الأَجيالِ الحَالِيَّةِ): فَـ(كَثِيرٌ) مِنْهُم (شُغِلوا بِالصَّوَارِفِ عَنِ المَعَارِفِ.. هُلامِيُّونَ، ضَائِعونَ، مَائِعونَ.. أَخْلَاقٌ دَنِيْئَةٌ، وَأَلسِنَةٌ بَذِيْئَةٌ)؛ فَـ(أَينَ ثِمارُ تَهذِيبِ المَدَارِسِ)؟!، و(أَينَ مَنَارُ تَأدِيبِ المَجَالِسِ)؟!.



٦- الصُّحبَةُ السَّيِّئَةُ: وَهِذِه لَهَا نَتَائِجُ خَطِيْرَةٌ وَمُدَمِّرَةٌ لِلشَّبَابِ؛ فَـ (كَثِيْرٌ) مِنَ الطُّلَّابِ يُخَالِطُ (الصَّالِحَ، وَالطَّالِحَ) - بِحُكْمِ الضَّرُوْرَةِ!، وَالزَّمَالَةِ! -، وَلَكِنَّهُ لَا يَأنَسُ بِـ (أَهْلِ الصَّلَاحِ، وَالمُرُوْءَةِ).. و(بَعْضُهُم) لَا يَتَشَرَّفُ إِلَّا بِصُحْبَةِ (الطَّالِحِ)!!، وَلَا يَأبَهُ بِـ (نُقْصَانِ دِيْنِهِ)!!، وَلَا بِـ (تَدْنِيْسِ سُمْعَتِهِ)!!، وَلَا بِـ (ذَهَابِ مُسْتَقْبَلِهِ)!!، وَهَذَا لَهُ تَأثِيْرٌ وَاضِحٌ عَلَى انْحِرَافِ (الكَثِيْرِ) مِنَ الطُّلَّابِ عَنْ طَرِيْقِ (التَّوْفِيْقِ، وَالتَّفَوُّقِ،وَالتَّمَيُّزِ).

وَلِبَيَانِ أَثَرِ كِلَا الصَّاحِبَيْنِ؛ نُذَكِّرُ بِحَدِيْثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ القَائِلِ: [إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَـ (حَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الكِيرِ)، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً] [رَواهُ البُخارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِم]. [(الكِيرُ): جِلْدٌ يَنْفُخُ فِيهِ الحَدَّادُ على النَّارِ. (يُحْذِيكَ): يُتْحِفُكَ. (تَبْتاعُ): تَشْتَرِي].

فَلَا بُدَّ - إِذَنْ - مِنَ (انْتِقَاءِ الجُلَّاسِ) - مَخَافَةَ الضَّرَرِ -؛ فَـ (لَيسَ المِسْكُ كَمُسْتَخْبَثِ الشَّرَرِ)..

فَوَاقِعُ (كَثِيرٍ) مِن طُلَّابِنَا -اليَوْمَ- (مُقلِقٌ، وَلا يُسِرُّ)؛ فَقَدْ أَضَاعُوا خُطَا أَسْلَافِهِم؛ فَضَاعَتْ بُوصِلَةُ أَهْدَافِهِم.. مُنهَزِمُونَ نَفْسِيًّا؛ يَرَونَ الاسْتِقَامَةَ قَزَامَةً!!.. مُتَرَنِّحُونَ بينَ (الشُّبُهَاتِ)، مُتَوَحِّلُونَ فِي(الشَّهَوَاتِ).. حَتَّى فِي (الحُبِّ!) مَقَايِيسُهُم مَغلوطَةٌ!؛ فَيَحسَبونَ افتِخارَهُم بِـ(المُعاكَسَاتِ!، وَالشُّذوذِ!) رُجولَةً!، وَبُطولَةً!.. وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

٧- رُوحُ الانْهِزَامِيَّةِ عِنْدَ (الكَثِيْرِ) مِنَ الطُّلَّابِ: وَأَسبَابُ ذَلِكَ هِيَ - بِرَأيِي -:

أَوَّلًا: ضَعْفُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

ثَانِيًا: انْعِدَامُ الثِّقَةِ بِالنَّفْسِ.

ثَالِثًا: الخَوْفُ - غَيْرُ المُسَوَّغِ - مِنْ عَدَمِ بُلُوغِ (قِمَّةِ التَّفَوُّقِ)، وَهَذَا يُعْتَبَرُ مِنْ أَسْوَءِ (العَوَامِلِ النَّفْسِيَّةِ) تَأثِيْرًا فِي الطُّلَّابِ.

وَهُنَا لَا بُدَّ أَنْ يَبْرُزَ دَوْرُ (المُرَبي النَّاجِحِ) فِي إِذْكَاءِ (المَفَاهِيْمِ الشَّرْعِيَّةِ)

فِي قُلُوبِ الطُّلَّابِ، مِنْ (وُجوبِ حُسْنِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ)، وَضَرورَةِ بَذْلِ قُصَارَى الجُهْدِ لِإِتْقَانِ أَسْبَابِ التَّفَوُّقِ، وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَنْ يُخَيِّبَ عَبْدًا لَجَأَ إِلَيْهِ، وَتوَكَّلَ عَلَيْهِ.

٨- الضُّغُوطُ مِنْ قِبَلِ (بَعْضِ) أَوْلِيَاءِ أُمورِ الطُّلَّابِ عَلَى أَبنَائِهِم؛ وَمِنْ ذَلِكَ:

أَوَّلًا: تَحمِيلُ الآبَاءِ أَبنَائَهم مَا لَا يُطِيقُونَ - عَقْلًا، وَعِلْمًا، وَصَبْرًا -؛ فَعَلَى سَبِيْلِ المِثَالِ - لَا الحَصْرِ -: نَجِدُ (بَعْضَ) أَوْلِيَاءِ الأُمُورِ يُجْبِرُ ابْنَهُ أَوْ ابْنَتَهُ عَلَى دُخولِ فَرْعٍ لَا يُنَاسِبُهُ، فَيُجْبِرُهُ عَلَى دُخُولِ (الفَرْعِ العِلْمِيِّ) - طَلَبًا لِلسُّمْعَةِ!، أَوْ أَنَّ الأَبَ يَتَمَنَّى ذَلِكَ!!-، مُتَجَاهِلًا قُدُراتِ ابْنِهِ أَوْ ابْنَتِهِ - (العَقْلِيَّةِ، وَالعِلْمِيَّةِ)!؛ فَيَدْخُلُ الابْنُ أَوْ البِنْتُ هَذَا المُعْتَرَكَ؛ وَسُرْعَانَ مَا تَظْهَرُ عَلَامَاتُ الانْتِكَاسِ، فِي وَقْتٍ لَا رَجْعَةَ فِيْهِ!!.

ثَانِيًا: عَدَمُ تَهْيِئَةِ وَسَائِلِ النَّجَاحِ (النَّفْسِيَّةِ) لِأَبنَائِهِم، وَإِهْمَالِهِم، وَالانْشِغَالِ عَنْهُم، وَعَدَمِ سَمَاعِ مَشَاكِلِهِم، وَتَرْكِهِم يَتَرَنَّحونَ كَسَعْفَةٍ تُكَفْكِفُهَا الرِّيحُ؛ فَالأَبنَاءُ يَتَأَمَّلونَ - مِنْ آبَائِهِم - (قَلْبًا حَانِيًا، وَرَأْيًا سَدِيْدًا)؛ حَتَّى يَتَجَاوَزوا العَقَبَاتِ الَّتِي يَمُرُّونَ عَلَيْهَا فِي طَرِيْقِ التَّعَلُّمِ، وَالتَّمَيُّزِ.

٩- القَرَارَاتُ غَيْرُ الصَّائِبَةِ لِـ (وَزَارَةِ التَّرْبِيَةِ) - وَهِيَ كَثِيرَة! -: فَهُنَاكَ قَرَارَاتٌ تَصْدُرُ مِنْ (وَزَارَةِ التَّرْبِيَةِ)، وَهِيَ - مِنْ حَيْثُ التَّنْظِيْرِ، وَالتَّطْبِيْقِ - لَا تَرْقَى لِلْمُسْتَوَى المَطْلُوبِ - وَاقِعًا -!!؛ فَهِيَ لَا تَصُبُّ فِي خِدْمَةِ (العَمَلِيَّةِ التَّرْبَوِيَّةِ)، وَلَا فِي مَصْلَحَةِ (التَّرْبَوِيِّيْنَ)، وَلَا فِي فَائِدَةِ (الطُّلَّابِ).

وَمِنْ تِلْكَ القَرَارَاتِ -عَلَى سَبِيْلِ المِثَالِ-:

أَوَّلًا: قَرَارُ دُخُولِ الامْتِحَانِ الوِزَارِيِّ؛ فَفِي (السَّابِقِ) كَانَ دُخولُ الطَّالِبِ فِي (دَرْسَيْنِ، وَخَمْسِ دَرَجَاتٍ)، وَكَانَ الطُّلَّابُ يَحْسِبونَ - لِهَذَا الأَمْرِ - حِسَابًا؛ فَيَجْتَهِدُونَ حَتَّى يَبْلُغوا قِمَّةَ التَّفَوُّقِ.. أَمَّا (اليَوْمَ!): فَأَصْبَحَ الدُّخولُ فِي (ثَلَاثَةِ دُروسٍ، وَعَشْرِ دَرَجَاتٍ!!)، مِمَّا جَعَلَ (بَعْضَ) الطُّلَّابِ يَتَّكِلُ عَلَى هَذَا القَرَارِ،

وَيَبْدَأُ يُخَطِّطُ - مُنْذُ بِدَايَةِ العَامِ الدِّرَاسِيِّ! - فِي (التَّضْحِيَةِ!) بِثَلَاثَةِ دُروسٍ - عَلَى أَقَلِّ تَقْدِيرٍ -، وَلَا يُعِيرُ لَهَا اهْتِمَامًا، وَيَصُبُّ كُلَّ اهْتِمَامِهِ عَلَى ثَلَاثَةِ دُروسٍ - أَو أَرْبَعَةٍ -!!؛ فَمِنَ الطَّبِيعِيِّ - جِدًّا - إِذَا دَخَلَ الطَّالِبُ الامتِحَانَاتِ الوِزَارِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ سَيَفْشَلُ - أَو يَتَدَنَّى مُسْتَواهُ -، وَتَكونُ نِسَبُ النَّجَاحِ مُتَدَنِّيَةً، وَغَيْرَ مَرْضِيَّةٍ

ثَانِيًا: قَرَارُ عَدَمِ اسْتِعْمَالِ العُقُوبَةِ (التَّأدِيبِيَّةِ المُنْضَبِطَةِ) - لِلطُّلَّابِ -!، بَلْ: وَمَنَعوا - أَيْضًا - حَتَّى (العُقوبَةَ المَعْنَوِيَّةَ المَبْنِيَّةَ عَلَى الزَّجْرِ وَالتَّأنِيبِ!)؛ مُرَاعَاةً لِمَشَاعِرِهِم، وَنَفْسِيَّاتِهِم!!

ثَالِثًا: قَرَارَاتُ (إِغْدَاقِ الدَّرَجَاتِ لِلطُّلَّابِ!) -تَحْتَ مُخْتَلَفِ المُسَمَّيَاتِ-؛ وَالغَايَةُ -العَامَّةُ- مِنْ ذَلِكَ: (مُسَاعَدَتُهِم!)؛ فَتَسَاوَى الطَّالِبُ المُجِدُّ مَعَ الطَّالِبِ غَيْرِ المُجِدِّ.. وَكُلُّ ذَلِكَ - وَغَيْرُهُ الكَثِيْرُ! - تَحْتَ مُسَمَّى: (مَصْلَحَةُ الطَّالِبِ فَوْقَ الجَمِيْعِ!)، وَلَا يَعْلَمونَ أَنَّهُم - بِتِلْكَ القَرَارَاتِ غَيْرِ المَسْؤولَةِ! - كَانوا سَبَبًا فِي هَدْمِ صَرْحِ (العَمَلِيَّةِ التَّرْبَوِيَّةِ)، وَأَنَّهُم أَضَرُّوا مِنْ حَيْثُ أَنَّهُم (تَوَهَّموا) الإِصْلَاحَ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

وَهَذِهِ القَرَارَاتُ - وَغَيرها - جَرَّأَتْ (الكَثِيْرَ) مِنَ الطُّلَّابِ عَلَى (أَسَاتِيْذِهِم)، وَالاسْتِهَانَةِ بِبَعْضِ المَوَادِ الدِّرَاسِيَّةِ.

خِتامًا:

نَسْأَلُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُصلِحَ حَالَنَا، وَأَنْ يَرُدَّنَا إِلَيْهِ رَدًّا جَمِيْلًا، وَأَنْ يُوَلِّيَ عَلَيْنَا خِيَارَنَا، وَيُبْرِمَ لَنَا أَمْرَ خَيْرٍ، نُعَزُّ فِيهِ وَلَا نُذَلُّ.. اللَّهُمَّ آمِينَ.







هل المرأة عورة؟!

أحمد منصور الشبيب الجبوري

اتفق الحُكماء قديمًا وحديثًا على أنَّه لا يَعرفُ قيمةَ النور إلا من سكنَ الظلام، ولا يَفهمُ معنى العدل إلا من عاش في نارِ الظلم واكتوى بها؛ لهذا كانت النِّساء في الصَّدرِ الأول من بزوغ نور الإسلام من أعرَف الناس بقيمة هذا الدِّين العظيم، وفهمًا لمعاني أحكامهِ وحِكَمِهِ، وسرعةً في الاستجابة لتطبيق شرائعهِ، لأنَّهنَّ عايشنَ العصر الجاهلي، ورأينَ كيف كانت المرأةُ تُمتهنُ وتهان، وكيف كان يهدرُ حقّها، وتنتقصُ قيمتها، لم يكن يومئذٍ للمرأة مشاعرَ تحترم، ولا كرامة تصان، فلقد كانت عند بعضهم توأدُ عند ولادتها عيبًا ومخافةً من العار، فإذا نجت من ذلك، عاشت بين ظلم الأب والإخوان، وتسلّط الأعمام والقبيلة، ثم إلى ظلم الأزواج وتفاخرهم بالتعالي على نسائهم.

ثمَّ لمَّا جاء الإسلام: فرضَ للمرأة حقوقًا، وشرَّع لهنَّ قوانين تحفظ هيبتهنَّ وقيمتهن، فلقد جرَّم الإسلام وأد البنات، وأمر بالإحسان إليهنَّ، ورتّب على ذلك أعظم الجزاء، حتى قال رسولنا ﷺ: «مَن كان له ثلاثُ بناتٍ أو ثلاثُ أخَوات، أو ابنتان أو أُختان، فأحسَن صُحبتَهنَّ واتَّقى اللهَ فيهنَّ فلهُ الجنَّةَ» [رواه الترمذي]،



بل وجعل مَن أحسَـن في تربية بناتِهِ رفيقًا له في الجنة فقال: «مَن عـالَ جاريتين (بنتين) حتى تَبلُغا، جاء يوم القيامة أنا وهو -وضمَّ أصابعه-» [رواه مسلم].

ثمَّ أعطى الإسـلام للمرأة حق التَّعليم وجعـل ذلك من حقوقها علـى أبيها فقال ﷺ: «مَـن كان لـهُ ثـلاث بنـات يؤدبِّهـنَّ ويرحمهـنَّ ويكفلهـنَّ وجبت لـه الجنة» [رواه أحمد].

و أعطـى لها حقّ اختيـار الزوج، ومنع مـن إكراهـها، قـال ﷺ: «لا تُنكـحُ الأيمُ حتـى تُسـتأمرُ، ولا تُنكـحُ البكـرُ حتـى تُستأذنُ» [رواه البخاري ومسلم].

قال العلماء: هـذه الأحاديث تدل على وجوب اسـتئذان المرأة في النكاح، وأنه لا يجوز تزويجها بغير إذنها، سواء كانت بكرًا أو ثيبًا؛ لأنَّ مِن شرط النكاح الرضا، فلا بدّ أن يكون الزوجُ راضيًا، والمرأة راضية.

وفـرَض لها حـقّ الميراث مـن زوجها وأبيهـا وأبنائها وإخوانها، بحسـب منظومة عادلـة راقيـة، ولـم تكـن المـرأة في زمـن الجاهلية تحصل على شـيء من الميراث، بل كانت هي نفسها تعامل معاملة الميراث عند بعض الجاهليـيـن، فيأخذها الابن بعد موت أبيه، قال سعيد بن جبير وقتادة: «كان المشـركون يجعلـون المـال للرجـال الكبـار، ولا يورثـون النسـاء ولا الأطفال شـيئًا، فأنـزل الله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]، أي: الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى، يستوون في أصل الوراثة وإن تفاوتوا بحسب ما فرض الله تعالى لكل منهم» [تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠)].

وكذلـك في الـدول الغربيـة فقد كانت المرأة محرومة -إلـى وقت قريب جدًّا- مـن حقِّهـا في الميـراث، بـل في القانـون الفرنسـي لـم يسـمح للمـرأة في التقاضي والمطالبـة بحقوقهـا الماليـة إلا بعـد الأربعينيات من القرن الماضي!

ولعلَّ هذه الجوانب السريعة والبسيطة تُبيّن مدى رعاية الإسـلام للمـرأة إكرامه لهـا، وإنصافـهُ حقوقهـا، ليتضـح مـراد الإسـلام الشـريف ومراد أهـل التحريف والتزييف.

فلقد تعرَّض الإسلام وما زال يتعرض لحملات تشويه وطعن من مغرضين وحاقدين عليه، تعمَّدوا على طول الفترات السابقة والحالية أن يُزيفوا الحقائق ويُدلّسوا على الناس الحق، ومن ذلك قولهم: (إنَّ الإسلام ظلم المرأة، وأهانَ حقيقة وجودها، ولم يُعطها مكانتها الحقيقية).

ومن تلك الشبهات والتشويهات قولهم: (إنَّ الإسلام يقول عن المرأة إنَّها عورة، ويَعُدّها عارًا وشيئًا قبيحًا يستقبحُ لذاتـِها)، عامدين في ذلك -كعادتهم في شبهاتهم- إلى اقتطاع النصوص من سياقاتها الكاملة، وتحريفهم معانيها الصحيحة المرادة إلى معاني باطلة يُريدون إشاعتها عن الإسلام تشويهًا لهُ وقدحًا فيه.

ولم يَرِد في القرآن هذا الوصف، بل ورد في حديثٍ رواه أصحاب الحديث عن النبي ﷺ أنهُ قال: «المرأةُ عورةٌ، فإذا أقبلَت استشرفها الشَّيطان» [رواه التِّرمذي وصححه هو وغيرهُ من العلماء].

ولمعرفة مراد الرسول ﷺ لا بُدَّ من الرجوع إلى معنى العورة في لغة العرب، لأنَّ النبي ﷺ عربي ويتكلم بأساليب العرب في لغتهم، ثُمَّ لا بُدَّ أيضًا من معرفة تفسير الفقهاء لهذا الحديث، وفهمهم لهُ، كما يجب أن نعود إلى باقي كلمات وتصرفات علماء الشريعة مع هذه القضية.

فنقول: العورة في اللغة تأتي على معان، لخصَّها ابن منظور في «لسان العرب» (٤/ ٦١٦) فقال: «العورةُ: الخلَلُ في الثغر وغيره. وفي التنزيل: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾... وإنَّما أرادوا إنَّ بيوتنا عورةٌ أي: مُمكنةٌ للسرّاق لخُلُوّها من الرَّجال... وقيل معناه: إنَّ بيوتنا عورة أي: مُعوِرة، أي: بيوتنا مما يلي العدوّ ونحنُ نسرقُ منها... وقد قيل: إنَّ بيوتنا عورة أي: ليست بحريزة. قال الأزهري: العورة في الثغور وفي الحروب خللٌ يتخوف منهُ القتل. وقال الجوهري: العورة كل خلل يتخوف منهُ من ثغرٍ أو حرب، والعورةُ: كُل مكمن للستر، وعورة الرجل والمرأة: سوأتهما، والجمع عورات... وكُلُّ أمرٍ

يُسحيا منه: عورة. وفي الحديث: «يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟»، العورات جمع عورة، وهي كل ما يُستحيا منهُ إذا ظهر، وهي من الرجل ما بين السرة والركبة، ومن المرأة الحرة جميع جسدها إلا وجهها واليدين إلى الكوعين. وفي الحديث: «المرأة عورة»، جعلها نفسها عورة، لأنها إذا ظهرت يُستحيا منها كما يُستحيا من العورة إذا ظهرت».

ويتلخص مما ذكرهُ معان وهي:

- الخلل الذي يُخشى منه دخول العدو، وذلك لضعف فيه لعدم وجود الرجال الذين يحرسونه، مما يُغري العدو للهجوم عليه، ولو تأملنا قوله ﷺ في الحديث: «المرأةُ عورةٌ، فإذا أقبلت استشرفها الشَّيطان»، وقارنّاهُ مع قولهِ تعالى في الآية: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي: ممكنة للسرّاق، لوجدنا أنَّ المعنيين متطابقان، والمراد واحد، فالرسولُ ﷺ يُشير إلى ضعف المرأة وأنها مطمعٌ للسراق والذئاب البشرية التي تسعى للنيل منها والتحرش فيها، ويُأكِّدُ هذا المعنى قوله ﷺ فيما بعدُ: إذا خرجت استشرفها الشيطان، فهو يريدُ: أنَّها عورةٌ ضعيفةٌ إذا خرجت وفيها ما يدعو للإغراء، ولتزيين الشيطان لها في أعين الرجال وقلوبهم، وما يُلقي إليها الشيطان من الوساوس والتَّخيّلات، وليست عورة لذاتها على الإطلاق، مثل لو كانت في بيتها.

وعلماء المسلمين الشَّراح لهذا الحديث ذكروا هذا المعنى ومالوا إليه، فقد قال العلامة المباركفوري في شرحه على سنن الترمذي لهذا الحديث: «فإذا خرجت استشرفها الشيطان، أي: زيّنها في نظر الرجال، وقيل: أي نظر إليها ليغويها ويغوي بها، والأصل في الاستشراف رفع البصر للنظر إلى الشيء وبسط الكف فوق الحاجب، والمعنى: أن المرأة يستقبح بروزها وظهورها، فإذا خرجت أمعن النظر إليها ليغويها بغيرها ويغوي غيرها بها ليوقعهما أو أحدهما في الفتن" انتهى كلامه.

والسرُّ بين وصف المرأة بأنَّها عورة في الحديث، وبين وصف البيوت بأنها عورة في الآية: هو أنَّ المرأة سكنٌ معنويٌ للرجل كما أنَّ البيت سكنٌ له حسيّ، قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا﴾، فهو حثٌ للرجال لحفظ هذا المسكن اللطيف.

- والمعنى الثاني: هو أنها كُلّ مكمن للستر، ولا شكَّ أنَّ المرأة باتِّفاق العقلاء من جميع الملل والنحل أنها مكمن للستر والحياء، بل جمال المرأة في حيائها وسترها، وهذا المعنى مرادٌ أيضًا.

- والمعنى الثالث قولهُ: هي كُلّ ما يُستحيا من ظهوره، والمرأة يُستحيا من ظهورها أمام الرجال من غير حاجةٍ أو ضرورة، حفاظًا عليها وتكرمةً لها، وليس لأنَّها عيب أو قبيح، لأنَّها لو كانت عيبًا أو قبيحًا لما كان النظرُ إلى وجهها مما يسرُّ الزوج ويتلذذ به، بل أباح الإسلام النظر إلى وجه المرأة الأجنبية وإلى شعرها عند إرادة خطبتها، وذلك لما فيه من الداعي للإعجاب والمحبة.

- والمعنى الرابع: السوأة، مثل عورة الرجل وعورة المرأة، وهذا المعنى غير مراد هنا، وهناك فرقٌ بين قولنا: عورة المرأة، وقولنا: المرأة عورة، فالأولى المقصود منها الأعضاء التي لا يجوز للمرأة إظهارها، لما فيها من العيب عند ظهورها، كما نقول: عورة البيت: أي العيب الذي في البيت، وهذه تطلق على المرأة وعلى الرجل، فنقول عورة الرجل كما نقولها عن المرأة.

ثمَّ إنَّ وجهُ المرأة عند أكثر العلماء ليس من العورة التي يجبُ سترها، والذين قالوا أنهُ يجب ستره وتغطيتهُ أيضًا لم يقولوا لأنَّهُ قبيح أو عيب، بل قالوا لأنهُ من الزينة، وجعلوا من أقوى أدلتهم قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَا﴾، فجعلوه من الزينة، وكذلك من أدلتهم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ﴾، والسبب من تغطية الوجه في الآية واضح جدًّا، وهو لكي لا يؤذيهنَّ الرجال بالنظر إلى حُسنهنَّ، والتَّحرش بهنَّ، على أنَّ باقي العلماء يقولون: ليس المراد في الآية تغطية الوجه، وعلى كلا القولين لا أحد يقول: بأنَّ السبب قبح أو عيب في وجه المرأة.

كما أنَّ علماء المسلمين متفقين على أنَّ المرأة لا يجوز لها أن تغطي وجهها في الصلاة، فهل يصحُّ أن نقول: أنَّ الإسلام يقول وجه المرأة قبيح وعيب وسوأة وهو يأمرها أن تلاقي بهِ ربَّها في أعظم عبادة إسلامية؟!

بل قد نهى الرسول ﷺ المرأة في الحجِّ وبين ملايين الرجال من أن تغطي وجهها، فقال: «لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين»، وهي تجمع بين عبادتين عظيمتين وركنين من أركان الإسلام.

فيتضحُ مما سبق مراد الإسلام الشريف والراقي في هذا الحديث وهو: أنَّ المرأة في الإسلام ليست سوأة ولا عيبًا، وأنَّ مراد الرسول ﷺ في الحديث هو حث الرجال على حفظ نسائهم، والدفاع عنهن والرعاية لهُنَّ، لأنَّ المرأة تحتاجُ إلى سندٍ لها، يكون عونًا لها، لأنَّها درة مصونةٌ غالية، وكذلك فيه حث للمرأة لتجتنب وساوس الشيطان، لكي لا تكون وسيلة من وسائله للإغراء والإغواء، وفي هذا من المكارم والفضائل ما لا يُدركهُ إلا العقلاء.

ويتضحُ التحريف والتزييف الذي يبثُّهُ الحاسدون لهذا الدين الحنيف، ويُحاول إشاعتهُ الحاقدون عليه، الذين يحسدون المرأة المسلمة على المكانة العظيمة التي أعطاها لها الإسلام، والتي تستحقها وتليقُ بها، محاولين بذلك طمس هويتها، وإخراجها من مكامن عزها وشرفها. فلا تغترّي بذلك أيتها الحرة الأصيلة.






معيار الصبر

أ.د. عماد علي الخطيب

هل أنتَ صبور؟ هل أنتِ صبورة؟ إليكما معيار الصّبر الحقيقيّ.

لقد أنعم الله تعالى علينا بِسِمَة الصّبر.. وليس سهلًا أن نملك هذه الصّفة!

ولا يرتبطُ الصّبر بالمصيبة فقط! بل إنّ المتتبع لوروده في القرآن الكريم، فسيجد أنه ارتبط بالعلاقات مع البشر أكثر من ارتباطه بالمصيبة؛ وقد ورد (١٠٣) مرة.. ولأن الصّبر فعلٌ، فقد غلب الفعل «اصبروا» فيها على الاسم «الصبر»، ولأن الرّجل مطلوب منه الصّبر أكثر من المرأة، فقد غلب جمع المذكر «الصّابرين» على المؤنث «الصّابرات»، ولأنّ الصّبر صعبٌ، فقد قلّ وروده مبالغًا به «صبّار»!

وسأقفز عمّا تعرفونه من أنّ حكم الصّبر واجب، وأنّه نصف الإيمان، وأنه قد خرج من معناه المباشر (حبس النفس وتحمّل المصائب) غير مرة، من ذلك خروجه إلى معنى الصّوم ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾، والجرأة ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾، والرّضا ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾، والثّبات ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡ﴾.. وسأواجه نفسي قبل أن أواجهكم بحقيقة الصّبر؟ وهل هو صفة ملازمة للحياة؟ أم قد يُستغنَى عنها؟

تُثبِتُ الحياة يومًا بعد يوم أنّ الصّبر من الصّفات الملازمة للحياة! وأنه عنوان للإنسان الكامل والمثاليّ، وللقوة،

والعكس صحيح، أي أن الذي لا يصبر هو إنسان ضعيف ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾، والإنسان ممتحن بكل ما أعطاه الله تعالى إيّاه، وأصعب معادلة حياتية هي ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾! أي اصبر، واعفُ، ولا تطلب المكافأة من أحد! وأصعب من ذلك ارتباطه بالإحسان إلى الآخرين ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

أما أغربُ الصّبر فهو الصّبر على الطّاعة الملازمة للحياة أيضًا ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾، ولا يظننّ ظانّ أنّ العبادة مرتبطة بالمظاهر فقط، بل بأسباب الحياة كلّها.. ولن أفصّل؛ فكلّنا له في حياته قصّة صبر!

وتجتمع الغرابة مع الصّعوبة في صبر الطّاعات؛ لأنّه ما أن تصبر حتى تهطل عليك الأسئلة عن السبب في صبرك، فإن لم يكن من النّاس، فمن نفسك! خصوصًا وأن الصّبر يفرض عليك أن تُسامح من أساء إليك!

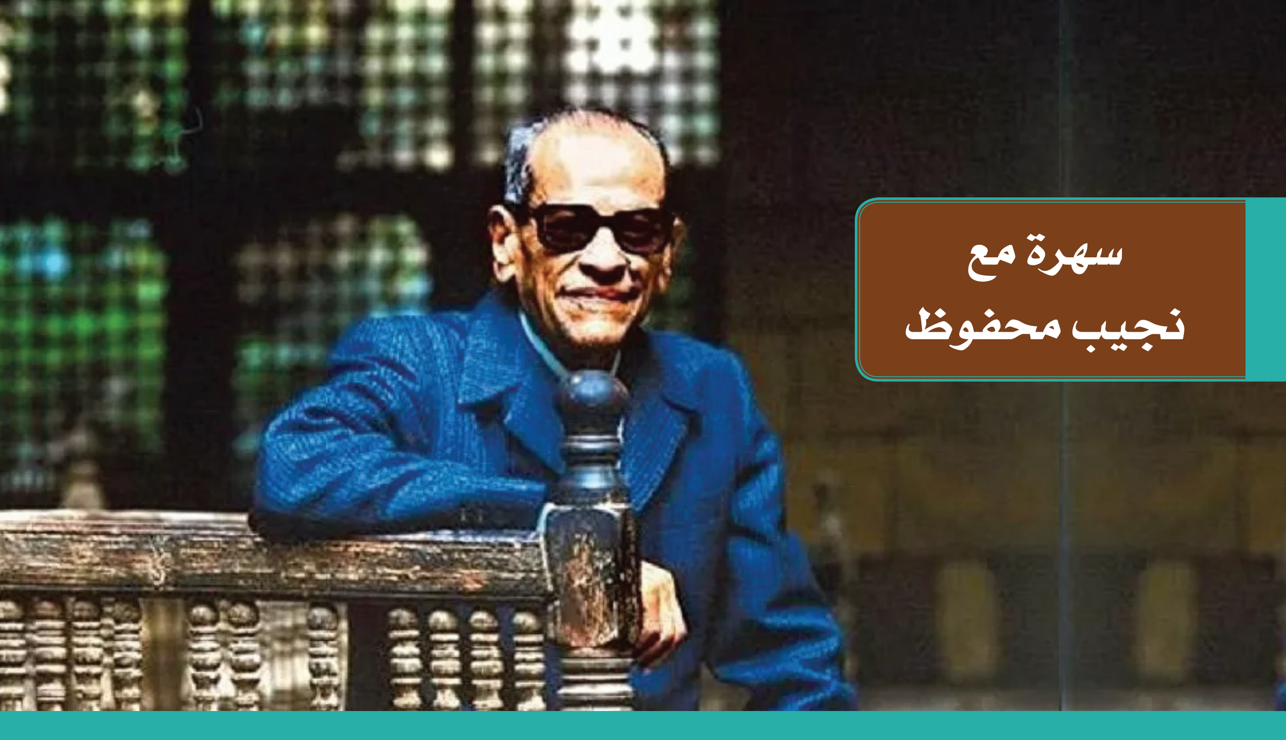
فعليك بالصّبر؛ احبسه، مثلما يحبسك، ولا تتنازل عنه، مهما تُقدَّم لك من مغريات.. ولن يكون ذاك سهلًا، إلا إذا حبستَ نفسك عن الحياة والنّاس.. الأمر الذي يتنافى مع الطّاعات التي تُلزمكَ مخالطة النّاس.. لذلك عَظُمَ أجرُ الصّابرين، وخرج عن دائرة الحِساب ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾!

ولك في قصص صبر الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ أسوة، والتصقت صفة الصّبر بالنّبيّ أيوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ﴾.

وللصّبر شروط ثلاثة: الإخلاص لله تعالى ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾، وأنْ يكون في وقته المناسب «إنّما الصّبر عند الصّدمة الأولى»، وعدم الشّكوى للنّاس ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾.

ختامًا:

فمن المعينات على الصّبر: الثقة بالله تعالى والتوكّل عليه فعلا.. لا قولا وكتابةً، ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾، ومعرفة طبيعة الحياة والنّاس.. فمهما اختلف الناس، واختلفت أشكالهم، فإنّ محددات حياتهم، ومتطلباتهم واحدة، وأمّا المختلِف فهو الوسيلة التي نحيا بها، ونحقّق من خلالها متطلّبات حياتنا.. ولا علاقة للصّبر بالتّطوّر الحياتيّ، فمهما تلوّنت حياتنا.. فستبقى سمة الصّبر هي هي، ولها أسبابها ومسبباتها.



سهرة مع نجيب محفوظ

محمد إبراهيم شحاتة

كان الأستاذ نجيب محفوظ قد رفض الذهاب إلى مجلس الأستاذ محمود شاكر وقال: «أخاف على لغتي، فمنذ ذهاب يحيى حقّي إلى شاكر غزَت أسلوبه المجازات والعبارات الفخمة، فأنا أحاول أن أحمي لغتي الخاصة من التأثّر به»؛ وعندما رأى شاكر نجيب محفوظ قال له: «يا واد يا نجيب إنت قرّبت من الكتابة بالفصحى».

لعلك لا تعرف يا صديقي أنّ في مصرَ قرار جمهوريٌّ يُلزم بالإفصاح عن الأسماء ثلاثيةً (الشخص ووالده وجده)، وقد خُولف هذا القرار لأوّل مرة عندما أصدر جمال عبد الناصر قرارًا بتعيين نجيب محفوظ رئيس مجلس إدارة المؤسسة المصرية العامة للسينما، كان نجيب محفوظ وقتها علامة مسجَّلة «ماركة» وليس مواطنًا عاديًا.

كان محفوظ الشخصية العامة الوحيدة التي نعرف لها برنامجًا يوميًا منتظمًا ومضبوطًا بالثانية، وعُرف عنه دقّته في المواعيد، حتى كان أصدقاؤه يلقبونه الرجل الساعة..

جمال الغيطاني الذي كان في مرحلة من المراحل يصطحب معه الأديب الراحل في السيارة للذهاب إلى مكان الْتقائهم

اليومي قال: «في السادسة إلا خمس دقائق أنتظر، في السادسة تمامًا يخرج من باب العمارة» ويقصد أنه اعتاد على دقة مواعيد نجيب محفوظ.

ودقته في مواعيده طالت حتى أمتع ساعات الأنس مع أصدقائه إذ إنه -بحسب الغيطاني- «يُمضي في المقهى ساعتين بالضبط» ثم يغادر إلى منزله كعادته.

أسبوعه كان يبدأ بالسبت: يوم الأسرة، ثم الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء: يمارس فيها الكتابة والقراءة في ساعات محدَّدة، ثم الخميس والجمعة للتنزه ولقاء الأصحاب.

في سنة ١٩٨٠م أُجري حوار صحفي جمَع محفوظ وتوفيق الحكيم مع الأولى على الثانوية العامة [وبالمناسبة كان ترتيب محفوظ في البكالوريا رقم ٢٣ على القِطر!]، سألَ محفوظ الطالبة عن طموحها المستقبلي؟ أجابت بأنها ستدرُس الآداب لأنها تودّ أن تحترف الكتابة، وكانت نصيحتُه لها بأن تُراجع الفكرة وأن تطوّرها إلى فنٍّ مصوَّر، فالمستقبل للصورة أكثر من الحروف، والتلفزيون جاء مناسبًا للجيل الحالي، لأنهم من حيث التعليم استيعابهم أقل، ومن حيث الثقافة معدومو الثقافة تقريبًا. كذا قال، وهو محقٌّ بالتأكيد.

كان مبدأ الأديب الكبير محفوظ: «ابعد عن الشر وغني له» فابتعد عن السياسة الصريحة مع أنني أزعم أنَّ كلَّ ما مرَّ من تاريخٍ عاشه نجيب محفوظ أو شخصيّات عاصرَها هيَ في كتبه ورواياته، ولكنّه كان لا يصرِّح.

رأى نجيب محفوظ بعينيه أيام ثورة يوليو إغلاق جريدة «المقطم» ومجلة «الكتاب» ومجلة «الملايين» و«الثقافة» و«الرسالة»، واعتقالات بالجملة، وإلغاء الدستور، وحَلّ الأحزاب، ومصادرة أموالها، وحَلّ نقابتَي المحامين والصحفيين، وطرد أكثر من أربعمئة وخمسين أستاذًا من التدريس بالجامعات، ويكتب مصطفى أمين مقالاً بعنوان «سر الضباط التسعة» فيتم منعنشر بقية المقالات، مع أن عبد الناصر كان هو من وراء المعلومات، شهد محفوظ وقتها التوحّد بين مصر والحاكم، كما لم ينفكّ

يومًا، وهو الأمر الذي يجعل أي كلمة تقال من قبيل الخيانة لله وللوطن.

كل هذا يجعلك لا تندهش من إجابته عن اتصال حسني مبارك به بعد تسلمه جائزة نوبل قائلًا: «اتصال مبارك نوبل أخرى»!

ولم ينجُ في حقبة عبد الناصر من المثقفين إلا هو وصلاح جاهين.

كان محفوظ يخاف بشدة من أن تُقرأ روايته «أولاد حارتنا» على النحو الصحيح، وأن يَفهم القوم إسقاطاته، فقد كان المحتوى سياسيًا بالدرجة الأولى، لكنه حمدَ الله أن جنحوا به إلى قراءة أخرى ظلّت تطارده ثلاثين عامًا حتى استقرّ ذلك الخنجر الملعون في رقبته، ولكن لا تظن أنّ النظام لم يستجوب نجيب أو يسأله عن مراده في «بين القصرين» و«أولاد حارتنا»، ويكفيك أن تعرف أن صلاح نصر بنفسه قام باستجوابه في إحدى هذه المرَّات.

«أولاد حارتنا» لعلك سمعتَ عنها كثيرًا، كانت باب رزقٍ كبير، فقد دفعت له جريدة «الأهرام» ألف جنيه لتنشرها مسلسلة، ثم أخذ عليها فيما بعد مليون جنيه «جائزة نوبل» وقليلٌ هم مَن قرؤوها... وقليلٌ مَن فَهِموا نجيب محفوظ.








التقاطة

زينب الأزبكي

الصور هي ذكرياتنا.. حربنا ضد الزمن، وكأننا نثبت له وإنْ مضى واستحالت عودتُه أننا نملك نسخة من هذه اللحظات في أدمغتنا كذكرى أو صورة محفوظة في «ألبوم»..كمن يأخذ صورة للوَرد قبل أن يذبل أو للشمس حين تغيب..

أقلّب ألبومًا قديمًا.. هنا.. في هذه الصورة، ما زال الجميع يضحك على نكتة قيلت قبل عشرين عامًا، وهنا بدا وجه أبي شاحبًا بعد خروجه من المستشفى، وهنا صورتي الأولى.. نعم هذه وأنا في السادسة..

ستّ سنوات هذا هو عمري حين بدأتْ ذاكرتي تلتقطُ الصوَر وتسجّل الأصوات وتستسيغ الطَّعم وتستنشق الرائحة، وكان هذا هو المشهد الأوّل.. صياح الديك، رائحة الخبز تملأ منزلنا.. ذلك المنزل الصغير الذي يجمع تسعة أفراد!

أسمع صوت صفير أبريق الشاي المعدني الذي طالما لُسِعَتْ به أناملُنا الصغيرة كلّما صببنا الشاي..

حينها أدرك أن أمّي بخير فهذه بصماتها الصباحية..

أخرجُ من باب دارنا وبنظرة سريعة على هذا الحيّ العريق بأزقّته الأثرية.. هنا مسجد بناه والٍ عباسيّ جدّده بعدَه العثمانيون، وهنا مدرسة شُيِّدت مع ولادة

أبي.. هنا أتنفّس عبق التاريخ، وبخطوات طفولية راقصة أجوبُ أزقّةً مشى فيها الأوّلون.. أسمع صوت صافرة القطار معلنةً وصول القادمين..

أرى جارتنا (أم محمد) بثوبها الأسود على طول السنة تنتظر ابنها (محمد) حتى يعبر الشارع فلم يعد لها سواه، وهذا العم (نديم أفندي) الأنيق دائمًا بسدارته وهيئته المهيبة ذاهبًا لدوامه.. وهنا (علي) هذا الطفل الذي يكبرني بخمس سنوات والذي تشتكي منه المحلّة لشقاوته!

كل كائن يسكن هنا له حكاية سواء عرفناها أم كانت مستترة خلف الجدران..

أرى «الكاميرا» الشمسية ذات الستارة السوداء حيث يُدخل العم (أبو شهيد) رأسه يلتقط صورًا لأهل الحي، وأذكر خوفي حين التقط لي صورتي المدرسية.. كانت هذه الكاميرا تسجّل خجَلنا الممزوج بالخوف، ثم ما نلبث نتنفس الصعداء حين نسمع صوت زر الالتقاط..

في الشارع الموازي لشارعنا هناك مقهى المثقفين، هكذا يطلق عليه أهل الحيّ، فيه الأشعار والتراث والحكايا، وكلما مررت سمعتُ صوت ناظم الغزالي يصدح بـ(حلو وبوجنته شامة) و(طالعة من بيت أبوها).. وأكمل معه حتى أني لا أعرف ما هي هذه الكلمات وماذا تعني!

أتذكر أماكن وأناسًا لم يعد لهم وجود، لم أعرف أسماءهم، ولم أكلمهم يومًا، لكن عيني التقطت لهم صورًا شتى..

حين تتصفح ألبوم صور العائلة سترى تاريخًا وجغرافية وأحاديث.. ستكتشف هناك أشياء فُقدت منك ولا تعرف أين آل مصيرها؟!

رأيتُ صورًا لأصالة بغداد، وكثيرا ما قيل: «مَن لمْ يرَ بغداد، لمْ يرَ الدنيا، ولمْ يرَ الناس»، بغداد المليئة بالحكايا، فلا عجب إن استطاعت شهرزاد تأليف ألف حكاية وحكاية..

وصدّقوني مَن لم يرَ بغداد ولم يستنشق نسمات فجرها ولم تعبث بقلبه لهجتها، فلم يرَ الجمال، ولم يعرف معنى الحبّ..

إذا قالت زُنيبُ فصدّقوها

فإنّ الحقّ ما قالت زُنيبُ!



أبونا أيها العراق

حسّان الحديثيّ

كان العرب يُكنّون كل شي، كل شي...

فيكنـون الملموس كالمـاء بأبي نافع، ويكنون المحسوس كالجوع بأبي مالك، وكذا العجَلة يكنونها بأم الندامة وهكذا...

ومن الكنى لغير المحسوس من الأشياء ما أطلقوا على الدهر وكنيتُه «أبو الورى».

وتلك فكرة قديمة جدًا سبقت الأديان وهي أقـرب إلى التسـمية الفلسـفية منها للواقعيـة وتقـوم علـى مفهـوم: أن الدهر ثابـتٌ والناس متغيـرون، فكأنه صار لهم أبًا وهم له أبناء.

وقد ترددت هذه الفكرة في بال الشعراء وتناوبـوا علـى تضمينها وتبـاروا في إبداء غرائبهـا، مـن ذلـك قـول أبي تمـام حين افترض أننـا أبناء الدهر وأبونا شـيخٌ هرِمٌ لطول العهد به فقال مادحًا بعضَهم:

مجدٌ رعى تلعاتِ المجدِ وهو فتىً
حتى أتى الدهرُ يمشي مشية الهَرِمِ

والتلعات هي الأرض المتعرجة صعودًا وهبوطًا. وقال أيضًا:

وإذا جفاكَ الدهرُ -وهو أبو الورى-
يومـًا فلا تعتبْ على أولادهِ

وقـد أخـذ الحريـريّ هـذه الفكـرة في «مقاماتـه» فأعـاد صياغتهـا مـن جديـد

بحُسْنٍ وجمالٍ فجاءتْ ذكيةً لامعةً فقال:

ولمّا تَعامى الدّهرُ - وهْوَ أبو الوَرى -
عنِ الرُّشْدِ في أنحائِهِ ومقاصِدِهْ

تعامَيتُ حتى قيلَ إني أخو عَمًى
ولا غَرْوَ أن يحذو الفتى حَذوَ والِدِهْ

«ولا غروَ» أي: لا عجَب ولا غَرَابة.

غير أن أبا الطيب المتنبّي مختلفُ في الرؤيا والشعر كعادته، وفي الكناية والمعنى أيضًا، لأجل ذلك أسهب قليلًا وتلطَّفَ للمعنى تلطُّفَ العارف، فقال:

سُبحانَ خالِقِ نَفسي كَيفَ لَذَّتُها
فيما النُفوسُ تَراهُ غايَةَ الأَلَمِ

الدَّهرُ يَعجَبُ مِن حَمْلي نَوائِبَهُ
وَصَبرِ جِسمي عَلى أَحداثِهِ الحُطَمِ

وَقتٌ يَضيعُ وَعُمرٌ لَيتَ مُدَّتَهُ
في غَيرِ أُمَّتِهِ مِن سالِفِ الأُمَمِ

أَتى الزَمانَ بَنوهُ في شَبيبَتِهِ
فَسَرَّهُم، وَأَتَيناهُ عَلى الهَرَمِ

ومعنى البيت الأخير: أنّ مَن سبقَنا مِن البَشَر قد جاؤوا أباهُم «الزمانَ» وهو شابٌّ فتيٌّ يَقدر على إسعادهم، فسَرَّهم وفعلَ لهم ما يتمنّون. أما نحن فقد جِئناهُ على هرَمِهِ وشيخوخَتِهِ فلم يستطع فعل ما فعله مع أسلافنا. وهذا فهمٌ غريب مع جماله وروعته، وهو معنًى مبتكَرٌ مع كثرة القائلين فيه، وكأنّه استَلَّ المعنى من البحتريّ استلالاً حيث يقول:

صحبوا الزمان الفَرْط إلاّ أنهُ
هرمَ الزمانُ وعِزُّهم لم يهرمِ

والفرط من الزمان هي الأيّام القليلة، وأزورك فرطًا أي أيامًا معدودة.

وما يزال الشعراء يقتبسون مِن نور مَن سبقَهم، فمنهم من يُفلح ومنهم من ينكص، ومن أُولئك الذين أخذو فأحسَنوا أبو الفتح البُستيّ حين اقتبس معنَى المتنبّي اقتباسًا رائعًا فأحسَن في إعادة صياغته حين قال:

لا غروَ أنْ لم نجدْ في الدهرِ مُخْتَرَفًا
فقد أتيناهُ بعْدَ الشَّيبِ والْخَرَفِ

أي أتيناه بعدَ أن خَترَفَ أي صار يتخيّل ويتوهَّم، كنايةً عن أنّ الدهرَ شاخَ وكبُرَ وأثّر في عقله قديمُ العهد وطول الأمَد...

غير أنّي أميلُ عن كلّ ما تقدَّم، متّبعًا سبيلَ عبد الرزاق عبد الواحد بلمحته

الشـــعرية العظيمـة حيـن قـال واصـفًـا (العراق):

هوَ العراقُ سَليلُ المَجدِ والحَسَبِ

هـوَ الذي كلُّ مَن فيـهِ حَفيدُ نَبي

كأنَّمـا كبريـاءُ الأرضِ أجمَعِها

تنْمَـى إليـهِ فَمـا فيها سِـواهُ أبي

هوَ العـراقُ فَقُلْ لِلدائـراتِ قِفي

شاخَ الزَّمانُ جَميعًا والعراقُ صَبي

أقـول قولـي هـذا وأنـا ألملـمُ حالـي وأتجهَّزُ للرَّحيـل من جديد بعيدًا عن أبينا العراق، فالعـراق للعراقيين ألْيَن وأحلَى، وهو بأبوَّتهم أجدرُ وأولَى.

تابعونا في العدد القادم مع رحلة الأستاذ حسان الحديثي التي بعنوان:

(حديث العراق)

يروى تفاصيل الرحلة التي زار فيها موطنه العراق وما أثارته فيه من مشاعر

عالَم الكتُب



قصة كتاب

د. محمد سالمان

في عـام (٢٠١٣م) كنـتُ مـع الصديق مصطفـى موسـى المحقـق بـدار الكتب المصريـة، وقـد ورَد ذِكـر خير الديـن الزركلـي في حديثنـا، وقلـتُ لـه: لقـد قرأتُ ديوانه، على الرغم من عدم شـهرة الرجل شـاعرًا. ولذا فكّرتُ في نشر ديوان الزركلي.

بادرني أخـي مصطفى بقوله: أنا أعرف ابنتـه، ويمكننا أخذ موافقتهـا على طبعه، وهي مقيمة بالقاهرة.

فطلبت منه أن يرتب لي لقاءً معها.

أيـام قليلـة وأخـبرَني بموعـد اللقـاء ومكانه.. وأنّه سـيقلّنا إليهـا حيث إقامتها في «المعادي» ابنُها الّذي سنتلقيه في منطقة «الدقي»..

في تمام السادسة عصرًا، وعلى حسب الموعـد، التقيتُ بأخي مصطفى في الدقي لنلتقي بالأستاذ محمود عبد العاطى حفيد الزركلي.

بالفعـل التقينـا في الموعـد المحـدد بالضبط.

الأسـتاذ محمود اصطحب معه زوجته قائـلًا: هـي التـي تعلَـم دروب القاهـرة، وخبيرة بطرقها.

الرحلـة مـن حـي الدقـي إلـى منطقة المعـادي حوالـي نصـف ساعة تقريبًـا، على يسارك نهر النيل حيث مياهه الشفافة الرقراقة، وسرعان ما يتحوّل فيصبح على يمينك بعدما تعبُر الجسر الّذي يفصل بين محافظتي الجيزة والقاهرة.

النيل في لحظات الغروب له منظر رائع، وبخاصـة وأنت فى طريقـك إلى المعادي حيـث الحدائق الغنّاء، والأشـجار العالية الباسـقة، والكثيفـة، وأصـوات العصافير وزقزقاتها تسـمعها بوضوح، والتي آذنت باقتراب ليل جديد يغلّف سـماء القاهرة، ويطوى صفحة النهـار، تُضاء الأضوية في الشـوارع، وتنعكس أنوارها على صفحة الميـاه، فـترى ألوانًـا عديـدة متداخلـة ومتراقصة، يشـقّها زورقٌ صغير أو قاربٌ نيلي يغنـي لتلـك المياه المسـافرة بعدما غربت شمس النهار.

وصلْنـا منطقـة المعـادي، المعروفـة بروعـة مبانيها وأناقـة حدائقها، في واحدة من البنايـات الرائعة دخلنـا إلى المدخل الرخامـي بديكوراتـه الفنّيـة الأنيقـة، وصعدنا إلى الطابق الثالث لنلتقي بالسيدة حياة خير الدين الزركلي.

سيدة نحيفة الجسم، بيضاء اللون، لديها أناقـة ورشـاقة، ولباقة في التعبيـر، تكلّمك عـن والدها فتأخـذك في عالمـه، ذكريات، ومواقـف، وحكايـات، وطُـرف ومُلـح، أزمنة ماضية تطرق الأبواب فتفتح لها حياة الزركلي الشرُفات وتستعيد الذكريات.

حكايات الزركلي في الأردن، حكاياته مع الفرنسـيين، وذكرياته مـع الملك عبد العزيز آل سعود، وتذهب بك في رحلة معه إلى المغرب، حيث كان سـفيرًا للسعودية بالرباط، وتعود بك إلـى القاهرة، وتعرّج بك إلى بيروت...

وتحدّثـك عـن كتابـه (عامـان في عمّـان)... وغيـره، وذكريات حـول أهمّ كتبـه على الإطلاق (الأعـلام) الّذي أفنى حياتـه فيه، بـدأه فى العشـرينات من القرن الماضـي إلى يـوم وفاتـه في (١٩٧٦م) فى إحدى مستشـفيات حي الدقي، حيث كان الكِتـاب مُرافقًا له على سـريره، خمسـون عامًـا التهمهـا كتـاب (الأعـلام) من عمر الرجل، لكن حسـبه أنه كتاب خالد، تمنَّى الكثيرون أن يموتوا حتى يَذكرهم الزركلي في كتابه، فيُكتب لهم الخلود والبقاء!

جاءت السيدة حياة بحقيبةٍ سوداء، بها بعض مقتنيات لوالدها، وبعض أوراقه الخاصة، ويا لها من مفاجأة، مظروفٌ صغير بحجم كف اليد، به كتاب مخطوط صغير.

الكتاب بغير عنوان، خط الرجل أنيق ومقروء، الخط بالرقعة، به بعض الهوامش، استأذنتُ بأنْ أصطَحِب الكتاب معي لمعرفة أسراره ودقائقه، وفكّ مغاليقه.

ووجدتُ بالحقيبة مسرحيّة شعرية لم تُنشر، إضافة إلى بعض المقالات، والصوَر الخاصة.

في البيت، لم أنَم في تلك الليلة إلا بعد الانتهاء من قراءة الكتاب (الأمُّور) والّذي أطلقته عليه زوجة الأستاذ محمود والتي قادتنا إلى المعادي.

وفي الصباح قرّرتُ نشر الكتاب، وبدأتُ في الإعداد لنشره وأخْذ الموافقات الإدارية لهذا الأمر.

الكتاب اخترت له عنوانًا، وليكن: (تراجم الأوائل والخلفاء.. الأعلام الصغرى).

أما الكتاب فيضمّ نحو مئة وخمسين ترجمة، بدأها الرجل بتراجم بيت النبوة، وقد بدأها بالنبى ﷺ، ثم انتقل إلى عدنان، ومضر، وكعب بن لؤي، وقصي... ثم انتقل إلى الأئمة الاثني عشر، ومنها إلى ملوك الجاهلية مثل: حمورابي، وقحطان، ويعرب، وسبأ، وحمير، وغيرهم... ثم انتقلَ إلى الخلَفاء الراشدين، ثم خلفاء بني أمية، ثم خلفاء بني العباس ثم الأمويين في الأندلس.

مئة وخمسون ترجمة، منها المختصر، ومنها ما يتميّز بالطول والإطناب، لكن يلاحَظ أنّ تلك الترجمات تخالف ما ورد في كتابه الأهم والأشهر (الأعلام)، وقد أشار الزركلى إلى أنه كتبه في عام (١٩٢٨م) على ما يذكر.

نشرتُ الكتابَ منضَّدًا على الكمبيوتر بعد كتابة مقدّمة له ودراسة عما ورد فيه، وذلك في القسم الأول من المطبوع، أما القسم الثاني منه فقد نشرتُ صورة للمخطوطة كاملة بخط الرجل نفسه.



نص ينشر لأول مرة
تراجم الأوائل والخلفاء
(الأعلام الصغرى)
خير الدين الزِّركلي
راجعه وقدم له
د. محمد سالمان
الهيئة المصرية العامة للكتاب



تجربتي في ترجمة الأدب الحديث

آية حسن حسان

حتى الآن لا معيار محدد للأدب الجيد غير القارئ، فقد ترجمتُ ما وجدته يستحق: تجربتي في ترجمة مجموعتين من القصص الروسية الحديثة ونشرها بشكل إلكتروني.

مقدمة:

العمل على ترجمة أعمال أدبية حديثة هو حلم الكثير من المترجمين، الهدف من الترجمة في الأساس هو نقل الثقافة ولنعرف كيف يكتبون في البلدان الأخرى وماذا يقرؤون، لذا نحن بحاجة إلى نقل الحديث ولكن ليست كل الأمنيات سهلة التحقق. العمل على ترجمة حديثة ليس بتلك البساطة لأن هذه المرة وعكس ترجمة الأعمال الكلاسيكية الأمر لا يتعلق بالمترجم واختياره بل يتعلق بكاتب حيّ ودار نشر عربية وأجنبية، ما يعني أكثر من طرف والكثير من المعاملات التي تؤخر عملية الترجمة.

هناك العديد من الأسباب التي تجعل المترجمين دائمًا يختارون ترجمة الأعمال الكلاسيكية، وكمترجمة مبتدئة لم أتخرج في الجامعة بعدُ لأنني ما زلت

طالبة أدرس اللغة الروسية بكلية الآداب في جامعة القاهرة، لم يكن أمامي أي خيارات سوى أن أتدرب في ترجمة الكلاسيكيات، ولكن دائمًا هناك طريق آخر أو نستطيع القول أنني صنعت طريقًا خاصًّا.

في أحد الأيام وبينما أبحث عن مواد للتدريب وجدتُ مدوّنة لقصص الأطفال، وقد أبهرتني القصص في بساطتها اللغوية ورموزها البليغة، بحثت عن القصص ولكنها لم تكن منشورة في كتاب، بل هي من كتابة صاحب المدوّنة الذي يستخدم أسمًا مستعارًا «هالي»، لم أمتلك خطة ولا أي فكرة عن النشر، ولكن أرسلت إلى الكاتب برغبتي في الترجمة لإعجابي بالقصص، وبالفعل لقد حصلتُ على الحقّ بالترجمة من الكاتب تحت شرط واحد (ألّا تُنشر القصص بشكل ربحي).

كان الكاتب الأصلي حريصًا أن تكون كتابته متاحة لأكبر قدر من الناس حتى بشكلها المترجَم، وهنا جاءت الفكرة بتوافر حقوق نشر عمل حديث، لا يوجد تدريب أفضل يمكنني أن أخرجه إلى النور، لذا قرّرت نشر القصص إلكترونيًا، وانتهى الأمر بترجمة قسمَين منفصلَين من المدوّنة، تم نشرهما على شكل كتابَين منفصلَين إلكترونيًا وهما: «الفتاة الّتي لا تعرف كيف تبكي»، و«الفتاة السيئة إيلي».

الفتاة التي لا تعرف كيف تبكي:



هي قصص للفتيان والفتيات، مكوّنة من ٢٠ قصة منفصلة، تصف ٢٠ شخصية أو نمطًا، القصص تبدو بسيطة ولكن يمكن قراءتها كل مرة بمعنى مختلف.



((بالمناسبة، تقسيم القصص إلى عنوانين منفصلين (للفتيات والفتيان) عن عمد، ولكن هذا التقسيم وفقًا للنماذج التي تُقدِّمها القصص وليس على الإطلاق وفقًا للانتماء البيولوجي لهذا الجنس أو ذاك، حتى تتمكن الفتيات من قراءة قصص الأولاد ونماذجهم، ويقرأ الأولاد قصص الفتيات ونماذجهن. على أي حال، اقرأها كما تريد)).

من مقدمة المؤلف على مدوّنته.

المجموعة هي أول تعامل بيني وبين اللغة الروسية في الأدب الحديث، الدراسة الجامعية غالبًا ما تركز على الكتّاب البارزين وأعمالهم، وكذلك تاريخ الأدب، تاركين الأدب الحديث دون مساس، لذا تحدّيات هذه الترجمة هي التقصّي حول المصطلحات والعبارات الحديثة المستخدمة يوميًا، لكن المجموعة لم تحتوِ على لغة صعبة كونها موجّهه إلى الأطفال في المقام الأول.

في هذه المجموعة سوف تقابِل الفتاة التي تمتلك القدرة على الطيران والتي تخاف الحبّ، والفتى يحقق المعجزات، والفتى الذي أراد العودة إلى المنزل، هؤلاء الأطفال هم نحن وقراراتنا التي نتخذها ولا نعرف تأثريها.

((لا يُعرف الإيمان بالصواب والخطاء بل بالإخلاص نفسه، يمكنك أن تخسر كل شيء، ولكن إذا كنت تؤمن حقًا، فعندئذ حتى عندما تغرق في القاع ستكون أكثر ثراءً من أي شخص آخر، يجب أولا أن تتعلم القدرة على الإيمان بصدق مثل أي شخص آخر، لكن موضوع إيمانك أيا كان هو أمر يخصك وحدك)).

من قصة «الفتى الذي آمن بنفسه».

لاقت القصة نجاحًا نسبيًّا وقرأها عدد من الناس وأعجبوا بها، وبهذا أكون قد كسرتُ الحاجز الأول، وهو كوني مترجمة مبتدئة بلا تجارب منشورة سابقًا، لكن نستطيع القول إن هذه المجموعة وجدت الاستحسان طبقًا لطبيعتها ولغتها البسيطة وقصصها القصيرة المناسبة للقراءة في أي وقت.

الفتاة السيئة إيلي:



أردتُ إعادة التجربة، لا لشيء إلا لأنني اكتشفتُ في المدونة قسمًا آخر ذو قصص ساحرة، ويبدو أنني لم أكن الوحيدة التي أحبّت أسلوب الكاتب وطريقة كتابته للعناوين.

«الفتاة السيئة إيلي» هي مجموعة قصصية ولكن هذه المرة هناك بطلة واحدة وهي فتاة سيئة، لم يحدد الكاتب هذه المرة إذا كانت القصص مصنَّفة للأطفال أم لا، لذا لم أعطِ لنفسي حقَّ فرض هذا الرأي لمجرد كون البطلة طفلة.

ربّما يجد القرّاء أنفسُهم مشكلة مع التصنيف، لأن هذه المرة لا يتعلق الأمر ببراءة الأطفال، بل بتفسيراتهم للمصائب، والتي قد تبدو بعضها منطقية وبعضها يبدو كارثيًا ويجعلنا نتساءل عن المحق والمخطئ في التربية.

((إذا كنتِ مهتمة لمعرفة الأمر فإنني أخاف أكثر من الجميع. لكن لا أحد يعلم بهذا. لأن إيلي عندما تخاف لا تبكي مثل ما تفعل الفتيات الحمقاوات مثلك، بل أتعلم المقاومة والقتال، وبينما تقومين بهذا لن تجدي وقتًا للخوف)).

من قصة «الفتاة التي تخاف الظلام».

لم تكن قصص إيلي واقعية للغاية بل استخدم الكاتب أسلوبًا جديدًا، وأنشأ قسمين: القسم الأول هو القصص الواقعية حيث مغامرات إيلي في المدرسة والبيت والشارع، والآخر هو قصص إيلي الخرافية حيث بيئتها الطبيعية المدرسة والبيت لكن هذه المرة تلتقي الفتاة بوحش وجنيات وحذاء مسحور وبساط سحري، كيف سوف تتصرف فتاة سيئة مثل إيلي مع هذه العناصر المسحورة يا ترى؟

ختامًا:

هل سوف أكرر هذه التجربة مرة أخرى؟ لا أعلم في الحقيقة، ولكنني تخطيت حلمًا بترجمة عمل حديث، ومع ذلك لقد كان مجهودًا شخصيًّا خالصًا من قِبلي ومساعدة مجموعة من أصدقائي، بدءًا بالترجمة ومرورًا بالتنسيق والمراجعة اللغوية والغلاف، ورغم ذلك فقد خرَج العمل بشكلٍ لائق، ولكن ليس خاليًا من الأخطاء، ربما في المستقبل أجد عملًا آخر يستحق أن أترجمه وأنشره إلكترونيًا ليراه أكبر عدد من الناس، لأنه وكما يبدو لا حافز يدفعني لخوض هذه التجربة مرة أخرى غير جودة العمل أو تقديم شيء جديد للقارئ العربي.

النصوص الأدبية



الدرس الأول

حكاية: علي الشافعي

مالت بنا سيارة الجيب (لاند روفر) الحكومية قليلًا على جانب الخط الصحراوي، عند نُزُلٍ كُتب عليه: وزارة الزراعة، نزلنا من الجيب بعد مكابدة ثماني ساعات في طريق صحراوي غير معبّد. كنا أربعة معلّمين ومندوبًا من مراقبة تعليم (غات) في أقصى الجنوب الغربي للجماهيرية الليبية. نزلنا الواحد تلو الآخر، دخلنا فوجدنا كبار أهل البلدة في استقبالنا على نحوٍ لم نتوقّعه، مما خفّف علينا مشقّة السفر.

بعد السلام أجلسونا في صدر المجلس وأخذوا يرحّبون بنا بلكنة عربية مكسّرة تشبه لكنة الأجانب عندنا، استغربنا شكل ملابسهم وطريقة سلامهم، فأشار إلينا المندوب أنه سيوضح ذلك لنا لاحقًا، بعد برهة قليلة أتى أحدهم بصحن وإبريق نحاسيين، فطلب منا المندوب أن نغسل أيادينا ونحن جلوس، ثم أُعطينا منشفة فجففناها، وعلى الفور حضر رجل آخر ومعه سيخٌ طويل فيه قطعٌ كبيرة مشوية من كبد الغنم، فتناول كلٌّ منا قطعة. بعد فترة قصيرة أُحضِر الطعام وهو عبارة عن الطبق الشعبي في بلاد المغرب العربي (الكسكسي) يشبه قليلًا (المفتول) عندنا لكن حبّته أصغر. قال كبير الحاضرين بلهجة ليبية: «باهي توَّ تْفَضْلوا الغدا»، وذلك بين تهليل وترحيب الأهالي.

بعد الأكل أحضروا لنا الصحن والإبريق النحاسيين وغسلنا أيدينا مرة أخرى ونحن جلوس، ثم أحضر لنا الشاي المغلي جيدًا والمحلّى كثيرًا حتى صار كثيفًا مائلًا للسواد، في أكواب صغيرة الحجم بطول حوالي ٣سم. بعد ذلك استأذن المندوب ليأخذنا إلى نُزل المعلّمين الخاص، وصلنا هناك فكان النزل عبارة عن ثلاث غرف حديثة البناء مع منافعها في كل غرفة ثلاثة أسرة، جلس معنا المندوب يحدثنا فقال:

أنتم الآن في بلدة العوينات، وهي بلدة هادئة تقع على الخط الصحراوي الذي يربط بين سبها (عاصمة إقليم فزان) وغات، وطوله ٥٦٠كم، منها ٢٠٠كم حتى مدينة (اوباري) معبّدة، والباقي ٣٦٠ كم طريق ترابي صحراوي كما ترون، والحكومة تعمل على تعبيده بإذن الله. تَبعد العوينات عن المركز (غات) باتجاه (اوباري) ١٢٠كم، سكّانها من الطوارق، لهم لغتهم الخاصة بهم وتسمى (التارغي أو الهاوْسِن) والحكومة تسعى جاهدة لنشر اللغة العربية بينهم، وتعليمهم والنهوض بهم من حالة البداوة والتصحر إلى حالة المدنية الحديثة، وهذا يقع على كاهلكم أنتم -أيها الشباب- وإن شاء الله أنتم على قدر المسؤولية. تحاول الحكومة جاهدة إقامة إسكانات وعمل مشاريع زراعية لتسكين الذين يقطنون في الصحراء. الناس هنا هادئون طيبون يحبون الغريب، وأكثر ما يحترمون المعلّم، فهو عندهم مقدّس ومبارك، أما اللباس الذي شاهدتموه فهو اللباس التقليدي الذي يحرص أهل البلدة على لباسه في الاحتفالات وعند استقبال الضيوف المهمّين، و يتكوّن من الثوب السروال الفضفاض والعمامة (بطول حوالي خمسة أمتار) التي تلف على الرأس ثم يغطى بجزء منها الفم والأنف ولا يظهر سوى العينان، وكل أهل البلدة مسلمون متدينون، في البلدة مخبز واحد، وفيها جمعية تعاونية لشراء حاجاتكم والجمعية هي ملك الحكومة إذ لا ملكية فردية عندنا، تبيع المواد الأساسية بسعرها في العاصمة أما الخضار فهي شحيحة لأن المشروع الزراعي لم يكتمل بعد. المدرسة هنا مختلطة حتى الصف التاسع وعدد الطلبة حوالي ٢٠٠ طالب. سأترككم الآن ترتاحون وفي الصباح يحضر مدير المدرسة ليصحبكم إليها، ويعرّفكم مرافقها ويوزّع عليكم المهام.

استلقيت على السرير ورفعت عينَيّ في السقف، دارت في مخيلتي هذه الرحلة العجيبة السريعة، ففور تخرجنا كانت البعثة الليبية في الانتظار لاستقطاب أكبر عدد ممكن من المعلمين منافسة لدول الخليج، لملء الشواغر في مدارسها، في بلد مساحته حوالي مليون و٧٥٠ ألف كم٢، إبان النهضة والثورة الثقافية التي أُعلنت آنذاك، وسرحت في ركوب الطائرة لأول مرة من عمّان إلى طرابلس الغرب، ثم من طرابلس إلى سبها عاصمة إقليم فزان والمسؤولة عن كل مراقبات التعليم في الجنوب الغربي الليبي، ثم رحلة الحافلة التي استغرقت ٢٤ ساعة لقطع مسافة ٥٦٠كم منها ٣٦٠كم طريق صحراوي غير معبّد تتخلّله كثبان رملية متحركة، ثم العودة مرّة أخرى على الطريق نفسه باتجاه العوينات، كل ذلك في ٣ أيام. قلت: سبحان الله فعلًا كما يقال في المثل الشعبي (الإنسان طائر بلا جناح). ثم رحت في سبات عميق.

في الصباح حضر مدير المدرسة ورحب بنا، ثم صحبنا إلى المدرسة بكل ذوق واحترام، وعرفنا المرافق والصفوف، ووزع علينا المهام والنشاطات مع باقي الزملاء القدامى.

أسند إليّ نشاط الإذاعة المدرسية باعتباري معلم اللغة العربية. قرع الجرس واصطف الطلاب بكل سهولة ويسر، تفاجأت بأن بعضهم في مثل سني تقريبًا، فعلمت أن التعليم وصل إليهم متأخرًا فالتحقوا بالمدارس في سن كبيرة.

بدا النشيد الوطني وهو النشيد المشهور (الله أكبر يا بلادي كبري) أحسست بشيء يهزّني من الداخل، أنا إذن في بلد عربي رغم السحنة الأفريقية السوداء واللكنة التي أسمعها. وصمّمت ساعتها أن أبذل كلّ ما في استطاعتي ليكون لي بصمة في نشر العربية في تلك البلاد. بعد انتهاء النشيد سلّمني المدير الميكروفون وقال: الآن مع الإذاعة المدرسية، أذكر أنني أخذت الميكرفون، ولا أدري لِمَ خطرت على بالي بالذات فواتح سورة الفتح (إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا...) فتلوتُها، ثمّ كلمة ترحيبية بالطلبة في بداية العام الدراسي.

دخل الطلاب الصفوف وكانت الحصة الأولى لي عند الصف التاسع. أول قطعة طباشير أمسكت بها وأنا معلم، كتبتُ في أعلى يمين السبورة بسم الله، وعلى الجانب الأيسر التاريخ: ٥/ ٩/ ١٩٧٦م، وفي الوسط كتبتُ: الدرس الأول، وتحته: بلاد العُرب أوطاني.



خلف الباب

قصص: زينب الأزبكي

قد يكون هذا الباب موجودا في أي بقعة على هذه البسيطة وقصص السعادة المحدودة والتعاسة غير المتناهية متوفرة وبلا حدود..

لذا كانت هذه المشاهد خلف هذا الباب الموارب..

المشهد الأول: موت باب

ينتشي الباب فرحًا حين يسمع أمَّهم توصيهم باللَّعب أمامه، يظنُّه حارسهم الأمين هكذا حالهم لسنوات.

يضحك ويتدغدغ حين يخطُّون أسماءهم عليه بالطباشير.

كان يكبر معهم عامًا بعد عام، لم يخن الباب يومًا أمانته، لكنهم رحلوا يومًا وتركوه مرغمين، يناديهم الواجب العسكري، كم من حرب مرّت والأمّ والباب ما زالا صديقين قريبين لم يفترقا، ينتظران معًا عودة الغائبين، كان متّكأها الذي تستند، وجليسها حين تتذكرهم، كان الباب يقوم بمهمّته اليومية يبقى مواربًا ليطمئنها أنّ أحدهم قادم، وإن هاجمته الريح وإن بللته الأمطار هو هكذا



منذ زمن، لكنّه بدأ يشيخ وصارت الريح أقوى.. سمع صديقته تنشد ذات حزن تهويدة عراقية قديمة:

«هبّ الهوا وتحرك الباب..

حس بالي يا يمّا جيّة أحباب..

أثاري الهوا والباب كذّاب».

هنا أصدر الباب صريرًا معلنًا موته.

المشهد الثاني: حروفٌ من طين ميلاد كاتب

خلف هذا الباب عشتُ مع أمّي..

لم يكن في البيت سوى غرفة فيها منامي و موقد أمي ورائحة الطماطة المقلية -أكلتي المفضلة- في هذا البيت كانت أمي تعدّ الأيام كي أدخل المدرسة..

لكنّ لعبي في الدار كان يغنيني عن تعلم الحروف فأنا بارع في بناء الحجارة واللعب بالطين وتشكيله.

في صفّي الأول وبعد عناء كبير في كتابة واجبي وإسرافي في الوقت وإضاعته، اندلق الماء على دفتري وتبللت الحروف وضاعت ملامحها؛ فبكيتُ كثيرًا وأقسمت ألّا أعيده، ونمت بعد أن بللت وسادتي بسيلٍ من الدموع..

وعند استيقاظي، وخوفًا من عقاب المعلّم، وجدتُ أمّي قد حاولتْ عشرات المرات أن ترسم الحروف رسمًا.. كانت أمّي أميّة لا تجيد الكتابة!

أدركتُ حينها أن للحروف قيمة، ومنذها وأنا ألعب بالحروف بدلًا من الطين..








يربُّونَنا قبلَ أنْ نربِّيَهم!

خاطرة: صفا عاطف

نِعَم الله لا تحصى، والشكر لا يَفي..

كلنا نعرف أنّ علَى الأبناء حقَّ البِرّ بنا، ويجب ألّا ننسى أنّ بِرَّ الآباء بالأبناء يكون أوَّلًا..

لكنّي أملك طفلة ذكية تذكِّرني بنِعَم الله وبحقِّها عليَّ، هكذا مرَّة واحدة: ربَّتني، أعطتني الأجر، وأخذت حقَّها.

تذكِّرني كلّ صباح: اضحكي يا ماما.. ابتسمي..

فأستحي منها قبل نفسي وأنسى ضغوط الحياة وقساوتها بكلمة من طفلة أرتني طريقًا لا أراه وأنا بعهد الثلاثين.

ذكية بملاحظاتها وغيرتها، يأتي تعليقها على انشغالي عنها بأخيها الرضيع بطريقة مزاح حتى لا آخذ على خاطري، وأعود لأستحي منها، فكم من درسٍ ستعطيني يا صغيرتي!

كيف أوفِّيكِ حقَّكِ يا مؤنسَتي؟!

ها أنتِ تبرّينني قبل أن أبرّكِ!

تُذكّرُني بالقُبلة والحضن الدافئ، ولا تعلم أنني بحاجة إليه أكثر منها!

فسُحقًا لدنيا تُلهينا عن أغلَى ما نملك!

أهلًا ببيتٍ مبعثَر يتأخَّر ترتيبه! وتحيا مقولة: الأم الّتي بيتها مرتّب، أمٌّ سيِّئة.

وتبًّا لصحونٍ تَملأ حوضَ المطبخ، وتبًّا.. وتبًّا...

هي لحظات معهم لا تعود، والعمر يركُض، وكلَّما كبُروا يَبتعدون، ولا تبقى سوَى الذكرى.

عهدًا مني يا صغيرتي سأكتبُ ذاكرتكِ كما يليق بكِ وكما تستحقِّين إن شاء الله.

رسائل السحاب



نَصّ: إيهاب عنان سنجاري

هل أمطَرَتْ؟

نعم..

إذن قد وصلتْ رسائلي

حين ناجيتُ بها السماء..

فاخرُجي إلى ساعي

السَّحاب

واستقبلي طَرْديَ

المُتساقِطِ حَرفًا

تِلوَ حَرف..

كوني ورقًا

لخِطاباتي

واقرَئي ما انْساب

على جسدك..

تأنَّيْ

كلمةً.. كلمة..

شهقةً.. شهقة..

ثمَّ امْسحي

لِيَتجدَّد القَطر

علَى مخملِك

لصفحةٍ تالية..

ثمَّ التالية

ثمَّ التالية..

إلى أن تَعصر السماء

آخر قطرة.. حِبْر..

عانقي نَداه..

منهُ عِطري..

وإن جَفّ.. فأنا مطمئنّ

قد كانوا يحفظون الوَرْد

بَين طيَّات كِتاب

وأنا...

أحفظ كتابيَ

بَين أحضان الوَرْد..



سَلِ الفراتَ

شعر: عامر الرقيبة

سَلِ الفراتَ إذا ما شئتَ عن بَرَدى ... واسألْهُ عنْ حُبّه للنيل هل بَرَدا؟!

كأنّه منذ فجر الكائناتِ فتىً ... فؤادُه بالهوى ما زال متّقِدا

عن أَرْز لبنانَ سَلْ في الشام غُوطتَها ... وعنْ ذرى جبل الأوراس سَلْ أُحُدا

واستشهِدِ النخلَ في السودانِ كيف بكَتْ ... أعذاقُه حين نخلُ البصرة اعتُضِدا؟!

عن مأربٍ وعن الأهرام شامخةً ... في مصرَ سلْ عنهما آشورَ أو أكَدا

واسألْ مآذنَ فاسٍ عن خيامِ منىً ... واسألْ إذا شئتَ عن قرطاجةٍ صَفدا

تُنبيك أنّ بلادَ العُرْبِ واحدةٌ ... مهما تغرّبَ فيها المرءُ وابتعدا

في أرضِها أنبياءُ الله قد دَرَجوا ... وخاتمُ الأنبياء المصطفى وُلِدا

مِن قَلبها دورةُ التاريخ قد بدأتْ ... وبيرقُ الحقِّ في أرجائها انْعقَدا

جالتْ بساحاتها الفُرسانُ صائلةً ... يسترشدون الهُدى من ربّهم مَدَدا

حتّى تفتّحتِ الدّنيا على يدِهم ... كوَردةٍ للثُريّا عِطرُها صَعَدا

وَا لَهْفَ نَفسي على أيّامِ دولتهم ... حيث الطرائدُ كانت تأمن الأسَدا!

وَا لَهْفَ نفسي على ماضٍ كأنَّ بهِ ... روحي تعيش ولا تستوطنُ الجسدا!

ما أجملَ العيشَ في الماضي وأصعبَه! ... قدْ يعشقُ الآلَ مَن للماء ما وردا!

إنّي تعبتُ رفاقَ الحرفِ مِن لُغتي ... ورُبَّ شِعْرٍ يُعِلُّ القلبَ والكَبِدا

أكلّما رمتُ ذكرَ الأمسِ مفتخرًا ... تلَجْلَجَ الحزنُ في الأضلاعِ مُحتشِدا

وحاصرتْني جيوشُ الهمِّ سائلةً ... أينَ العروبةُ؟ والإسلامُ كيفَ غدا؟

أينَ الغيومُ التي قال الرشيدُ لها: ... آتٍ غِياثُكِ عندي أينما رَعَدا

أين القصائدُ كالنيرانِ لاهبةً ... في الحرب مُستنهضاتٍ كلَّ مَنْ رَقدا؟

تغرّبتْ أحرفُ الفصحى بألسُنِنا ... مثلَ الغريب الذي لا يعرفُ البَلَدا

حتّى أصابَ فِصامُ الفِكر منطقَنا ... وطالما قيلَ شيءٌ غيرُ ما قُصِدا!

يا غربةَ الروح في أوطانها.. ولَكَمْ ... في أرضهِ استوحشَ الإنسانُ فانْفردا!

يا غربةَ الروح.. مُذْ غرناطةٌ سقطتْ ... والروحُ مُطفأةٌ والجمرُ قد خمدا

لا تيأسِنَّ فَتَحْتَ الجلْدِ ثَمَّ لظىً ... بين الرماد ودونَ العينِ ثَمَّ مدَى

وربّما يستعيدُ المجدُ دورتَهُ ... فيُصبحُ الأمسُ في وعْدِ السماء غدا!



قصيدة تذوُّقية
لقصيدة أم السليك الحماسية[1]

شعر: أبي المعالي الظاهري

يُــراعُ فـصـالُ روحٍ عـن جسـومٍ ... لأصــداءِ الـنـواحِ عـلـى الـفـراقِ

عـلـى بُـعـد الـمـدى صـوتٌ تهادى ... تـنـاقـلَـه الـزمـانُ عـلـى الـبُـراقِ

فـجـائـعُ في الـحـروف لـهـا دويّ ... كـأن حـروفـهـا نـهـرُ الـمـآقـي

ونـشْـرُ الـشَّـعـر مـن هـولٍ وكـربٍ ... بـشِـعـرٍ سَـاقَـه سـوقَ الـرفـاقِ

وجـمـرُ الـفَـقْـد أضـحـى مثـلَ عقدٍ ... عـلـى نـحـر الـرثـاءِ مـن الـرِّقـاقِ

تُـلـبـبُّ نـفـسـهـا حـتّـى نـراهـا ... نـراهـا مـثـلَ فـارغـةِ الـسـواقـي

تُـجـمّـع لـلـهـمـومِ غـيـومَ ثُـكـل ... فـتـمـطِـرُ حـزنـهـا مـن غـيـرِ واقِ

كـأن مـصـائـب الـدنـيـا جـمـيـعًـا ... تـتـابـعـهـا سـبـاقًـا لـلِّـحـاقِ

وفي كـبـدِ الـعـجـوزِ حـريـقُ صـدقٍ ... تـصـاعـدَ كـالـدخـان مـن احـتـراقِ

تـبـيِّـنُ لـلأنـامِ بـغـيـر شـكـوى ... ظـلامَ الـقـلـبِ في لـيـلِ الـمـحـاقِ

وشـومـهـا لـلـبـروق غـذاهُ شـومٌ ... لأمـنـيـةِ الـتـقـاربِ والـتـلاقـي

---

(١) وهي الّتي أوردها أبو تمام الطائي في «الحماسة» (ج٢/ ص٦٢).



وأسئلةٌ تتابعُها بشكٍّ ... كأنها في التساؤلِ ذو نفاقِ
وصبحٌ لليقينِ غدا كليلٍ ... تقطِّعه الظنونُ كذي شقاقِ
جوابٌ قد تأخرَّ عن سؤالٍ ... كسحرٍ ما لَهُ في الناس راقِ
وأمنيةُ الزمانِ بصبرِ قلبٍ ... وكيف لها اصطبار عن فراقِ؟
تفدِّيهِ.. ولكنْ لا فداءٌ ... ولو ملكته كانتْ كالصَّداقِ
فما شأنُ السُّليكِ وما عراهُ؟ ... وما شأن العجوزِ لدى اشتياقِ؟
وما صدع القلوب؟ وما حديثٌ ... تجيئ به السواكنُ في المآقي؟
وهل يبدي الكلامُ ستارَ غيبٍ ... وهل بلغتْ بكاها للتَّراقِي؟



طافَ يَبغي نجوةً ... من هلاكٍ فَهَلَكْ
لَيت شِعري ضلّةً ... أيّ شيءٍ قَتَلكْ
أَمريضٌ لم تُعَد ... أم عدوٌّ خَتَلَكْ
أَم تولّى بكَ ما ... غال في الدهرِ السُّلَكْ
وَالمَنايا رصدٌ ... لِلفَتى حَيثُ سَلَكْ



وراء الغيبِ قد ألقته أمٌّ ... فلا تدري مكانًا للتلاقي
فراغُ القلب منها في فراغٍ ... وحيرتها تناهت للعناقِ
أما كنتَ المجيبَ إذا دعونا ... أما كنتَ الأبرّ لدى السباقِ؟؟
وعارِضكَ المهلل من سناهُ ... يفيءُ بِنا ظلالًا في تواقِ
أما كانتْ خيول القومِ تعدو ... فتسبقها إلينا في اشتياقِ
تغيبُ بكَ الغيوبُ عن العيونِ ... وفي عينيّ من عينيكَ ساقي

يطوف بكَ التهمُّم في المعالي — فتشغل بالعلوِّ وبالمراقي

تطوف لتبتغي للناسِ رفدًا — كأنكَ في المكارِم ذو بُراقِ

أتشغلكَ المكارم عن لقائي — وإنني في اشتياقِ واحتراقِ

ألَا مَن يخبر الأشواقَ أنّي — لحالكَ يا سُليكُ على وثاقِ

أذوق من السهاد مريرَ سُقمٍ — وفي نومي تجيءُ على عِتاقِ

تطوفُ لتبتغي في الأرض منجى — فهل صدقتْ نجاتكُ يا مَناقي؟

أما لو كنتَ حيًّا كنتَ تأتي — كما اعتدتُ التصبُّحَ بالمذاقِ

أما لو كنتَ حيًّا كنتَ فينا — بمنزلة السوادِ من الحِداقِ

أما لو كنتَ حيًّا يا وليدي — لكنتَ على الجلودِ من الصفاقِ

ولكن لستَ تأتي يا رفيقي — وما أم الكريم من الرّفاقِ

أسائل عنك يا حِبّي نعاجي — وأسألُ ما يُشدّ على النطاق

وأسأل حيَّنا والناسَ ويلي — وأسأل عنك جاريةَ العراقِ

أحيٌّ يا بُنيَّ وما تراني؟ — وأشغلك الصفاق مع الصفاقِ؟

أحيٌّ يا بنيَّ وأنتَ حرٌّ — تراقبُ عبدةً فوقَ الفَواقِ

أغالك من سقامٍ ما يُرديّ — جبالًا من جبالك في التحاقِ

أفي سقمٍ أتاك ولا معينٌ — يعودكُ بالتبسم والعناقِ

أحيٌّ أنتَ كي أرجو لقاءً — وإني في الرجاء على نِياقِ

أحيٌّ أنت أم ميتٌ فويلي — وويلي ثم ويلي من فراقِ

أغالكَ من عدوِّك سهمُ غدرٍ؟ — فغالنيَ التفجعُّ بانطلاقِ

أسبعٌ أم ذِئاب الإنس منّا — تهاديك المنايا في رِباقِ

تساءلني المنايا ما دهاها؟ — وأنت دهيتها فوقَ الطّباقِ



بـلـى.. قـد كـان بـل قـد كـان حقًّا	وأسـلـمـكَ الـزمـانُ إلـى حِـلاقٍ
حِــلاقِ الــمــوتِ في قـفـرٍ بعيدٍ	فــآهٍ ثــمَّ آهٍ مِــن خَــلاقِ



أيّ شــيءٍ حــســنٌ	لِـلـفَـتـى لَـم يـكُ لَـكْ



لـقـد كـنـتَ الـقـريـبَ لـكـل فضلٍ	وكـنـتَ الـنـهـر في سـقـي الـسـواقي
وبــحــرًا فـيـه بــحــرٌ مــن رفــادٍ	لكي تقري المكاشحَ ذي الشّقاقِ
وحـصـنًـا كـنـتَ في دحـر الأعـادي	تَـقـيـنـا مـن عـداهـمْ بـالأواقـي
وأنـتَ الـسـابـق الـمـضـمـارِ حتى	تـؤخـر ذا الـسـوابـق في الـلـحـاقِ
تـعـين الـمـعـدمـين عـلـى حـيـاةٍ	عـبـوسٍ ذات غـدر بـالـنـفـاقِ
فـكـيـف لـي الـتـصـبر عـن ذهـابٍ	لـكـل الـمـكـرمـاتِ مـن الـخَـلاقِ
وكـيـف لـي اصـطـبـارٌ عـن ولـيـدٍ	تـحـمـلَّ في الـصـبـا كـلّ الـمـشـاقِ
وكـيـف لـي الـسـلـوّ وكـنـتَ فـيـنـا	دواءً لـلـكـلـوم بـغـيـر راقـي
ولـيـت الـنـفـس لا تُـعـطـى مـنـاهـا	مـن الـجـزع الـعـظـيـمِ عـلـى الـفـراقِ
ولـكـنْ صـبر قـلـبـي مـثـل ثـوبٍ	يُـرقَّـع بـالـتـشـقُّـق والـنـعـاقِ
عُـقـاقًـا قـد شـربـتُ وهـل سيشفي	غـلـيـلـي شـربُ مـاءٍ كـالـعُـقـاقِ؟
وإني قـد أقـولُ مـقـالَ صـدقٍ	ولا يـشـفـي مـقـالٌ في انـشـراقِ
ألا لـيـت الـنـفـوسَ تـرى جـمـيـعًـا	بـكـفـي مـثـل ذرٍ أو بـصـاقِ
فـأبْـدِلـهـم جـمـيـعًـا في فـداءٍ	بـمـن قـد كـان بـي نـورَ الـحـداقِ
ونـفـسـي لـيـتـهـا كـانـتْ فـداءً	فـديـتـكُ بـالـنـفـيـسِ وبـالـمـآقـي



